تراث القدس

ذاكرة المكان والإنسان

تنسيق وتحرير

د. فيصل الحفيان

بحوث ومداخلات المؤتمر الدولي الذي عقد
بالقاهرة يومي ١٥و١٦ من نوفمبر ٢٠٠٦م

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

معهد المخطوطات العربية

القاهرة ٢٠٠٨

تراث القدس

ذاكرة المكان والإنسان

جميع الحقوق محفوظة

تراث القدس - ذاكرة المكان والإنسان (بحوث ومداخلات المؤتمر الدولي الذي عقد بالقاهرة يومي ١٥ و ١٦ نوفمبر ٢٠٠٦) ، تنسيق وتحرير : د. فيصل الحفيان . القاهرة : معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبيا) ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م / ٤١٦ ص .
ط / ٢٠٠٨/١٠/٠٠٤

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد المخطوطات العربية

تراث القدس

ذاكرة المكان والإنسان

تنسيق وتحرير

د. فيصل الحفيان

بحوث ومداخلات المؤتمر الدولي الذي عقد بالقاهرة يومي ١٥ و ١٦ نوفمبر ٢٠٠٦

معهد المخطوطات العربية

القاهرة ٢٠٠٨

الفهرس

المشاركون ٩
فكرة المؤتمر ومحاوره وموضوعاته
د. فيصل الحفيان ١٣

الجِلْسة الأولى (الافتتاحية)

كلمة معالي الدكتور المنجي بوسنينه ١٩
كلمة د. أحمد يوسف أحمد محمد ٢٣

المحور الأول : في قلب الذاكرة

الجِلْسات العلمية

الجِلْسة الثانية (بنية التراث المقدسي)

البحث الأول : المجموعات الخطية المقدسية
د. خضر إبراهيم سلامة ٢٧
البحث الثاني : أهم المخطوطات الأصلية في مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية
د. غسان محيبش ٦٥

الجِلْسة الثالثة (تشكيل التُّراث المقدسي)

البحث الثالث : صناعة الكتب في القدس في العصر العثماني
د. بشير بركات ١١٥

البحث الرابع : خزائن كتب المدارس في بيت المقدس في العصر المملوكي
د. أيمن فؤاد سيد ١٢٧

المحور الثاني : القدس في مرآة التراث

الجِلْسة الرابعة (صورة القدس في المخطوطات)

البحث الخامس : نفائس مخطوطات الحديث في مكتبات القدس
د. محمود مصري ١٤٥
البحث السادس : كتب الفضـائل : نظرات تقويمية
(تاريخ بيت المقدس المنسوب لابن الجوزي أنموذجًا)
د. عبد الحكيم الأنيس ١٨٥

الجِلْسة الخامسة (صورة القدس في الرِّحْلات والسِّجِلاَّت)

البحث السابع : قراءة في مخطوط «موانح الأنس برحلتي إلى وادي القدس» لمصطفى أسعد اللُّقَيْمي الدمياطي
د. محمد الحزماوي ٢١٩
البحث الثامن : أعيان القدس في القرن العاشر الهجري
د. محمد هاشم غوشة ٢٢٧

الجِلْسة السادسة (صورة القدس في السِّجِلاَّت والوَقْفِيات)

البحث التاسع : أوقاف القدس الإسلامية من خلال سِجِّلات محكمة القدس الشرعية (وقفية خاصَّكي سلطان نموذجًا)
د. عبلة سعيد المهتدي ٢٣٥

البحث العاشر : أوقاف القدس ودلالاتها الحضارية
د. خالد عزب ٢٥٣

المحور الثالث : تجاذبات الذاكرة والمكان والإنسان

الجِلْسة السابعة (القدس : المكان والمكانة)

البحث الحادي عشر : القدس في الرؤية التاريخية والجغرافية العربية والإسلامية
د. شمس الدين الكيلاني ٢٧٣
البحث الثاني عشر : تراث القدس وفلسفة المكان
د. محمد عبد الوهاب جلال ٣١٣

الجِلْسة الثامنة (مستقبل تراث القدس)

البحث الثالث عشر : المخطوطات المقدسية المفهرسة
د. يوسف زيدان ٣٤٥

الجِلْسة التاسعة (الجهود المؤسَّسية في خدمة تراث القدس)

البحث الرابع عشر : جهود المؤسسات السُّعودية في خدمة تراث القدس
د. محمد بن عبد الرحمن الرُّبَيِّع ٣٧١
البحث الخامس عشر : جهود « الفرقان » في خدمة تراث القدس
عادل الصلاحي ٣٧٩

الجِلْسة العاشرة : (شهادات)

- د. محمد عدنان البخيت ٣٨٩
- عصام محمد الشنطي ٣٩٥

الجِلْسة الحادية عشرة (الخـتـامية)

كلمة المشاركين

د. عبلة سعيد المهتدي ٤٠١

مقاطع من قصيدة : القدسُ مِسَلَّةٌ والوَقْتُ إزميلُها (شعر)

أمجد محمد سعيد ٤٠٣

البيان الختامي والتوصيات

د. فيصل الحفيان ٤٠٧

* * *

المشـــاركـون

الافتتاح :

- د. المنجي بوسنينه (المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).
- د. أحمد يوسف أحمد محمد (مدير معهد المخطوطات العربية بالإنابة).

أصحاب البحوث والشهادات والمشاركات العلمية (على وَفْق ترتيب بحوثهم) :

- د. خضر سلامة (مدير مكتبة المسجد الأقصى والمتحف الإسلامي بالقدس).
- د. غسّان موسى محيبش (مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية - فلسطين).
- د. بشير بركات (مدير دار إسعاف النشاشيبي - القدس).
- د. أيمن فؤاد سيد (خبير مخطوطات).
- د. عبد الحكيم الأنيس (كبير باحثين بدار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي).
- د. محمود مصري (مدير المكتبة الوقفية - حلب - سورية).
- د. محمد الحزماوي (نائب عميد كلية الآداب - جامعة القدس).
- د. محمد هاشم غوشة (عميد مؤسسة إحياء التراث الإسلامي - القدس).
- د. عبلة سعيد المهتدي (مركز الوثائق والمخطوطات - الجامعة الأردنية).
- د. خالد عزب (مدير إدارة الإعلام بمكتبة الإسكندرية).
- د. شمس الدين الكيلاني (باحث سوري).
- د. محمد عبد الوهاب جلال (باحث في تاريخ العلوم - مصر).
- د. يوسف زيدان (مدير مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية).
- د. محمد بن عبد الرحمن الرُّبَيِّع (نائب رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض سابقًا).

- عادل الصلاحي (مدير عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن).
- د. محمد عدنان البخيت (رئيس لجنة تاريخ بلاد الشام).
- أ. عصام محمد الشنطي (خبير مخطوطات ، مدير ثانٍ بالمعهد سابقًا).
- د. عزت جرادات (الأمين العام للمؤتمر الإسلامي لبيت المقدس).

رؤساء الجلسات (على وَفْق ترتيب الجلسات) :

- د. حسن الشافعي (أستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة).
- د. عبد الستار الحلوجي (أستاذ بكيلة الآداب - جامعة القاهرة).
- د. محمد عدنان البخيت.
- أ. عصام محمد الشنطي.
- د. محمد بن عبد الرحمن الرُّبَيِّع.
- د. يوسف زيدان.
- د. أحمد شوقي بنبين (محافظ الخزانة الحسنية).
- د. محمد هيثم الخياط (كبير مستشاري المدير الإقليمي للمكتب الإقليمي لشرق المتوسط - منظمة الصحة العالمية - القاهرة).
- د. عزت جرادات.
- د. أحمد يوسف أحمد محمد.

التخطيط والتنظيم :

- د. أحمد يوسف أحمد محمد.
- د. فيصل الحفيان (منسق برامج المعهد).

* * *

المعتذرون :

- د. بشير بركات.
- د. الصادق مبروك عامر (ممثل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية).
- د. عبد الحكيم الأنيس.
- د. محمد سليم العوَّا (مفكر إسلامي).
- د. محمد فتحي عبد الهادي (الأستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة).
- د. نوفان رجا السواريه (مدير مركز الوثائق والمخطوطات - الجامعة الأردنية).

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تراث القدس

(فكرةُ المؤتمرِ ومحاورُه وموضوعاتُه)

ليس هذا المؤتمر الذي تعقده المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (معهد المخطوطات العربية) بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبيا) - هو أولُ المؤتمراتِ (أو اللقاءات) التي عالجت هذا الموضوع المهم الموسوم بـ « تراث القدس » ، ولسنا هنا بصدد رصد تلك المؤتمرات ، لكننا سنكتفي بالإشارة إلى الندوة المتخصصة (الرابعة) التي عقدها المعهد نفسه ، وموضوعها « التراث العربي المخطوط في فلسطين » ، ونُشرت بحوثها ومداخلاتها في كتاب عام ٢٠٠١ .

اتَّسمت تلك الندوة بثلاثة أمور :

أولها : كانت تمهيديةً ، بمعنى أنها لمست قضايا أساسية في اتجاهات متباينة : السياسة والتاريخ ورصد الجهود الحاضرة في علاقاتها بـ « تراث فلسطين » المخطوط بخاصة .

وثانيها : كانت عامةً ، بمعنى أن هذه القضايا الأساسية تمَّ تناولها من زوايا عامة .

وثالثها : كانت ذاتَ طابعٍ تقنيٍّ ، بمعنى أن التركيزَ كان على مسائلَ تقنيةٍ تفصيليةٍ أكثرَ منها تنظيرية .

وكان شعورُنا يومها أن موضوعًا غنيًّا وشائكًا كـ « تراث فلسطين » لا بدَّ له من استكمال .

ونصَّت إحدى التوصيات على عقدِ ندوةٍ أخرى ، أو مؤتمر ، يركِّز على البُعد الموضوعي لتراث فلسطين ، وكانت هذه التوصيةُ واحدةً من عشر توصياتٍ ، نفَّذ المعهدُ بعضَها ، وأَفْلتَ أكثرَها ، لأمور ليس هذا مكانُ تفصيلها ، وسوف يتم في مؤتمرِنا هذا إحياءُ هذه التوصياتِ والإضافةُ إليها .

من هنا جاء هذا المؤتمر ليحقق غرضين :

الغرض الأول : جلاءُ مساحات أوسع من الصورة ، صورة المخطوطات في فلسطين ، مع مدِّ البصر - ولو على استحياء - إلى صورٍ أخرى ذاتِ صلةٍ عضويةٍ وثيقةٍ بالأولى ، ونعني الخرائط والسِّجلاتِ والحججَ والوثائقَ .

الغرض الثاني : استنفارُ الهمم لخدمةِ تراثِ فلسطين .

ولا يغيبُ أننا بهذا المؤتمر نتنقلُ بين العام والخاص على مستوى الفكر ، لكنَّنا لن نتنقلَ على مستوى المكان ، فنحن لن نخرجَ ، أو إننا سنسعى إلى ألا نخرجَ من محيطِ مدينةِ القُدْسِ نفسِها ، وبخاصَّةٍ في ما يتصل بالتُّراث المخطوطِ فيها . ومن نافلةِ القولِ أنَّ القُدْسَ هي قلبُ فلسطين روحيًّا وحضاريًّا وأيضًا تراثيًّا . ولهذا فإنَّ التَّنَقْلاتِ هي - في حقيقتها - ليست إلا اتجاهًا نحو القلب ، واحتشادًا لمنطقة أكثر حيويةٍ وخطورةٍ في الوقت نفسه .

إنَّ الهدفَ الأساسَ من المؤتمر هو الخروجُ بما يمكن تسميتُه « وثيقة تراث القدس » ، وهي وثيقةٌ للمخطوطات بصفةٍ أساسيةٍ ، ووثيقةٍ (أيضًا) لغير المخطوطات من ألوان التراث ، وإن كانت هذه على حاشية تلك .

قضيةُ « تراث القدس » ستظل حيَّةً ، ما دامت قضية المدينةِ المقدسةِ نفسِها حيَّة ، فالتراث العربي الإسلامي (عمومًا) وتراث القدس (خصوصًا) لما نعرف، هَمٌّ كبير من هموم الأمة ، ولا بد من الإلحاح عليه ، ليظل حاضرًا عند صُنَّاع القرار ، والمؤسسات التراثية العربية والإسلامية ، والغيورين على أمتهم وتراثهم .

وقد تحدَّدتْ محاورُ المؤتمر وموضوعاتُه في ما يأتي :

أولاً : الذاكرةُ التاريخيةُ للمجموعات الخطية التي تحتضنُها المدينةُ ، لنعرفَ كيفيةَ تكوُّنِها ، والمراحلَ التي مرت بها ، وما طرأ عليها من تحولات سواءٌ أكانت في الكمِّ أم في الموضوع ، ومن هذه التحولاتِ حركةُ هذه المجموعات وانتقالُها ، سواء أكانت حركةً جغرافية (صِرفة) ملموسة ، أم علمية بين أيدي العلماءِ داخلَ القدسِ أو فلسطين نفسها ، ودلالات ذلك كله .

ثانيًا : وضعُ الخططِ والاستراتيجياتِ الخاصةِ بصيانة هذه المخطوطات ، وتحسينُ أوضاع حفظِها ، إضافة إلى التعريف بها عبر قنوات عديدة . وإذا كانت هناك جهودٌ قد بُذلت في هذا الاتجاه ، فكيف نَنْظِمُ هذه الجهودَ في عِقد واحد ، ونكْمل حَبَّات هذا العِقد ، حتى يتسنى لنا أن نعمل على بصيرة من أمرنا ؟

ثالثًا : إذا كانت المخطوطاتُ العربيةُ هي المحورُ الأساسُ للاهتمام ، فإن ثمة مخطوطاتٍ أخرى ذاتِ أهميةٍ أيضًا ، وهي تلك المكتوبة بالحرف العربي ، ونقصد تلك المكتوبة بالعُثمانية (التركية بالحرف العربي) ، ولا شك أن هذه الأخيرةَ تدخل في نسيج ذاكرةِ القدسِ نفسِها من ناحية ، وذاكرة تُراث هذه المدينةِ من ناحية أخرى .

رابعًا : كيف تبدو القدسُ في مرآةِ تُراثِها ؟ سؤال مهم ، نحسَبُ أنَّ إجابتَه في بحثٍ أو أكثر تتناول تلك المخطوطات التي اتخذت من المدينة المقدسة موضوعًا لها . ويمكن أن يمتدَّ البصرُ إلى ما طُبع من تلك المخطوطات متصلاً بالمدينة . وستبدو لنا جوانبُ عديدةٌ وتراثيةٌ للمدينة : تاريخًا ورجالاً وجغرافيةً وأدبًا وعلمًا ونشاطًا .

خامسًا : ثمة أوعيةٌ (غير المخطوطات) للتراث ، وثمة أشكالٌ أو أنماطٌ معرفيةٌ (غير الكتاب) تراثية (أيضًا) مثل الوثائق والسِّجلات والخرائط والرسومات والنقوش وغيرها ، وهي ثروة محفوظة في المدينة ، وذات علاقة وثيقة بها ، وتثير

قضايا مركَّبة تاريخية وحضارية ، سياسية وثقافية ، ومعرفية عمومًا . والبحث في (وعن) هذه الأوعية والأنماط ، يخدم موضوع المؤتمر .

سادسًا : خرج جزءٌ من المخطوطات المقدسية عبر قنوات ووسائل مختلفة من المدينة ، ومن الضروري التوقف عند هذه القنوات والوسائل ، وملاحقةُ هذا التراث بالرصد والتتبع والتعريف لتنكشف لنا صورتُه العامةُ (داخل المدينة وخارجها) ، وتحققُ الربْطَ بين أجزائِه .

سابعًا : نعلمُ أنَّ عددًا من المؤسسات والهيئات العربية وغيرها كان لها جهودٌ مشكورةٌ في خِدمة « تُراث فلسطين » . وهذا بابُ درسٍ لا يقتصر على الرصد ، بل يتجاوزُه إلى الانطلاقِ مما تَحقَّق إلى ما يمكن تحقيقه .

* * *

بعد الكشفِ والاكتشافِ لا بد من التطلُّع إلى المستقبل ، والأساسُ هو التخطيطُ ، مقترنًا بتنفيذ بعض الخطواتِ الأولى على الطريق . والآفاقُ واسعةٌ : تنظيمُ حملةٍ لتصويرِ مخطوطاتِ القدس ، وإيداعُ نسخةٍ منها خارج فلسطين ، توحيدُ فهارس مخطوطات القدس خصوصًا ، وفلسطين عمومًا ، وربطُ المكتباتِ المقدسية بشبكة الإنترنت ، ونشرُ (كتالوج) مصورٍ لمخطوطات القدس ... إلخ . وهنا يأتي دورُ المؤسسات التراثية الرسمية الخاصة (بالتعاون مع المعهد) في التبني والتمويل والرعاية .

منسق المؤتمر

د. فيصل الحفيان

الجِلْسة الأولى :

الافتتاحية

كلمة معالي الدكتور المنجي بوسنينه

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

أستهلُّ هذه الكلمة بالترحيب بكم جميعًا ، باحثين ومعقبين ورؤساءَ جِلسات وحاضرين ، من داخل مصر وخارجها . وأخصُّ أولئك الإخوة القادمين من المدينة التي نلتقي اليوم من أجلها « مدينة القدس » ، حيث يسكنُ جزءٌ مهمٌ من تراثنا الذي يسعى هذا المؤتمرُ للكشفِ عن خريطته وتضاريسِه ، ويحاولُ من خلال بحوثِكم ومناقشاتِكم أن يضع الخططَ والتصوراتِ اللازمةِ لخِدمةِ هذا التراث على أصعدة مختلفة .

إننا في المنظمة ومن خلال جهازنا المتخصص (معهد المخطوطات العربية) تبنَّينا هذا المؤتمر بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، التي لها فضلٌ كبيرٌ في خدمة قضايا كثيرة تتصل بالإسلام وتراثه العظيم الذي خلَّفه تحديدًا ، وفى سبيل ذلك قدَّمتْ الجمعيةُ الكثيرَ من الفكر والجهد والمال ، دون أنْ تحرصَ على أن تكونَ في الصورةِ ، في حالة من نكران الذات ، والتّفاني في خدمة هذه الغايات النبيلة .

وكان الدافعُ لنا إدراكَنا لمكانة هذه المدينة ، سواء أكانت على مستوى التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، أم على مستوى الإنسان المسلم الذي تحتل المدينة في نفسه مكانةً مقدَّسةً ، وعلى مستوى الإنسان (على إطلاقه) ، فهذه المدينة - بخاصة - مدينةٌ مقدَّسةٌ ليس عند المسلمين فحسب ، ولكن عند المسيحيين أيضًا ، بل عند اليهود أيضًا ، وكأنها بذلك تختزلُ فكرة القدسيةِ التي يحاول بعضُهم تأطيرَها أو تحديدَها ، لتجعلَ منها مشتركًا تاريخيًّا وإنسانيًّا ،

يستدعي - بالضرورة - مع الوعي الحضاري - في حال وجوده - اختزال الصراع ، والتوقُّف عند حدود الحقّ التاريخي وعدم تجاوزه ، حتى لا يصل الأمر بنا إلى امتهانِ القدسيةِ بمعانيها ودلالاتِها السماوية ، وإزاحتِها لصالح الرغباتِ الطائشةِ والنزعاتِ الأنانيةِ ، والجشع المريضِ الذي تغذيه دوافعُ الاستحواذِ والسيطرةِ وانتزاع حقوق الآخرين وإلغائهم .

إن « القدسَ » كانت حاضرةً دائمًا في عقل « المنظمة » وخططها ومشروعاتها . وكان هذا أمرًا طبيعيًّا جدًّا ، فالمنظمةُ هي المرجعُ القومي للأمة العربية ، وبيتُ خبرتها في كل ما يتصلُ بمجالاتِ التربية والعلوم والثقافة ، وللمدينة المقدسة نصيبٌ في المجالات الثلاثة ، ففيها كانت المدارسُ التي شكّلتْ كثيرًا من العقول العربية العظيمة في الدين والعلم والثقافة ، وفي مسجدِها وحَلْقاتِه - عبر التاريخ العربي الإسلامي - وعلى أرضها التقت هذه العقولُ غاديَةً ورائحةً ، فقد كانت محجًّا للعلماءِ والطّلبةِ والرحّالة من العرب والمسلمين من كل مكان . وعلى الرغم من أنها لم تكن يومًا في تاريخنا العربي الإسلامي عاصمة سياسية كبيرة ، أعني عاصمة لدولة من الدول العربية الإسلامية المتعاقبة ، فإنَّ مكانتها كانت دائمًا فوق العواصم ، على الأقل في الجانب الروحي ، الذي لا تشاركها فيه سوى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

ليس هذا المؤتمر هو أولُ نشاط تقوم به المنظمةُ لخدمة قضية فلسطين عمومًا والقدس خصوصًا ، فقد كان لهما مساحةٌ واسعةٌ في برامِجها ومشروعاتها .

ومما يستحق أن نشير إليه في هذا المقام الندوةُ الدولية حول القدس التي عقدت في لندن قبل انصرام القرن الماضي (١٩٩٩) ، والإصدارُ المهمُّ الذي حمل عنوان « القدس وتحديات طمس الهوية » قبل نحو ثلاثة أعوام ، وكذلك الكتابُ المتضمِّنُ « قائمةَ مواقعِ التراث الثقافي والطبيعي ذاتِ القيمة العالمية المتميزة في فلسطين » ،

الذي صدر عن المنظمة في مايو الماضي . كما أن المنظمة ، عبر المعهد أيضًا ، عقدت ندوة متخصصة حول دائرة أوسع من القدس (فلسطين) ، وكان ذلك عام ٢٠٠١ ، تحت عنوان « التراث العربي المخطوط في فلسطين » . وإلى ذلك فإن المنظمةَ الآن بصددِ الإعدادِ للمعرض المتنقّل للآثار العربية والإسلامية في القدس .

إننا نأملُ بهذه الجهودِ وغيرِها أن نلفتَ إلى هذه المدينة وتراثها ، ونضع قضيتها على بساط البحث ، بوصفها جزءًا رئيسًا من القضية الجوهرية للعرب والمسلمين « فلسطين » . صحيح أن جهودَنا ثقافيةٌ تراثيةٌ في طابعها العام ، لكننا جميعًا نعلم أن « الثقافة » هي الحلْبةُ الأكثرُ أهميةً وخطورة ، نحن اليوم نعيش حالة ما بين حوار الحضارات أو الثقافات وصراعها ، التي تنعكسُ إيجابًا أو سلبًا على مجمل العلاقات بين الشرق والغرب ، وبين الأطراف المتحاورة أو المتصارعة في منطقتنا .

إنَّ « القدس » - كما تعلمون - جزء من التراث الإنساني المهدَّد بالخطر ، سجَّلت ذلك اللجنة العالمية للحفاظ على التراث في عام ١٩٨٢ ، ولا تزال المدينة مهددة حتى اليوم ، ففي اجتماع اللجنة الأخير في يوليو ٢٠٠٤ ، أبقت المدينةَ على قائمتها ، ونحن هنا نؤكد أن المخطوطات التي تحتفظ بها المكتبات - وهي خلاصة فكر الحضارة العربية الإسلامية أيضًا - مهددة بالخطر ؛ خطر الصراع المسلح ، والاستلاب الظالم ، والعجز المالي ، والإهمال الاضطراري . والمؤسسات الثقافية العربية الإسلامية ، والدولية ، وأصحاب رؤوس الأموال من العرب والمسلمين وغيرهم ، وأهل الحق في العالم الذي حولته ثورة الاتصالات إلى قرية صغيرة ، كل هؤلاء شركاء في تحمل المسؤولية عن تراث هذه المدينة التي هي - كما قلت - مشترك إنساني مقدَّس ، وأي تقصير تجاه هذا

المشترك إنما هو في حقيقته تقصير في حق الإنسانية ، وليس في حق العرب والمسلمين فحسب ، أصحاب هذه المدينة وسكانها الشرعيين .

إنَّ مما يُحسب لهذا المؤتمر أنه على الرغم من أن الهدف الأساس منه « مخطوطات القدس » ، تجاوز مسألة المخطوطات لينطلق إلى آفاق أرحب : الأوقاف والسِّجِلاَّت والوثائق والخرائط والرسومات والنقوش ، وهو ما انعكسَ في صورةِ عنوانِ المؤتمرِ نفسهِ .

على أن هذه الآفاقَ التي أشارت إليها محاور المؤتمر لا يمكن - للأسف - تغطيتُها جميعًا كما لاحظت ، وذلك بسبب عدم تمكن بعض الباحثين من المشاركة في المؤتمر ؛ لأمور تتصل بإجراءات السفر والخروج من فلسطين .

لقد بلغ عددُ مَحاور المؤتمر سبعةَ محاور ، حاولتْ أن تحيط بالهمّ التراثي المقدسي : ذاكرة المجموعات الخطِّيَّة ، ووضع الخطط والاستراتيجيات لتحسين أوضاع حفظها والتعريف بها ، وصورة القدس في مرآة تراثها ، وتراث القدس الآخر (غير المخطوطات) ، وحركة المخطوطات المقدسية ، والجهود التي بُذلت في سبيل خدمة تراث القدس .

ختامًا ، أتمنى لمؤتمرنا هذا النجاح ، وأن يكون صوتًا جديدًا عاليًا ، يلفت إلى القدس وتراثها ، ويستحثُّ العقلاء في كل مكان ، للحفاظ على هذه المدينة المقدسة وتراثها بأشكاله المختلفة ، وبخاصة المخطوطات التي سيكون التركيز عليها أكبر ؛ لخصوصيتها من ناحية ، ولأنها المحور الأساس الذي انشغل به هذا المؤتمر تحديدًا .

* * *

كلمة الدكتور أحمد يوسف أحمد محمد

المشرف على المعهد

بالأصالة عن نفسي وبالنِّيابة عن حضراتكم أعبّر عن عميق الامتنان لمعالي الأستاذ الدكتور المنجي بوسنينة المدير العـام للمنظمة العربيَّة للتربية والثَّقافة والعلوم على هذه الكلمة الشاملة عن موضوع مؤتمرنا هذا ، وأركّز هنا على حرص معاليه على أن يبيّنَ أنَّ هذا العمل ليس سوى حَلْقَةٍ من سلسلة طويلة تعكس اهتمامَ المنظمة بقضيَّة القدس . كما أشكره بصفة خاصَّة على أنه أحاطنا علمًا بآخر المستجدّات في اهتمام منظومة العمل الثقافي العربي المشترَك بقضيَّة القدس .

إن حضورَه معنا اليوم يجيء انعكاسًا لاهتمامه بموضوع هذا المؤتمر ، الذي هو في حدّ ذاته ثمرةٌ لتفعيل العلاقات المنظّمة في الدول العربيَّة ، وعلى الصَّعيدَيْن الإقليمي والعالمي .

والحقيقةُ أننا كنا نتمنَّى أن يكونَ بيننا الآن الأستاذ الدكتور الصّادق مبروك عامر ؛ ممثل جمعيَّة الدعوة الإسْلاميَّة العالمية التي تشارك في تنظيم هذا المؤتمر ، لولا أن طارئًا قد حال بينه وبين الحضور .

إن اعتزازَنا بهذا المؤتمر لا يأتي من موضوعه فقط الذي يمثّل موضوع القلب بالنسبة للقضايا العربيَّة ، ولكن كما سبق أن قلتُ : إنه يأتي ثمرةً لتعاون فاعلٍ وخلاّق بين المنظمة العربيَّة للتربية والثقافة والعلوم ، والجمعية .

اسمحوا لي أن أنبّه على نقطة إجْرائيَّة : في الواقع إن طموحَنا في تنظيم مؤتمر يتناسب مع الأهميَّة الفائقة لقضيَّة القدس قد تعلو موضوعات هذا المؤتمر ،

بينما مواردنا من حيث الوقت محدودة ، ومن ثَمَّ تجدون حضراتكم - كما يظهر في جدول هذا المؤتمر - أن ترتيبه من حيث الزَّمن مُحْكَمٌ للغاية ، ونأسف - أو نعتذر لكم - عن أنه مرهِقٌ للغاية أيضًا ، ولذلك هناك رجاء خاص إلى الأساتذة الأجلاّء رؤساء الجِلْسات والباحثين كافة : أن يلتزموا بالوقت ، إذ سيكون عَرْضُ كل بحث في حدود ربع ساعة ؛ كي نتيح فرصة كافية للحوار ؛ لأن كلَّ جِلْسة ستمتدُّ ساعة فقط . وقد راعَيْنا أن تكون هناك استراحتان في كل يوم : استراحة قصيرة قبل أن تنفد مواردنا من الطَّاقة ، ثم استراحة طويلة نسبيًّا في فترة الظهر ، كي نتمكن فيها من الاستزادة بما يعيننا على مواصلة الطَّريق ، حتى السَّاعة الرابعة والنصف تقريبًا .

أرحّبُ باسم معْهد المخطوطات بالأساتذة الأجلاّء والباحثين الذين شاركونا عبء الإعْداد لهذه الندوة ، والذين سيرجع إليهم الفضل إن شاء الله تعالى في نجاح أعمالها . واسمحوا لي أن أخُصَّ بالذِّكْر أولئك الأساتذة الأجلاّء الذين تجشَّموا مشقَّة الحضور من خارج جمهورية مصر العربيَّة ، لكي يكونوا بيننا الآن ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون في نجاح هذا المؤتمر ما يكافئهم على الجهود التي بذلوها .

أدعو الآن الأستاذ الدكتور حسن الشَّافعي لكي يرأس الجِلْسة الأولى ؛ ذلك لأن د. محمد سليم العوَّا اعتذر عن عدم المشاركة لظرف صحّي طارئ ، وقد تفضّل الدكتور الشافعي مشكورًا بقبول رئاسة هذه الجِلْسة ، كما أدعو أيضًا الدكتور خِضْر إبراهيم سلامة ، والدكتور غسّان محيبش إلى المنصَّة ، حتى تبدأ أعمال الجِلْسة الأولى للمؤتمر .

* * *

الجِلسة الثانية :

بنية التراث المقدسي

المجموعات الخطية المقدسية

د. خضر إبراهيم سلامة(*)

د. حسن الشَّافعي (رئيس الجلسة) :

لست بحاجة إلى الحديث عن طبيعة هذا المؤتمر وأهميته ، فقد تفضَّل السَّادة الكرام الذين نظَّموه ببيان هذه النُّقْطة . والحقيقة أنه إذا كان لكل مكان روحٌ مميَّزة ، فإن للقدس روحها الخاصَّة - كما نعرف جميعًا - وبركة خاصَّة ، فهي المكان الذي نصَّ الله تعالى أنه قد بارك حوله .

وإذا كانت فلسطين هي قلب القضايا العربيَّة والإسلاميَّة ، فإن القدس هي قلب القلب ، أو هي الفؤاد واللُّب إذا استخدمنا مصطلحات الصُّوفيَّة .

ولا أُطيل الوقتَ فإنه مِلْك لحضراتكم وللسَّادة الباحثين . ولدينا في هذه الجلسة باحثان :

الدكتور خِضْر إبراهيم سلامة مدير مكتبة المسجد الأقصى والمتحف الإسلامي بالقدس ، وبحثه بعنوان « المجموعات الخطية المقدسية » . ثم يليه الدكتور غسّان محيبش . والدكتور خضر له بحوث عديدة في هذا الميدان ، وفي المخطوطات والآثار المقدسيَّة والمخطوطات بوجه عام ، ومن أهمها فهرس خاص بالمصاحف المقدسيَّة .

أما د. غسّان فهو من رجال مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف في فلسطين .

الوقت المخصص للبحث هو خمس عشرة دقيقة ، وذلك حتى نترك وقتًا لمداخلات القاعة .

* * *

مقدمة :

إن الثقافة موضوع واسع ، وتتمثل أدواتها الأساسية في الكتب ، وبدون الكتاب تكون الثقافة ثقافة مشافهة ، أي يتم تناقلها من خلال الحديث أو

(*) مدير مكتبة المسجد الأقصى والمتحف الإسلامي بالقدس .

الراوي، وبعد عدة قرون مرت على التاريخ الإسلامي تم تجاوز الثقافة الشفهية إلى الثقافة المكتوبة، رغم استمرارها بين مجموعات من طبقات المجتمع المختلفة بصورة متفاوتة بين أقاليمه ومدنه حتى وقت قريب.

إن مركز مدينة القدس الديني مكانًا للإسراء والمعراج[١]، وقبلةً أولى للمسلمين[٢]، ساهم في إنشاء المساجد والمدارس والزوايا والخوانق[٣]، وهذه الأماكن أو المعالم كان يشغلها محلّيون وغيرُ محليين من العلماء والصوفية المجاورين وطلاب العلم، فقد كان المسلمون يرتحلون للمدينة المقدسة من أجل نيل الثواب، فقد كانت الرِّحالُ تُشَدُّ إلى المسجد الأقصى، وكانوا يجاورون به، لما في ذلك من الثواب المضاعف الذي يناله المسلم، والذي نصت عليه الأحاديث الشريفة التي وردت في كتب الفضائل التي كتبت عن المدينة[٤]، وأول كتب الفضائل عن المدينة يرجع إلى سنة ٤١١هـ/١٠١٩[٥]. وتشكّلُ الأحاديثُ التي وردت في كتب الفضائل جوهر معلوماتنا عن حُرْمة المدينة المقدسة وفضل الزيارة

(١) تم تأكيد مكانة القدس الدينية منذ بداية الدعوة الإسلامية، فقد ورد ذكر الإسراء والمعراج في سورة الإسراء، آية رقم ١، ونصها: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾.

(٢) فرضت الصلاة على المسلمين ليلة الإسراء والمعرج، وصلى المسلمون إلى قبلتهم القدس ما بين ١٦-١٧ شهرًا، قبل أن يتم تحويل القبلة إلى مكة المكرمة، انظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والمتاع، تحقيق محمود محمد شاكر، قطر، مؤسسة الشؤون الدينية، [د.ت]، ص ٢٩، ٥٩.

(٣) للاطلاع على أسماء الأبنية الأثرية في المدينة المقدسة وتواريخها ومن أسس كل بناء في الفترات الإسلامية، انظر: بورجون، مايكل، الأبنية الأثرية في القدس الإسلامية، ترجمة إسحاق الحسيني، القدس، دائرة الأوقاف الإسلامية، ١٩٧٧.

(٤) انظر بيليوغرافيا عن كتب الفضائل التي كتبت عن المدينة في: العسلي، كامل، مخطوطات فضائل بيت المقدس، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٨١.

(٥) الواسطي، أبو بكر محمد بن أحمد، فضائل البيت المقدس، تحقيق إسحاق حسون، القدس، مركز الدراسات الآسيوية والإفريقية، ١٩٧٩.

والصلاة في مسجدها الأقصى، ويرجع إسناد تلك الأحاديث إلى المدة الواقعة بين الثلث الأخير من القرن الأول والربع الأول من القرن الثاني الهجريين[1]. وبحكم هذه العوامل مجتمعةً ، والفكر الديني الذي رافق تاريخ المدينة، بوصفها أرض المحشَر والمنشَر وأرض الرباط - أصبح لها هذه المكانةُ المقدسةُ على مَرِّ تاريخها.

إن المقصود بمدينة القدس تاريخيًّا، البلدة القديمة في عصرنا الحالي ، التي يحيط بها السور من جهاتها الأربعة، ومساحتها تسعمائة دونم (كل دونم ألف متر مربع)[2]. وزائر المدينة في عصرنا الحالي يدرك تمامًا أن هذه المدينةَ مملوكيةٌ بآثارها وشوارعها ومدارسها، رغم أنه تفصلُنا خمسةُ قرون تقريبًا عن الحقبة المملوكية، أربعة منها عثمانية. وتتجذّر فكرة القدس المملوكية من خلال الاطلاع على أهم المصادر التي كتبت عن المدينة ؛ وهو كتاب « الأنس الجليل »، فقد ترجم مؤلِّفهُ مجير الدين الحنبلي لعلماء بيت المقدس وذكر منهم أربعمائة وعشْرة علماء ، جُلُّهم من علماء الشافعية، وأقلُّهم عددًا من علماء الحنابلة[3].

كما أورد مجير الدين أسماء مائة وستة عشر عالمًا من علماء القدس الحنابلة في كتابه «المنهج الأحمد»[4]، رغم أن المذهب الحنبلي انتشر في المدينة في حقبة متأخرة، وينسب نشر هذا المذهب إلى شيخ الإسلام أبي الفرج عبد الواحد بن أحمد بن محمد الشِّيرازي (ت٤٨٦/١٠٩٣)[5].

---

(١) الدوري، عبد العزيز «القدس في الفترة الإسلامية الأولى: من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر»، في كتاب : «القدس في التاريخ» ، تحرير كامل العسلي، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢ ، ص ١٤٠.

(٢) نجوى رزق الله وسامي خضر، البلدة القديمة في القدس: الواقع الحالي وآفاق المستقبل، القدس، جامعة القدس، ٢٠٠١، ص ٢٨.

(٣)علي، علي السيد، القدس في العصر المملوكي، القاهرة، دار الفكر للدراسات، ١٩٨٦، ص ١٣٧.

(٤) مجير الدين الحنبلي، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام احمد، تحقيق محمود الأرناؤوط وآخرين، بيروت، دار صادر، ج٦: ٢٥٢-٢٥٥.

(٥) عبد المهدي، عبد الجليل، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، عمان، مكتبة الأقصى، ١٩٨٠، ص ٢٦-٢٧.

وأهمية المدينة بالنسبة للمماليك ترجع إلى أن تاريخها هو تاريخ ديني في الأساس، وقد زُرعت بذور هذا التاريخ في الحقبة الإسلامية الأولى، ووصل إلى ذروته بعد انتهاء الاحتلال الصليبي، فالاهتمام المملوكي بالمدينة وأماكنها المقدسة، نَبَعَ من عوامل عديدة؛ فبالإضافة إلى العامل الديني، يوجد عامل ذاتي بالنسبة للحكام المماليك، يتمثّل في محاولتهم تجاوز خلفيتهم في إلغاء العبودية التي وُصموا بها، وبقيت دولتهم تحمل هذا الاسم إلى أن انقرضت، ولم يشفع لهم أمام معاصريهم دَحْرُهم الغزوات التي اجتاحت العالم الإسلامي، وبقيت النظرة الشعبية لهم نظرةً دونَ مستواهم الحقيقي رغم حمايتهم للعالم الإسلامي[1].

وقد يكون الاهتمام بمدينة القدس له جانب آخر يتمثل في أن القدس كانت في العصر المملوكي مركزًا للحكام والأمراء المنفيين من المماليك، وكثيرًا ما نجد جملة: « وأرسل بطالاً للقدس »، في تراجم العديد من الأمراء المماليك، ومن ثم فإن استقرار هؤلاء المنفيين في المدينة بخلفيتهم قد ساهم بشكل كبير في إنشاء معالمها الأثرية الحالية، فقد تولّد ترابطٌ بين هؤلاء المنفيين والمدينة المقدسة، وتمت ترجمةُ هذا الترابط عمليًّا بإنشاء هذه الأبنية الماثلة أمامنا حتى اليوم، وذلك بعد أن يعفو عنهم السلطان ويعودون إلى مراكز عملهم، فالمؤسسات الضخمة في المدينة هي أبنية مملوكية[2]، وفيها مائة وثلاثة عشر أثرًا مملوكيًّا[3]، ما يقرب من نصفها مدارس وزوايا، وكل مدرسة لا بد لها من طلاب، والطلاب يحتاجون

---

(١) القدس في العصر المملوكي، ص ١٢١.

(٢) حول الأبنية المملوكية في مدينة القدس، انظر:

Burgoyne, Michael, Mamluk Jerusalem, London, 1987.

(٣) انظر مسح فهرس الأبنية الأثرية في القدس، الذي قام به مايكل بورغوين، ونشرته مدرسة الآثار البريطانية في القدس تحت عنوان « الأبنية الأثرية في القدس الإسلامية »، ترجمة إسحاق الحسيني، القدس، الأوقاف الإسلامية، ١٩٧٧، ٢١ صفحة.

إلى الكتب للدراسة، وإلى فريق من المشايخ (معلمين) وموظفين ، ووَقْف للصرف على هذه المدرسة أو الزاوية، وباختصار كل مؤسسة تحتاج إلى موازنة كاملة لتغطية نفقات تشغيلها.

مصادر مخطوطات المدينة :

أنجزنا هذا البحث اعتمادًا على فهارس أربع مكتبات، واشتملت الفهارس على ما يقارب خمسة آلاف عنوان، والفهارس هي :

- فهرس مخطوطات مكتبة الأقصى (أربعة أجزاء، الجزء الرابع قيد الطبع) .
- فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية (قيد الطبع) .
- فهرس مخطوطات المكتبة البديرية (جزآن) .
- فهرس مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي (جزآن) .

إن معظم مخطوطات القدس هي في الأصل وَقْف، وقد تداولتْها الأيدي من مكان إلى آخر، ومن ملكية شخص إلى آخر، إلى أن تمَّ في الحقبة العثمانية المتأخّرة تأسيسُ ما اصطُلح على تسميته « المكتبات العائلية »، وتم تجميعُ هذه الكتب في أكثر من مكان تبعًا للعائلة أو المؤسسة، ونجد على غالبية هذه الكتب تقييدات تفيدنا في رصد حركة الثقافة بين الأشخاص والمدن، كما أنَّ غالبيةَ نُسَخها دُوِّنت عليها نصوص وقفية بصيغ مختلفة مثل : « وقف محمد بدير على أولاده ثم على طلبة العلم في بيت المقدس » ، « دخل في ملك الفقير محمد بدير حبيشي سنة ١١٧٥» ، « انتظم في سِلْك مِلْك الفقير محمد بدير القدسي الشافعي » ، « من جملة وقف جَدِّنا الشيخ محمد الخليلي » .

وجزء قليل من مخطوطات هذه المكتبات الخاصة أُلْحِق بالمكتبات بعد وفاة الواقف، فنجد مثلاً عددًا من العناوين أُضيفت للمكتبة البديرية بعد وفاة مؤسسها[1] سنة ١٨٠٥.

(١) فهرس البديرية، ج١ : ١٠.

وقد تكون أول مدرسة أُنشئت في مدينة القدس هي « المدرسة النَّصْرية »، التي ترجع في تاريخها إلى نهايات الحكم الفاطمي، وتقع فوق الباب الذهبي (باب الرحمة) وتعرف أيضًا بـ « الزاوية النَّصْرية »، وفيها جاور أبو حامد الغزَّالي، ولذلك أُطلق عليها « المدرسة الغزّالية »[1] ، ويقال إنه بدأ تأليف كتابه المشهور « إحياء علوم الدين » في هـذا المكان، وهناك معلومات أخرى تشير إلى أنه كتب « الرسالة القدسية » في هذه المدرسة أيضًا. وما بقي عن هذه الحقبة من مخطوطات في المدينة هو عدد محدود ، ولا يتعدَّى عدة عشرات من العناوين.

وفي المرحلة نفسها يمكن أن نشير إلى مدرستين ذكرهما القاضي أبو بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، فقد ترك الأندلس وارتحل إلى المشرق سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١ ، وزار مصر ثم وصل إلى القدس في طريقه إلى الحج مع والده، وقد وجد المدينة تعجُّ بالعلماء والدروس والمناقشات، فطلب من والده البقاء في المدينة ليتلقى العلم فيها، ومكث في المدينة ما يزيد على ثلاث سنوات، وقد تحدث عن الحياة الثقافية في المدينة، وذكر أنه كان في المدينة مدرستان ؛ واحدة للشافعية، وتقع بجوار باب الأسباط (باب المدينة الشرقي)، وكان شيخها الشيخ يحيى بن علي المعروف بابن الصائغ (ت ٥٣٤هـ/١١٣٩)، والأخرى للأحناف وتدعى « مدرسة أبي عقبة »، وكان شيخها القاضي الريحاني، ومن أعظم العلماء الذين لقيهم أبو بكر بن العربي في القدس أبو بكر الفهري الطُّرْسُوسي (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦)[2]، كما التقى الغزالي في المدينة وحضر مجالسه، وهذا الجو الثقافي الكبير

(١) أسس هذه المدرسة الشيخ نصر بن إبراهيم أبو الفتح القدسي النابلسي (٤١٠-٤٩٠هـ)، انظر عنه : النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، دمشق، ١٩٤٨، ج١: ٤١٣-٤١٥ ؛ مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، عمان مكتبة المحتسب، ١٩٧٣ ، ج٢: ٣٤ ؛ الدوري، بحث في كتاب القدس في التاريخ، ص ١٤٨.

(٢) عباس، إحسان، فصول في الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣، ص ٤٧-٤٩.

الذي ساد المدينة كان نتيجة وجود العشرات من العلماء المحليين والوافدين إلى المدينة ، وهو يدلُّ على نوع من الاستقرار السياسي في العهد الفاطمي في المدينة[1].

وحدثت طَفْرةٌ في عدد المدارس والمؤسسات الثقافية في المدينة خلال العصر الأيوبي ، ويُعْزَى ذلك إلى ارتفاع مكانة المدينة لدى المسلمين ، وأصبح لها جاذبية خاصة لدى العلماء الذين توافدوا عليها من معظم أصقاع العالم الإسلامي ، فقد ربطت الذاكرة الإسلامية بين المدينة لكونها مكان الإسراء والمعراج وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وبين غيابها مدة طويلة عن حِضْن العالم الإسلامي نتيجة الاحتلال الصليبي لها مدة تقارب القرن ، وأدت هذه الأسباب مجتمعة إلى إنشاء العشرات من المؤسسات الإسلامية ، وشَدِّ الرحال لعشرات من العلماء إلى المدينة ، وتعددت أسباب سفرهم للمدينة ، منها : المُجاوَرَة ، والزيارة والتبرُّك ، وحب الاستطلاع لرؤية مدينة عادت إلى الحكم الإسلامي. وقاد ذلك أيضًا إلى وصول المئات من طلبة العلم للدراسة في المدارس التي أنشئت في المدينة في العصر الأيوبي ، وما يزال بعضها قائمًا حتى عصرنا الحاضر وإن تغيَّر استخدامها. وأشهر مدرسة أُنشئت في ذلك العصر هي المدرسة الصلاحية[2] ، ودرَّس فيها علماء من

(١) لمزيد من التفصيل حول العلماء في المدينة المقدسة في هذا العصر انظر : عبد المهدي ، الحركة الفكرية ، ص ٢٤-٣٣.

(٢) لا أعرف هل توجد علاقة بين هذه المدرسة والمدرسة الشافعية التي ذكرها ابن العربي في أواخر العصر الفاطمي ، وإن كنت أميل إلى أنها استمرار للمدرسة الفاطمية ، وأن ما عمله صلاح الدين يتمثل في أن المدرسة نسبت إليه نتيجة جهوده في تحرير المدينة. على كل الأحوال المتداول في المراجع أن المدرسة الصلاحية كانت قبل ذلك كنيسة أنشأها الصليبيون تحت اسم « كنيسة القديسة حنة » ، وحنة هذه هي والدة السيدة مريم العذراء ، وحولت إلى مدرسة إسلامية بعد الفتح الصلاحي سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م حسب وقفيتها ، وكانت طيلة العصور الإسلامية مركزًا لعلماء المذهب الشافعي ، ودرَّس فيها العشرات من العلماء والمشايخ المشهورين ، كما تعلم فيها المئات من الطلاب الذين اشتهروا لاحقًا في أرجاء العالم الإسلامي ، وبقيت المدرسة تقوم بدورها الثقافي حتى سنة ١٨٥٦ ، ثم سلمها العثمانيون للفرنسيين =

القدس وغيرها من المدن الإسلامية، وكان أولَ شيوخها قاضي القضاة بهاء الدين أبو العز يوسف بن شدّاد (٥٣٩-٦٣٢)، والموضوعات التي كانت تُدَرَّس فيها تتمثل في العلوم الدينية وعلوم العربية وعلم التاريخ وعلم الرياضيات، ومن مشايخها في العصر الأيوبي ابن عساكر والشَّهْرَزُوري وابن واصل الحموي[(١)].

القدس المملوكية والعثمانية :

ورثت المرحلة المملوكية المرحلة الأيوبية القصيرة، وفيها تطورت المدينة بشكل كبير فانتشرت المدارس والزوايا والخوانق في مختلف أنحاء البلدة القديمة في الحي الإسلامي، وتركزت في محيط المسجد الأقصى من الجهة الشمالية والغربية.

وكانت أساليب التعليم وطرقه في المرحلة نفسها - أي المملوكية - في المدينة المقدسة لا تختلف عنها في باقي مدن العالم الإسلامي، فما يقال عن القدس يمكن أن ينطبق على أي مدينة، وإن اختلف عدد الطلاب ومستوى التحصيل، وذلك نابع من حركة العلماء المسلمين المستمرة بين المراكز العلمية في العالم الإسلامي، وكانت بداية التعليم (المرحلة الأولى) تتمثل عادة فيما يسمى « الكتاتيب أو المكاتب » ، وقد يكون مكانها في مدرسة أو زاوية أو مسجد أو مكان ما .

= بسبب مساندة الفرنسيين للعثمانيين في حرب القرم ضد الإمبراطورية الروسية، واستعادها الأتراك في بداية الحرب العالمية الأولى، وحوّلها جمال باشا إلى كلية تحت اسم « صلاح الدين أيوبي كلية إسلامية » . عن المدرسة وتاريخها ووصفها انظر على سبيل المثال :

- عبد المهدي، عبد الجليل، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، عمان، مكتبة الأقصى، ١٩٨١، ج١ : ١٨١-٣٣٥ ؛ صلاح الدين أيوبي كلية إسلامه سي تعليماتنامه سي، قدس شريفده، فرانسيسكان مطبعه سنده، ١٣٣٣ / ١٣٣١.
- Sainte Marie ou elle est nee et la piscine probatique, Jerusalem, 1938.

(١) العسلي، كامل، معاهد العلم في بيت المقدس، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٨١، ص ٥٤-٩٥.

واقتصر تعليم الأطفال في هذه المرحلة على تحفيظ القران الكريم تلقينًا، إضافة إلى تعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة، وقد ذكر مجير الدين الحنبلي أكثر من مكان في القدس كان يتم فيه تعليم الأطفال في المرحلة المملوكية، ففي ترجمته للشيخ شمس الدين محمد بن عيسى البِسْطامي، قال عنه إنه كان صوفيًّا من فقراء البِسْطامية، وكان يُحفِّظ القرآن ويُقْرِئه للأطفال في المدرسة الطازية[1]، وكذلك الشيخ عمر بن إسماعيل الحنبلي كان يؤدِّب الأطفال بالمسجد الأقصى بالمكان المجاور لجامع المغاربة من جهة القبلة[2]، (مكان المتحف الإسلامي اليوم، وتحديدًا في الزاوية الجنوبية الغربية للحرم الشريف)، ويذكر مكانًا يقع في « باب الناظر » أحد أبواب الحرم الشريف، حيث كان يتم تعليم الأطفال، وكان يشرف عليه الشيخ علاء الدين علي بن عبد الله، وقد تعلم في هذا المكان مجير الدين الحنبلي نفسه عندما كان عمره عشر سنوات، فقد درس على الشيخ المذكور من سورة الأنبياء إلى سورة الفاتحة، كما ختم القرآن عليه عدة مرات[3].

وتكون المرحلة المتوسطة أو الثانية من التعليم في المدارس المشهورة، وفي الأبنية المتناثرة على جَنَبات الحرم الشريف وفي قبة الصخرة والمسجد الأقصى، على شكل محاضرات يلقيها الشيخ على تلاميذه المتحلّقين حوله، وقد يكون التعليم عن طريق الملازمة، ويحصل الطالب على إجازة بالسماع من شيخه في الكتب التي سمعها أو قرأها عليه، وتدوّن الإجازة على الكتاب على نظام الطبقات تبعًا لعدد مَن سمَّع الكتاب على مَرِّ السنين، فقد نجد العديد سماعاتٍ عديدةً على المخطوطة الواحدة وأحيانًا نجد سماعًا واحدًا[4]، وأكثر ما وردت تقييدات السماع على كتب

(١) الأنس الجليل، ج٢: ١٩٤.

(٢) المرجع السابق، ج٢: ٢٦٧.

(٣) المرجع السابق، ج٢: ٢٣٧.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: صلاح الدين المنجد، « إجازات السماع في المخطوطات القديمة »، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٥٥، مجلد١، ج٢، ص ٢٣٢-٢٥٠.

الحديث، نتيجة استخدام الأطراف المتصارعة في التاريخ الإسلامي هذه الأحاديث ، كلٌّ لدعم موقفه، فكان لا بد من استنباط طريقة للمحافظة على الحديث من خلال صحة السند، وتحوّل هذه الإجازة حاملها العمل في سلك التدريس.

كما أن قراءة النصوص على المشايخ كانت شائعة أيضًا، وشكّلت الإجازة - التي تعني اختصارًا الإذن في الرواية لفظًا أو كتابة[1] - جزءًا من نظام التعليم الإسلامي، وأكثر السماعات الموجودة على مخطوطات القدس وردت على كتب الحديث للتثبت من صحة رواية الحديث[2] ، وبصورة أقل في غيره من الموضوعات.

وأقدم السماعات على مخطوطات القدس يرجع إلى سنة ٥١٤ هـ، وورد على « مسند أحمد بن حنبل » ، وتم السماع في المسجد الجامع ببغداد (الخالدية ، رقم ٢١٩). وترد سماعات أخرى على كتاب « الملخص للمتحفظين » وهو ملخص لـ « موطأ مالك » ، من تأليف علي بن محمد المعافري المعروف بابن القابس، وسمعه عبد الله بن ظافر بن حمزة الفقاعي في ذي الحجة سنة ٥٧٥هـ (الخالدية، رقم ٢٠٦). وآخر كتاب نشير إليه هو « أسباب نزول القران » لعلي الواحدي النيسابوري، فقد قرأ النسخة تقي الدين فارس بن عبد الدايم بن سليمان من تل أم الربيع من أعمال الموصل، « وأعلمته أني سمعت الكتاب على

(١) عن الإجازات في التاريخ الثقافي الإسلامي ، انظر: دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، إعداد وتحرير إبراهيم خورشيد وآخرين، القاهرة، كتاب الشعب، ١٩٣٣ ، مجلد٢ ، ص ٢٣١ ؛ وانظر أمثلة عديدة على الإجازات التي نشرها أحمد رمضان في كتابه، الإجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن ٤-١٠ للهجرة، القاهرة، مطبعة هيئة الآثار المصرية، ١٩٨٦ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، مجلد ١٤ ، ص ٣٢٢-٣٤٠.

(٢) انظر مثالاً على ذلك : الإجازات العديدة التي وردت على مخطوطة « الفرائد المنتقاة الحسان من الصحاح والغرائب » لأبي الحسن علي بن حسن الخلعي، فهرس مخطوطات المسجد الأقصى، ج١ : ٦٠-٦٢، ويبدأ النص بـ « سَمَّع جميع هذا الجزء عليّ أبو الفضل محمد بن وحيد بن عساكر وولديه... وكتبه محمد بن يعلى الحراني في جُمادى الآخرة سنة ٦١٦ » ؛ وانظر أمثلة عدة إجازات لأفراد من عائلة العلمي، ترجع للقرن ١١-١٢، في فهرس مخطوطات المسجد الأقصى، ج٣، ص ٢٠٢-٢٠٩.

أبي الخير أحمد القزويني في النظامية بمدينة السلام ببغداد ، بمجالس آخرها يوم الخميس السادس من ربيع الثاني سنة ٥٧٤هـ ... ولما قرأ عليَّ فارس المذكور هذه النسخة لم تكن نسخة سماعي حاضرة ولا كان الكتاب محفوظًا ولا قابلناه ، قرأها متفهما يصحح من ألفاظها [...] البصراوي » (الخالدية رقم: ٧٨) .

ويحتاج التعليم إلى وجود الكتب في المدارس والمساجد ، ولذلك نجد أن الكتب باستمرار مرافقة للمدرسة ، وظاهرةُ توفُّر الكتب في دكاكين وأسواق خاصة في التاريخ الإسلامي مشهورة ومتداولة ، فنجد في كثير من المصادر إشارات متفرقة عند الترجمة لأحد العلماء المتوفَّيْن أو عند ذكر حوادث أو تغيير حكام - إلى مقتنياتهم من الكتب وغيرها، فمثلاً عندما يتحدث ابن إياس عن عهد صلاح الدين الأيوبي في مصر، يقول إن صلاح الدين استعرض حواصل الخلفاء الفاطميين، ووجد بها من السلاح والتُّحف والأموال ما لا يحصى ... ووجد خزانة كتب فيها ألف مجلد في علوم شتى، فأرسل لنور الدين الشهيد ما حسُن من ذلك ، واصطفى لنفسه ما اختاره[1].

وقد رافق مكتباتِ القدس التي نصطلح على تسميتها « مكتبات عامة »، مكتباتٌ خاصة لعلماء المدينة، ويبدو أنها لم تكن غنية بمحتوياتها، لأن مكتبات المدارس التي كانوا يدرِّسون فيها دروسهم تغنيهم عن اقتناء الكتب، ولكن في المرحلة العثمانية نجد دلائل في سجلات المحكمة الشرعية على وجود المكتبات الخاصة، وما إن وصلنا إلى نهايات العصر العثماني (القرن ١٨-١٩) حتى تقلّص التعليم في هذه المدارس إلى أن اندثر، ومن ثَمَّ انتقل عدد من كتب هذه المدارس إلى مكتبات خاصة . وعلى ما يبدو فقد تم نقل عدد من مكتبات المدارس إلى بيوت العلماء، أو أن العلماء الذين كانوا يدرّسون في تلك المدارس ويسكنون

(١) ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققه محمد مصطفى، فيسبادن، جمعية المستشرقين الألمان، الجزء الأول، القسم الأول، ص ٢٣٧.

فيها قد ورثوا هذه المكتبات والمدارس أيضًا، وهكذا أُضيفت إلى مجموعة مقتنياتهم من الكتب، وتم نقل ما تبقّى من مخطوطات المدارس إلى دار كتب المسجد الأقصى التي افتتحت سنة ١٩٢٢، وتم تجميعها من قِبَل المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين، الذي ورث - بدوره - الأوقاف ومدارسها.

كانت المكتبات في العصر المملوكي ضمن المحتويات الأساسية للمدارس والمساجد والزوايا، وفيها المصاحف والرَّبْعات، وكتب العلوم الدينية، واللغة العربية، والآداب، والرياضيات، والفلك. وتدل كثرة الكتب والعلماء في العصر المملوكي على اهتمام السلاطين والأمراء بالعلم، كما تدلُّ على تحسُّن الوضع الاقتصادي، وقد وصل إلينا من كتب العصر المملوكي حسب ما ورد في فهارس المكتبات قيد الدراسة ٨٦٤ مخطوطة ورسالة (انظر الجدول رقم ١) ، عدد منها يحمل تاريخ النسخ ، والعدد الآخر وضع التاريخ تقديرًا لأنه لم يرد، وعدد لعلماء مقادسة أو ممن درسوا في مدارس القدس، وآخر لعلماء من مصر، وبأعداد أقل من بلاد الشام وأقاليم العالم الإسلامي الأخرى.

وتعدُّ المرحلة العثمانية ضعيفة بأبنيتها إذا ما قارناها بالمرحلة المملوكية، ولعل أكبرَ المشاريع التي أسست في المدينة وأهمَّها في هذا العصر هو مطبخ خاصَّكي سلطان أو ما يتعارف عليه باسم «التكية»، وقد أنشأتْها زوج السلطان سليمان القانوني لإطعام سكان المدينة مجانًا(١). وأغلب الأعمال العثمانية تمثلت في التعميرات التي جرت على أبنية الحرم الشريف وأسوار القدس والأسْبِلة، ولا نستطيع أن نقلل من قيمة الأعمال العثمانية في ترميم الأبنية المملوكية، فلولاها لاندثر عدد منها على الأقل ولم تصل إلينا، ويجب أن نشير

(1) Singer, Amy, Constructing Ottoman Beneficence: An Imperial Soup Kitchen in Jerusalem, NY, State University of New York Press, 2000.

في عهدهم إلى إنشاء بعض المدارس الرسمية في آخر نصف قرن من عمر الإمبراطورية[1]، وقد استمر الاستخدام العثماني للأبنية المملوكية في المدينة للنواحي التعليمية، فنجد في صفحات سجلات المحاكم الشرعية المئات من الوثائق التي لها علاقة بأوقاف هذه المؤسسات وطلابها وموظّفيها من مدرسين وعُمّال (شغّالين) وبوّابين وكتب، فمثلاً نجد حججًا شرعية تتعلق بمقتنيات الكتب في زوايا القدس، مثل أسماء كتب الزاوية الأزبكية (سجل ٩أ: ٧٧)، والزاوية المولوية (سجل ٩ب: ٢٣٥)، والزاوية النقشبندية، ومعظم كتبها باللغة الفارسية (سجل ٧: ٢٣٢)، كما وجدت خزانة كتب في قبة الصخرة، يعمل على حفظها وخدمتها أكثر من موظف (سجل رقم ١٠: ٣١).

واستمر التعليم في العهدالعثماني على النمط المملوكي نفسه، ونفترض أن الكتاتيب قد استمرت تؤدي مهمتها في مجتمع المدينة، كما أنشئت كتاتيب جديدة مثل مكتب بيرام جاويش (ت ٩٧٠هـ / ١٥٦٢م)، الذي أنشأه الواقف سنة ٩٤٧هـ، وعيَّن مدرسًا للصبيان فيه بأجرة يومية عثمانيان، واشترط أن لا يؤخذ من الأطفال شيء، وفي حجة سابقة كان قد أوقف ١٥٠ قبرصيًّا ذهبًا، خمسون منها لإعمار الزاوية اليونسية مكان تعليم الأطفال، ومائة قبرصي تصرف في بناء حجر برسم سُكْنَى الفقراء[2]، وفي ٧ من شوال سنة ٩٤٨هـ وردت حجة شراء ١٨ قيراطًا من أراضي بيت ساحور، وأوقفها للصرف على الكُتَّاب[3].

---

(١) ذكر السيد يوسف النتشة في دراسته المعمارية عن القدس العثمانية خمسة وخمسين أثرًا عثمانيًّا متبقية في المدينة كالمساجد والأسبلة والخلوات والمحاريب والمساطب وغير ذلك، انظر:

- Ottoman Jerusalem, The Living City: 1517-1917, ecited by Sylvia Auld and Robert Hillenbrand, Architectural Survey by Yusuf Natsheh, London, Altajir World of Islam Trust, 2000.

(٢) انظر نص الحجتين في سجل المحكمة الشرعية في القدس رقم ١٢، ص ٢٦٤.

(٣) سجل رقم ١٤، ص ١٥٥.

كما استمر التعليم المتقدم في المدارس والمسجد الأقصى، ويبدو أنه حدث توسع في التعليم ونسخ المخطوطات، وإذا ما استنطقنا سجلات المحكمة الشرعية عن هذه المرحلة فإننا نصل إلى معلومات لم تكن معروفة عن الوضع الثقافي في المدينة في العصر العثماني.

وأود أن أشير إلى ظاهرة اقتناء الكتب وبيعها في المرحلة العثمانية من خلال وثائق السجلات التي تتعلق بحصر الإرث . وبشكل عام يلاحظ ارتفاع عدد هذه المكتبات وزيادة المقتنيات، فقد وردت حجة ترجع إلى سنة ٩٣٦هـ تتعلق بسرقة كتب من خلوة القاضي الشرفي موسى بن الديري الكائنة في المدرسة المنجكية، وأُلقي القبض على السارق واسمه محمد بن القاضي برهان الدين، عن طريق دلاّل الكتب محيي الدين بن البغدادي، وعدد الكتب التي سرقها ستة كتب، وقدر ثمنها بـ ١٥٠٠ فضة حلبية، ورهن السارق بيتًا له حتى يحضر الكتب[١]. وفي حجة بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٠١٥هـ أوقفت الحرمة سعادات بنت سليمان المرعشية ستة كتب وسلمت للشيخ محمد الخليلي، ليضع ذلك بالصخرة لينتفع بها طلبة العلم[٢]. وفي شعبان سنة ١٠٢٠هـ أوقف قاضي القدس مصطفى أفندي عبد الحليم ١١ مخطوطة ومقرها مكتبة الصخرة الشريفة[٣]. ونشير إلى الكتب التي تم تدوينها في أثناء تسجيل تركة مفتي الشافعية في القدس وتخمينها سنة ١١٠٢هـ ، ومن ضمن التركة ٢٢٠ كتابًا، بيعت أكثرية الكتب بسعر ٤٥ قرشًا للكتاب[٤]، ويمكن أن تمثل حجج حصر الإرث التي تحتوي على كتب جزءًا من موضوع لدراسة عن أسعار الكتب، وموضوعاتها وأماكن تنقلها وأسماء مشتريها، كما أنها تزيد معرفتنا بالوضع الثقافي في المدينة، وتقودنا إلى معرفة الوضع الاقتصادي للمدينة بشكل أكثر تحديدًا.

(١) سجل المحكمة رقم ١أ: ١٦٣ ؛ ١٦٨.
(٢) سجل المحكمة رقم ١٩٢/ أغلفة، ص ٥٢.
(٣) المرجع السابق، ص ٤٩٤.
(٤) سجل رقم ١٣٥ : ٣٦.

بلغ عدد المخطوطات التي ترجع للمرحلة العثمانية (انظر الجدول رقم ١)، والمقتناة في مكتبات القدس (٣٥٩٢ مخطوطة) ، وهذا يعني أن عددها في هذا العهد أكثر من أربعة أضعاف العناوين التي ترجع إلى العصر المملوكي، مما يدفعنا إلى التساؤل عن سبب هذا الفرق، وأظن أن ذلك نابع - كما ذكرت سابقًا - من بُعد الشُّقة الزمنية بيننا وبين المماليك، ومن ناحية أخرى قرب المدة الزمنية الحالية من العثمانيين، إضافة إلى أن عُمْر الحقبة المملوكية أكثر قليلاً من نصف عُمْر الدولة العثمانية في بلادنا ، هذا وقد تبيَّن لنا من فحص الفهارس أن هذه الزيادة في العدد ترجع إلى أن جزءًا ليس بقليل مما كتب في العصر العثماني، هو عبارة عن رسائل وحواشٍ وشروحات وفتاوى، وليس مؤلفات قيمة يشتريها الأثرياء أو يوصي بها المثقفون والعلماء ، مثل تلك التي ترجع إلى العصر المملوكي، وقد تكون هذه العناوين عبارة عن نسخ شعبية للطبقات الوسطى، أو أن الثقافة الشعبية أصبح لها دور في العصر العثماني.

ومن واقع الفهارس التي ترجع إلى المرحلة العثمانية المتأخرة نعرف أن مئات - وربما آلافًا - من العناوين قد أضيفت إلى أعداد المخطوطات العربية، ولكن التساؤل يتمثل في القيمة التي قدمتها هذه العناوين للثقافة العربية، وهل اقتصرت على الكم الهائل فقط . وبناء على نوعية الرسائل المفهرسة فإنها لم تقدم شيئًا في تطور فكر الإنسان العربي أو المسلم، كما لم يكن لها دور في تغيير نمط حياة البشر، فالعامل الاقتصادي - على ما يبدو - هو الذي قاد إلى هذه الظاهرة ، إذ تحولت إلى ثقافة ارتزاق، مثل أي حرفة يمكن أن يتعلمها الإنسان ليعيش منها . ويبدو أن قوة الثقافة الصوفية ونمط التفكير التقليدي المسيطرين على المجتمع هما اللذان رسما معالم ثقافة المجتمع، وتمثلت ثقافتها في اجترار الكتابات الفقهية المتمثلة في الفتاوى والأدب المصنوع المتكلّف . وطبيعي أن هذا ليس ظاهرة عامة، إذ نجد في مؤلفات ذلك العصر عناوين ابتعدت عن هذا التوجه، ولكنها نادرة .

تقسيم أعداد المخطوطات بين العصرين المملوكي والعثماني

	الأقصى	إسعاف	البديرية	الخالدية	المجموع
م. مملوكية	٤١٥	٧٠	١١٦	٢٦٣	٨٦٤
م. عثمانية	٧٠٥	٦٨٣	٥١٩	١٦٨٥	٣٥٩٢

(الجدول رقم ١)

باستعراض ما ورد في فهرس مكتبة دار إسعاف النشاشيبي[١] مثالاً على مؤلفات تلك الحقبة ، نجد أن ثلث الفهرس تقريبًا هو عبارة عن عناوين لأوراق ، كل منها لا يتجاوز أصابع اليد ، وترد تحت عناوين مختلفة : « نبذة مأخوذة من ... » ، « منظومة ... » ، « فتوى ... » ، وعدد الشروح في هذا الفهرست ٧١ ، والرسائل ٦٤ ، والحواشي ٢٣ ، وأغلبية هذه العناوين ترجع إلى نهايات العهد العثماني ، ما بين نهاية القرن الثامن عشر ونهاية القرن التاسع عشر . وتأييدًا لهذا التوجه - أقصد انتشار الكتب واقتناءها ومطالعتها بين الطبقة الوسطى - ذكرت بعض قيود التملك والمطالعة على بعض من المخطوطات ، وهذه القيود ترجع إلى أفراد من الطبقة الوسطى ، وخاصة من أصحاب الحرف ، وهذا قد يكون مؤشرًا على انتشار الثقافة بين أُناس عاديين ، وربما يدل على وجود نسخ شعبية للقراءة[٢] ، ونورد عددًا منها في ما يأتي :

- قَيْد ملكية باسم عبد الرحيم بن الشيخ علي المخلّلاتي . والغريب أن الكتاب الذي امتلكه هو « شرح الجامع الصغير في النحو » ، لمؤلفه إسماعيل اليمني (ت ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م)[٣] ، وهذا يدفع إلى التساؤل عن علّة اقتناء شخص يمتهن بيع المخلل كتابًا من ٣٩٨ ورقة ، في علم النحو !

(١) تم اختيار هذا الفهرس للدلالة على نوعية العناوين التي احتواها ، لأن أكثر من ٩٠٪ من عناوينه ترجع إلى المرحلة العثمانية ، ومن ثَمَّ هو أقرب مثال لوجهة النظر الثقافية التي ذكرناها.

(٢) انظر الدراسة الرائدة عن ثقافة الطبقة الوسطى : نللي حنا ، ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية ، ترجمة رؤوف عباس ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٣.

(٣) فهرس الخالدية رقم ١٤٧٢.

- صفوة الزُّبد لأحمد الرملي (ت ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠م) ، وعليه قَيْد ملكية نصه : « دخل هذا الكتاب في ملك الشيخ إبراهيم المصري بن الحاج يوسف الشهير بالسماك »[(١)].
- كشف الأسرار عما خفي عن فهم الأفكار للأقفهسي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م)، وعليه قيد مطالعة لشخص اسمه حسين الملاح بتاريخ ١١٦٧ ، ونسخة أخرى من المخطوطة السابقة عليها قيد مطالعة أيضًا باسم حسين ابن سعيد الصباغ سنة ١٢٦١[(٢)].

من مؤلفات العلماء المقدسيين في المكتبات :

إنَّ عدد العلماء الذين جاوروا في القدس من أجل العلم أو التقرُّب إلى الله أو نشأوا فيها ، يبلغون المئات ، وأود أن أشير إلى أحد العلماء المختصين في علوم القراءات ، وهو شمس الدين محمد بن محمد الجزَري (ت ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩م) ، الذي تولَّى التدريس في المدرسة الصلاحية بعد الشيخ نجم الدين ابن جماعة[(٣)] ، والغريب أنه لا توجد نسخة واحدة من كتبه الآن في المكتبة الخالدية أو البديرية ، وجميع نسخ كتبه في مكتبة الأقصى ، وقد يكون مردُّ ذلك إلى أن هذه النسخ قد نقلت من المدارس إلى مكتبة الأقصى التي كانت تتبع مؤسسة الأوقاف ، ويبدو أنها نُسَخٌ انتُسِخت للطُّلاَّب (كتب مدرسية)، ومن النسخ التي وصلت إلينا من كتبه :

- تقريب النشر في القراءات العشر : نسختان ، (الأقصى ج١ : ٩ ؛ ج٢ : ٢١٥).
- المقدمة في ما يجب على القارئ أن يعلمه ، وهي مشهورة باسم «المقدمة الجزرية»: عشر نسخ ، (الأقصى ج١ : ٥٤-٦١ ؛ ج٣: ٤٧٢ ، ٤٧٣).

---

(١) فهرس البديرية ، ج١ : ١٢٧.

(٢) المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥.

(٣) الأنس الجليل ، ج٢ : ١٠٩.

– تحبير التيسير: نسختان، (الأقصى ج١ : ٧ ؛ ج٢ : ٢١٤).

– الدرة المضية في قراءات الأئمة الثلاث المرضية: ست نسخ، (الأقصى ج١ : ٢١-٢٦).

– طيبة النشر في القراءات العشر: ثلاث نسخ، (الأقصى ج١ : ٣٦-٣٨).

نقتصر على ذكر أسماء ثلاثة علماء - في ما يأتي - ومؤلفاتهم التي وصلت إلى مكتبات القدس، وقد عاشوا ودرَّسوا في المدينة:

١ - عز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي (ت ٦٧٨هـ/١٢٧٩م)، ويوجد له من المؤلفات :

– كشف الأسرار عن الحِكم المودَعة في الطيور والأزهار، (البديرية ج٢ : ٦٣٠).

– حل الرموز ومفاتيح الكنوز: نسختان، (البديرية ج١ : ١٧٤ ؛ ج٢ : ١٧٥).

٢ - شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن الهائم (ت ٨١٥ هـ/ ١٤١٢م):

– غاية السُّول في الإقرارِ بالدين المجهول، (الأقصى ج١ : ٢٠٥).

– نزهة الأخبار في فن الغبار، (الأقصى ج١ : ٢٠٧).

– الوسيلة، (الأقصى ج١ : ٢٠٨).

– التحفة القدسية، (إسعاف ج١ : ٢٤٣).

– اللمع في الحساب، (الأقصى ج١ : ٢٠٦ ؛ إسعاف ج٢ : ٦٤٢).

٣ - محمد بن محمد بن أبي شريف (ت ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) :

– الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع، (الأقصى ج١ : ٢٦٥).

– منظومة في التجويد، (الأقصى ج١ : ٦٥).

– المسامرة في شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة ، (إسعاف ج١ : ٢٦١ ؛ الأقصى ج٢ : ٨٦).

- تعليقات على شرح المواقف، (الأقصى ج٣: ٥٠٠).
- شِفاء العِيِّ في رد الاستدراك على الشافعي، (الأقصى ج٣: ٥٦٩).
- فتاوى محمد بن أبي شريف، (الأقصى ج٣: ٥٧٢).
- حاشية على شرح نخبة الفِكَر، (إسعاف، ج١ : ٤٣).
- صوب الغمامة في إرسال العمامة، (إسعاف، ج١ : ٦٨).
- المسائل الملتقطة من تسهيل المقاصد في أحكام المساجد، (إسعاف، ج٦٩ : ١).

توزيع المخطوطات على القرون :

إن أكبر عدد من المخطوطات في مكتبات القدس يرجع إلى القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، فقد بلغ عددها (١٤٧٨) عنوانًا، ويلي ذلك مخطوطات القرن الذي سبقه أي الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي (انظر الجدول رقم ٢).

وقد تم احتساب أعداد المخطوطات المملوكية والعثمانية في مكتبات القدس، مع الأخذ في الحسبان التداخل بين العصرين، فحُمل القرن السابع الهجري على الحقبة المملوكية، رغم أن بداية حكمهم اعتبرت بشكل رسمي في منتصف القرن السابع الهجري تقديرًا ، علمًا بأن عدد مخطوطات القرن السابع في المكتبات الأربع أكثر بقليل من ستين مخطوطة. كما اعتبر القرن العاشر عثمانيًّا رغم أن الحكم العثماني بدأ في بداية العقد الثاني منه.

لم نُدخل مخطوطات القرنين الخامس والسادس الهجريين في الإحصاء ؛ لأنه توجد عشر مخطوطات في كل قرن، وهذه المخطوطات موجودة في المكتبة الخالدية، في حين لا توجد أية مخطوطة ترجع إلى القرن الخامس في أي من المكتبات الثلاث الأخرى، وهذا أمر مفهوم أن يقل عدد المخطوطات التي تعود

إلى الحقبة الإسلامية المبكّرة لبعد المدة الزمنية، ويبدو أن ذلك ناتج عن أن اقتناء الكتب في تلك الحقب كان مقصورًا على الطبقة الميسورة من الناس (الأثرياء) وذوي المراكز العليا في الدولة ؛ لأن أسعار الكتب كانت مكلفة بسبب ارتفاع سعر الورق وأجرة النُّساخ، كما أن النسخ الشعبية للكتاب لم تكن متوفرة، بسبب قلة الناس الذين يعرفون القراءة والكتابة.

ويلاحظ أن نحو نصف مخطوطات الشيخ الخليلي (ت ١١٣٧) يعود إلى العصر المملوكي، والنصف الآخر يعود إلى العصر العثماني ، لأنه عاش في منتصف مدة الحكم العثماني لفلسطين، كما أن مخطوطات العصر المملوكي يزيد عددها على مخطوطات المكتبة الخالدية إذا ما تم حساب عددها تبعا للعدد الإجمالي لمخطوطات كل مكتبة، ونسبتها ٢٨٪ من العدد الإجمالي للمكتبة، في حين إن نسبتها في المكتبة الخالدية تساوي ١١٪ من مجمل عدد مخطوطات المكتبة الخالدية، كما يلاحظ أن عناوين الكتب التي ترجع إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر في مكتبة الخليلي تبحث في الجفر وعلم الغيب، وهذه الكتب تم تزويد مكتبة الشيخ الخليلي بها بعد وفاته.

ويتبين من مجموع مخطوطات الجدول ارتفاع عدد المخطوطات بين القرن اللاحق والقرن الذي سبقه بنحو ١٠٠٪، اعتبارًا من القرن التاسع حتى الحادي عشر، وارتفع عدد الكتب المنسوخة في القرن الثاني عشر عن القرن السابق بنسبة أكبر قليلاً من ٣٠٪، في حين حصل انخفاض حاد في عدد كتب القرن الرابع عشر عن القرن الثالث عشر، وهذا قد يعدُّ مؤشرًا على انتشار الكتب المطبوعة بين السكان ، وخاصة في المدن ؛ لانخفاض سعرها وسهولة القراءة فيها، وقد أدى اختراع الطباعة في أوروبا في القرن الخامس عشر إلى زيادة إنتاج الورق ومن ثَمَّ انخفاض أسعاره، وبدأت هذه الصناعة بالتقدم في أوروبا والتراجع في العالم الإسلامي، وسيطرت إيطاليا على أسواق الورق في المشرق والمغرب العربيين،

واشتُهر الورق الإيطالي المصدّر من مدينة فينيسيا للدولة العثمانية بثلاث علامات مائية وهي : الهلال والنجمة والتاج ، وخاصة في القرنين ١٨و١٩[١] ، كما انتشر استيراد الورق الإيطالي في المغرب العربي أيضًا ، وكان مصدره مدينة البندقية . وقد نافس الورقَ العربيَّ الذي كان يصنع في الأندلس ، وتلمس المعارضة لاستيراد هذا الورق من خلال عنوان لرسالة كتبها ابن مرزوق (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م) بعنوان « تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ على كاغد الروم »[٢] ، وكان دخول هذا الورق إلى أقطار العالم الإسلامي عاملاً أساسيًّا في التشجيع على زيادة نسخ الكتب في القرنين ١٨و١٩[٣] ، ولكن تقليديًّا بقي نسخ الكتب يدويًّا مستمرًّا حتى بداية العقد الثاني من القرن العشرين ، وهناك أكثر من مخطوطة في المكتبات قيد الدراسة نسخت في هذه المدة ، وهناك أعداد من المخطوطات في مكتبات القدس - مثالاً على ذلك - نسخها بخطه الجميل الشيخ محمد أمين الأنصاري[٤] ، الذي كان يعمل قيّمًا على المكتبة الخالدية.

ويُعْزَى هذا التأخُّر في دخول الطباعة أو استخدامها بدل الخط اليدوي إلى ثقافة المجتمع التقليدي التي ترفض كل جديد ، رغم أن أول كتاب طبع باللغة

---

(1) Bosch, Gulnar and others, Islamic Bindings and Book Making, The University of Chicago, 1981, p. 32.

(٢) المنوني ، محمد ، تاريخ الوراقة المغربية ، الرباط ، جامعة محمد الخامس ، ١٩٩١ ، ص ٥٨. ووردت هذه الرسالة في كتاب المعيار للونشريسي.

(٣) للتوسع في هذا الموضوع انظر : ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية ، ص ١٣٨-١٤٣.

(٤) وردت مخطوطات عديدة في مكتبات القدس نسخت في مرحلة متأخرة ، وأكثرها عددًا كتبها الشيخ محمد أمين بن عمر بن محمد الدنف الأنصاري ، انظر في فهرس الخالدية الأرقام : ٨٩ ، ٩٥ ، ١٩٤ ، ١٤٨٩ ، كما احتوت مكتبة الأقصى على خمس مخطوطات ، والبديرية على خمس أخرى ، وقد ورد على رقم ١٤٨٩ من الخالدية النص الآتي : « هذه النسخة نقلت من أخرى لدى الشيخ أبي السعود الخلوتي مفتي الشافعية بالقدس على نفقة مؤسس المكتبة الخالدية الحاج راغب الخالدي » ، واسم المخطوطة « بحر العوّام في ما أصاب فيه العوام » ، نسخها الأنصاري في ٩ من صفر سنة ١٣٣٢ ؛ ونسخ مخطوطة أخرى رقمها ١٥٠٢ ، والأصل استعير من المكتبة البديرية.

العربية في أوروبا يرجع إلى سنة ١٨٣٤، وأول كتاب طبع في الشرق كان في بيروت سنة ١٨٣٦/ منتصف القرن الثالث عشر الهجري، وهو من تأليف ناصيف اليازجي، وعنوانه «أصول لغة العرب»، في حين إن أول كتاب طبع في إستانبول باللغة العثمانية كان سنة ١٧٣٢.

وجدير بالملاحظة أن الكتب التي طبعت في بداية دخول الطباعة إلى الشرق كانت عبارة عن كتيبات دينية[١]، وأول إذن صدر لتأسيس مطبعة في إستانبول كان سنة ١٧٢٧، وأعطي الترخيص على شرط أن لا يطبع القرآن فيها، لمعارضة رجال الدين استخدام الآلة في كتابة المصحف[٢].

توزيع عناوين المخطوطات في المكتبات على القرون

القرن	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
إسعاف	١	٣	٦	٢٥	٣٦	١٥٦	٢٠٦	٣٠٥	٦
بديرية	١	٥	١١	٢٥	٧٥	١٦٨	٢٧٨	٦٤	٩
أقصى	١	٥	١٧	٤٩	٨٩	١٠٥	١٩٢	١٣٢	٢٩
الخليلي	١	٧	٦٨	٧٣	٩٧	١١١	١٢٦	٩	٢
خالدية	١٠	٤٣	٨٥	١٣٥	٢٦٤	٤٣٨	٦٧٦	٢٤٥	٣٥
المجموع	١٤	٦٣	١٨٧	٣٠٧	٥٦١	٩٧٨	١٤٧٨	٧٥٤	٨١

(الجدول رقم ٢)

تحليل موضوعات مخطوطات القدس:

تعد مخطوطات الفقه في مكتبات القدس الأكثر عددًا في عناوينها من الموضوعات الأخرى، فعددها يزيد قليلاً عن ٢٠٪ من العدد الإجمالي

(1) The Beginning of Printing in the Near and Middle East: Jews, Christians and Muslims. Wiesbaden, Harrassowitz, 2001, p. 20.

(٢) ستيبتشفيتش، ألكسندر، تاريخ الكتاب، ترجمة محمد الأرنؤوط، الكويت، عالم المعرفة، رقم ١٦٩، ١٩٩٣، ص٢٤٨.

للمخطوطات، ويبدو أن مردَّ ذلك إلى أن الذين جمعوا هذه المخطوطات هم من العلماء والقضاة والمفتين، ومن ثمَّ فهم يحتاجون إلى كتب الفقه أكثر من غيرها، للرجوع إليها في فتاواهم ودروسهم وأحكامهم الشرعية، ذلك أن الفقه هو نظام حياة المسلمين، وهو الذي كان يسيِّر حياتهم.

ويلي ذلك في العدد كتب ورسائل التصوف، التي بلغت نسبتها أكثر قليلاً من ١٠٪ من مجموع المخطوطات الكلي (انظر الجدول رقم ٣) ، وهذا يشير إلى انتشار ظاهرة التصوف بين السكان، ويرتفع عدد كتب التاريخ في مكتبة الأقصى بسبب دمج كتب السيرة النبوية ضمن موضوع التاريخ في الفهرس، في حين وردت منفصلة في فهارس المكتبات الأخرى، ويشير ذلك إلى أن الثقافة الدينية هي التي كانت مسيطرة على المجتمع، وهذا ليس بمستغرب لأن هذه الثقافة كان لها إسهام في الارتزاق وإيجاد مصدر للُقْمة العيش، إضافة إلى أنها ثقافة حياة تساعد الناس على الاستمرار في حياتهم الصعبة.

ويوجد كثير من الرسائل الصغيرة ، وشروح عليها في جميع المكتبات، مثل : « رسالة الاستعارات » و « الرسالة العضدية » ، كلاهما للسَّمرقندي، وعليهما عشرات الشروح ، ففي المكتبة البديرية عشرون نسخة من « رسالة الاستعارات » ، في حين يوجد عشرون نسخة من « الرسالة الوضعية » وشروحها في مكتبة الأقصى . وكثير من المؤلَّفات هي رسائل أو نسخ تبحث في إيجاد شروحات وحواشٍ على حواشٍ أو على شروحات.

في حين نجد أن الكتب العلمية أو التي لها علاقة بالعلم محدودة جدًّا ولا يوجد أي تجديد فيها ، فكتب الرياضيات معظمها لابن الهائم (ت ٨١٥ هـ/ ١٤١٢م) وسبط المارديني (ت ٩١٢هـ/١٥٠٦م) . كما أن الكتب التي تتعلق بالطب محدودة أيضًا وأكثرها تتعلق بالطب النبوي والطاعون، وشروحات على بعض كتب الطب القديمة مثل شرح على « منظومة ابن سينا في الطب » ، وكتاب

ابن حجر العسقلاني « بذل الماعون في فضل الطاعون »، وكتاب آخر لأحمد الحموي عنوانه « الدر المكنون في الكلام على الطاعون » ، ورسالة أخرى للسيوطي في أربع صفحات بعنوان « مقامة في الحُمَّى » ، وعلى ذلك فلا يوجد أي ابتكار أو تجديد، بل إن هذه المؤلفات هي إعادة اجترار لمؤلفات سابقة.

توزيع عناوين المخطوطات في المكتبات على الموضوعات

الموضوع	علوم القرآن	الحديث	أصول الدين	تصوف وآداب	الفقه	لغة عربية	أدب عربي	التاريخ
إسعاف	١٤	٢٨	٩١	١١٨	١٧٧	٧٩	٣٦	٤١
بديرية	١٨	٥٦	٥٧	٩٣	٥٦	٥٨	٩٥	١٠
الأقصى	١٢٣	٧٣	٦٥	٥٥	١٠٢	٧٣	١٣	٤١
الخليلي	٢٢	٦٩	٣٥	٤٥	١٣٩	١٨	٢٦	٤٦
خالدية	٤٠	١٥٢	١٥٦	٢٦٧	٥٣٣	١٦٧	١٤٦	١٢
المجموع	٢١٧	٣٧٨	٤٠٤	٥٧٨	١٠٠٧	٣٩٥	٣٠٦	١٥٠

(الجدول رقم ٣)

التقييدات المضافة على المخطوطات :

إن الملاحظات التي يتمُّ تدوينها على المخطوطات، سواء ممن طالعوها أو ملكوها لم تدرس من قبل[1] رغم أهميتها، وأعتقد أنها ستكون ذات فائدة كبيرة إذا ما تم دراستها وترتيبها وتجميعها، لأنها تعطينا تاريخًا كاملاً عن مالكي الكتب وحركتها بين مدن العالم الإسلامي، كما تضيف إلينا أسماء أهملها التاريخ المكتوب وتواريخ ميلاد أشخاص عديدين ذكورًا وإناثًا، وحوادث تاريخية وطبيعية مثل الزلازل والثلوج، جرت في أيام تدوين هذه الملاحظات. صحيح أنها معلومات مختزَلة ومتفرقة بين عشرات الآلاف من النسخ، ولكنها في المحصِّلة

(١) ذكر لي أحد المهتمين بالمخطوطات مقالاً كتبه د. أيمن فؤاد سيد حول هذا الموضوع، ولكن للأسف لم تتح لي الفرصة للاطلاع عليه أو حتى معرفة جهة نشره .

تكشف لنا عن تاريخ مجهول لحركة ثقافية كانت ناشطة بين أقطار العالم الإسلامي، والحوادث لا نعرف عنها شيئًا.

وأحيانًا نجد تقييدات على المخطوطات تفيدنا بمدى اهتمام بعض العلماء باقتناء مخطوطة ما، ونلمس من ذلك مدى الجهد والمعاناة التي بذلوها في الوصول إلى النسخة، والشعور الغامر الذي ينتابهم ومدى الشوق والفرح حين يحصلون عليها، ثم نشير إلى بعض الحوادث الطبيعية والسياسية التي دوّنت عليها، وننقل تقييدات وجدت على إحدى مخطوطات الخالدية، لنبين عدد مَن امتلكوها وسجّلوا إجازات عليها، وآخرين قرأوها، ونستعرض في ما يأتي جزءًا مختارًا من هذه التقييدات لإعطاء فكرة عما تحتويه هذه التقييدات من معلومات.

- دُوِّنَ على كتاب « الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه » للعَسْكري ما يأتي : « هكذا وجدت أصله مبتورًا وما حصَّلته إلا بعد تعب كثير وجهد شديد »[1].

- على كتاب « بدائع البدائه » في من قال شعرًا على البديهة، لعلي بن ظافر الأزدي : « لله الحمد فقد ظفرت بابن ظافر وأنا الفقير محمد بن بدير القدسي »[2].

- في نهاية مخطوطة « حاشية على الحواشي الأحمدية على الفوائد الفنارية » للطَّرَسُوسي، ونسخ الكتاب في آخر شوال سنة ١١١٨هـ في مدرسة قباد باشا في طَرَسُوس، ما نصه : « فتصادف الفراغ من تسويد الأوراق سلخَ سابقه الثانية عشر [١٢ شوال] ... وليلتئذ قد وقع زلزلة عظيمة كاد أن تذهل كل مرضعة عما أرضعت .... »[3].

(١) فهرس الأقصى، ج١ : ١٩٩.

(٢) فهرس البديرية، ج٢ : ٤٥٠.

(٣) فهرس الأقصى، ج٣: ١٧٤.

« في يوم الخميس ١١ ذي القعدة سنة ٩٥٢هـ، حدث زلزال في مدينة القدس وتوفي خلقٌ كثير تحت الردم وفي الطرق وبلاد القدس »(١).

- ورد على بداية مخطوطة « المورد المعين في شرح الأربعين » لسليمان الصَّرْصَري (ت ٧١٦هـ/ ١٣١٦م) قيدٌ نصُّه : « ومن غريب ما يؤثر أنه في ليلة السبت ٢٦ محرم من سنة ١٠١٥ عَذُب البحر بساحل الشام ، وزاد عن معتاده كثيرًا حتى وصل إلى مكان لم يكن يصله ماؤه من قبل ذلك، وظهرت عذوبة مائه لكل أحد ، حتى إن أهل المراكب علموا ذلك وهم على أميال من الساحل ، فملأ كلٌّ أوعيةً مما يليه ، ووصل إلى حد التواتر ، وبقي كذلك من مغرب الليل إلى صباحها ، والناس يردون منه متعجبين ومظهرين التسبيح ... ولقد شربت مما ملئ منه فكان أشبه بماء زمزم ... وكتبه محمد فتح الله بن محمود البيلوني الحلبي نزيل طرابلس »(٢).

- « أخبرنا ... الشيخ أحمد بن عبد العزيز العباسي السِّجِلْماسي حين تشرفنا به برملة فلسطين، وأخذ عنه الإجازة في يوم الثلاثاء ٢٦ شعبان سنة ١٠٨٧ ، أنه طالع كتابًا جاء من ملك سنار(٣) يخاطب فيه القاضي عمرو السَّنوسي المغربي قاضي المالكية بمصر ... أنه يوم الاثنين بعد العصر ٢١ من ذي القعدة سنة ١٠٨٦ سقط حجرٌ من السماء من معدن الياقوت ، ووُجد مكتوب عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ثم بعد ذلك بأيام سقط حجر آخر صغير

---

(١) فهرس الخليلي ، ج٤ من مخطوطات الأقصى : رقم المخطوطة ٧٤٠.

(٢) فهرس الخالدية ، مخطوطة رقم ١٩٢.

(٣) تقع مملكة سنار في الجزء الجنوبي الشرقي من السودان ، وكان ملك سنار في التاريخ المذكور بادي أبو ذقن ، وقد حكم بين سنوات ١٦٤٣-١٦٧٨ ، وكان مشهورًا بالشجاعة والكرم والتعبد ، معظمًا لأهل العلم والدين، وكان بينه وبين علماء مصر اتصال حسن ، وكان يرسل إليهم الهدايا مع خبيره أحمد علوان، انظر عنه وعن عهده: شقير، نعوم، تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، القاهرة، مطبعة المعارف، ١٩٠٣، ج٣، ص ٧٦-٧٩.

مكتوبٌ عليه أيضًا « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ثم ذكر أنه أرسل الحجر أولاً إلى الحجرة النبوية »[1].

– قال ابن الجزَري في آخر كتابه « الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين وسلاح المؤمنين من خزانة النبي الأمين » ما نصه : « فرغت من ترصيف هذا الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين يوم الأحد بعد الظهر الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٧٩١ ، بمدرسته[2] التي أنشأها برأس عَقَبة الكَتَّان داخلَ دمشق ... هذا وجميع أبواب دمشق مغلقة بل مشيَّدة بالأحجار ، والخلائق يستغيثون على الأسوار والناس في جهد عظيم من الحصار ، والمياه مقطوعة ، والأيدي إلى الله تعالى بالتضرع مرفوعة ، وقد أحرق ظاهر البلد ونهب أكثره ، وكل واحد خائف على نفسه وأهله وماله ... وقد تحصن بما يقدر عليه ، فجعلت هذا حصني... وقد أجزت الأولاد أبا الفتح محمدًا وأبا بكر محمدًا وأبا القاسم عليًّا وأبا الخير محمدًا ، وفاطمة وعائشة وسلمى وخديجة – روايته عني ، مع ما يجوز لي روايته ، وكذلك أجزت أهل عصري ... »[3] .

(١) فهرس الخالدية ، مخطوطة رقم ١٧٤.

(٢)تُعرف المدرسة التي أقامها بدار القرآن الجزرية ، وكان يدرس فيها القراءات المختلفة للقرآن الكريم ، انظر : ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، [د. ت. ن.]، ج٧ : ٢٠٤.

(٣) فهرس الخالدية ، مخطوطة رقم ٢٣٤، وما يشير إليه ابن الجزري في هذه المعلومة يرجع إلى الحوادث التي نشبت في العصر المملوكي إبان تولي الظاهر برقوق الحكم وصراعه مع المماليك ، فقد ملك برقوق دمشق ثم طرد منها في ذي الحجة ، وعاد ودخلها مرة أخرى ، ونتيجة عراك نشب بين مماليك برقوق وبعض أهل السوق رجم أهل دمشق الظاهر برقوق وأخرجوه منها وأغلقوا أبواب المدينة ، وجميع هذه الأحداث وردت في السنة التي ذكرت على المخطوطة ، انظر : ابن إياس ، محمد بن أحمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققه محمد مصطفى ، فيسبادن ، جمعية المستشرقين الألمان ، ١٩٧٤ ، ج١ ، قسم ٢ ، ص ٤١٨ - ٤٢٣.

والحادثة نقلت من الأصل الذي كتبت عنه إلى النسخة التي أُعيد نسخها سنة ١١٦٧هـ ، وهي حادثة تاريخية ولكنها تشير إلى أنه كتبها لتكون له ولعائلته حِرْزًا وحمايةً مما يجري في دمشق، وهذا الاعتقاد ثقافة كانت منتشرة بين أهالي العصر.

ونشير إلى التقييدات التي وُجدت على إحدى المخطوطات، مثالاً على مدى ما تحويه من أسماء عديدة، ورغم أن هذا الكتاب لا تتعدى أوراقه ١٠٩ أوراق، فإننا نجد عليه جميع هذه الأسماء ، مما يدل على مدى انتشار ظاهرة التصوف بين الناس، والتقييدات تتعلق بإجازات وقيود ملكية وقيود مطالعة، وتفيدنا هذه القيود في معرفة رحلة هذا الكتاب بين أقطار عديدة، وأسماء كثير من العلماء ووظائفهم، والكتاب هو « الجوهر المصون والسر المرقوم في ما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم » ، وهو تفسير صوفي للشَّعْراني[1] .

إجازات للعلماء الآتية أسماؤهم:

- ناصر الدين اللَّقّاني المالكي.
- شهاب الدين الفتوحي المالكي.
- شهاب الدين الشلبي الحنفي.
- ناصر الدين الطّبلاوي الشافعي.
- شهاب الدين الوفائي الذاكر.
- نجم الدين الغَيْطي الشافعي.
- عبد القادر الشاذلي، من تلامذة جلال الدين السيوطي.
- شمس الدين البرهمنوشي الحنفي.

(١) فهرس الخالدية، رقم ٦٩.

قيود مِلكية:

- يوسف بن بدر الدين الحنفي الخلوتي الماتُريدي.
- محمد بن الحاج صالح الحواش.
- أحمد العلمي المتشرف بخدمة الختمة الشريفة.
- أحمد بن صلاح الدين العلمي خادم نعال الفقراء.
- الحاج حسن الحسيني الخلوتي المفتي بالقدس.

قيود مطالعة:

- إبراهيم خليل الخالدي.
- خليل الخالدي.
- أحمد بن صلاح الدين بن أحمد صالح بن عمر العلمي، خادم فقراء الشاذلية والإمام والمدرس بالصخرة والخطيب بالأقصى.
- نظر في هذا الكتاب الفقير نعمان.
- محمد الحافظ بن جمال الدين القدسي القاضي في دمياط.
- علي بن يونس النابلسي.

انتقال ملكية المخطوطات:

يلاحظ على مجموعات هذه المكتبات أنها اشتملت على أعداد من مخطوطات المكتبات التي اندثرت، وانتقل جزء من كتبها إلى المكتبات التي ما تزال قائمة، فكثيرًا ما نجد بين مجموعة ما، مخطوطات تحمل علامات تملك تتبع مكتبات أخرى، ولا نعرف على وجه التحديد كيف وصلت هذه المخطوطات إلى تلك المكتبة، فيوجد - على الأغلب - أكثر من طريقة لتفسير ذلك:

الأولى: عن طريق الاستعارة لمخطوطة أو أكثر من أجل نسخها للمكتبة أو قراءتها، وكانت هذه ظاهرة منتشرة بين مكتبات القدس، ولسبب من الأسباب لم تكن تعاد هذه الكتب إلى مكتبتها الأصلية مرة أخرى، ومما يدل على تسرُّب الكتب بهذه الوسيلة - والمقصود الاستعارة - القول أو الحكمة التي دُوِّنت على إحدى مخطوطات البديري التي نصها: « قالت الأقدمية لا تعِر كتابك واجعل العذر جوابك »[1].

الثانية: من خلال شراء المخطوطات من الورثة، أو الاستنساخ أو النَّسْخ أو الاستكتاب، فبعد الوفاة يتم عمل حصر إرث المتوفَّى لتحديد ملكيته وورثته، ويتم بيع التركة ومن ضمنها الكتب من خلال دلّال الكتب، ومن ثَمَّ تنتقل كتب المكتبات بين بعضها وبعض، وهذا أكثر التفسيرات قبولاً في تواجد عشرات من النسخ التي تخص مكتبة عالِم ما في مكتبة أخرى، كما كان يتم استنساخ كتاب مطلوب أو مفقود من الأسواق، لشخص أو لمكتبة، وعلى إثر ذلك كان الكتاب ينتقل من مكتبته الأصلية إلى الجهة التي تريد نَسْخه. وطبيعي أن يقوم بذلك بالأجرة ناسخ أو شخص يعمل في المكتبة، وقد يقوم أحيانًا العلماء المجاورون في الأزهر أو العاملون في الآسِتَانة أو غيرهما بنسخ كتب لمكتباتهم. ونستعرض هنا جزءًا من النصوص التي وردت على المخطوطات وتشير إلى ذلك:

المكتبة الخالدية، والأرقام تشير إلى أرقام المخطوطات في الفهرس:

- ٤٣٤ : « تملكه الفقير - بالاستنساخ والكتابة - الحاج حسن القاضي بمدينة نيكبولي [بلغاريا] مؤقتًا »، « ثم دخل في سلك ملك الفقير محمد بن أحمد المولى في أدنه المحمية »، « ثم دخل في ملك داود محمد المشهور بمحيي الدين كلناري سنة ١١٢٠ ».

(١) فهرس البديرية، ج٢: ٤٧٩.

- ٤٢٧ : « آل إليَّ بالشراء الشرعي من تركة المرحوم عبد الحي أفندي سنة ١٢٧٤هـ » .
- ٧٦٠ : « تمت على يد كاتبها صنع الله الخالدي حال مجاورته في الأزهر ٢٢ ربيع الثاني سنة ١١٦٢هـ » خالدية ٧٦٠.
- ٩٠٨ : « انتقل بالشراء الشرعي في ملك الفقير أحمد نسيبة الخزرجي الأنصاري سنة ١١٦٠هـ » .
- ٩٥٨ : « ساقه القضاء والتقدير للعاجز المسكين الفقير إبراهيم عبد المعطي المهتدي ، وذلك بالشراء الشرعي من تركة المرحوم الشيخ السفاريني سنة ١٢٦٣هـ » .
- ١١٥٠ : « استكتبه الفقير خليل بن مصطفى الإمام والخطيب بجامع والدة السلطان سنة ١١٧٠هـ » .
- ١٢٩٩ رسالة الغفران : « استنسخت هذه الرسالة من نسخة نسخت في مدينة السلام في شهر رجب سنة ٦٦٨ ، وموجودة في دار السعادة في خزانة كتب المرحوم كوبريلي محمد باشا الكائنة أمام تربة السلطان محمود خان في ٢١ من رمضان سنة ١٣٠٦هـ . حرره الفقير ضياء الدين الخالدي » .
- ١٤١٨ : « اشتراه موسى الخالدي من تركة المرحوم عبد الحي أحمد جار الله وفا اللطفي بتاريخ ١١٨٥هـ » .
- حاشية المواهب اللدنية للشبراملسي ، جزآن ، استكتبه أحمد بن عمر الأسقاطي ، ثم وصل إلى مكتبة الشيخ محمد بدير ، كما يوجد قيود على أول النسخة أيضًا تتعلق بتواريخ ولادة أبناء أحمد الأسقاطي وهم مصطفى يوم الاثنين ٢٦ من جمادى الأولى ١١٢٤ ، وصالحة يوم الاثنين ٩ من رمضان سنة ١١٢٤ ، ومحمد ليلة السبت منتصف شهر ربيع الأول سنة ١١٠٨[1] . ويبدو أنه كان له أكثر من زوجة .

(١) المرجع السابق .

الثالثة : أندثار هذه المدارس ، ومن ثم أخذ العاملون أو غيرهم جميع محتوياتها سواء للبيع أم للامتلاك ، ولدينا أمثلة على وجود نسخ في مكتبة الأقصى من مكتبات مدارس القدس ، وهو أمر طبيعي لأن مؤسسة الأوقاف في زمن الانتداب البريطاني كانت الوريث الشرعي لمؤسسات الأوقاف ومدارسها من العصر العثماني ، ففي مكتبة الأقصى نسخ من الخانقاه الباسطية ، والمدرسة الجركسية ، والمدرسة الحسينية ، والمدرسة الطولونية ، ونقتصر على ذكر المثال الآتي : وقف قاضي قضاة حلب علاء الدين علي الحلبي الشافعي على المدرسة الصلاحية كتاب « روضة الطالبين وعمدة السالكين » وجعل متوليًا على الكتاب أحمد بن الهائم طيلة حياته ومن بعده أولاده ، تاريخ ١ من شوال سنة ٨١٤ هـ[١].

ونستعرض في ما يأتي أسماء مالكي بعض من هذه المكتبات ، وقد عرفنا هذه الأسماء من خلال التقييدات على المخطوطات وإلا لما سمع بها أحد ، وهذه التقييدات قد تقود إذا ما تمت دراستها بشكل كامل ، إلى الكشف عن عشرات من المكتبات التي لم نسمع عنها ، ونشير إليها مع ذكر أماكن مقتنياتها في مكتبة الأقصى وإسعاف والبديرية ، مع ذكر عدد النسخ الموجودة في المكتبات الثلاث :

- مكتبة المفتي حسن بن الحسيني الخلوتي(ت ١٢٢٦/١٨١١)[٢] ، ويوجد من كتبها (٥٨) مخطوطة.
- مكتبة الشيخ محمد الخليلي (١١٤٧/١٧٣٤) ، مفتي الشافعية في القدس (٢٠) مخطوطة.

(١) فهرس الأقصى ، ج٢ : ١٧٤.

(٢) هو حسن بن عبد اللطيف الحسيني ، مفتي الأحناف في القدس ونقيب الأشراف ، ولد في المدينة سنة ١١٥٦/١٧٤٣، ودرس في كتاتيبها ، وله مؤلف مشهور عنوانه « تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر ، حققه سلامة صالح النعيمات ، عمان ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٥ ، وله مجموعة فتاوى ، موجود منها نسخة في الجزء الأول ، ص ١٠٩ ، من مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي ، انظر : مناع ، عادل ، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني ١٨٠٠-١٩١٨ ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٩٥ ، ص ١٠٩.

- مكتبة الشيخ خليل الخالدي (ت ١٩٤١)، الذي عمل في حياته رئيسًا لمحكمة الاستئناف في فلسطين، (١٠) مخطوطات.
- مكتبة لدار العلمي، (١٠) مخطوطات.
- مكتبة عبد الحي جار الله، (٨) مخطوطات.
- مكتبة أحمد عبد الله السردي، (٩) مخطوطات.
- يوجد في مكتبة الأقصى (١٤) كتابًا أوقفها على الحرم الشريف داخل قبة الصخرة، الحاج مصطفى أغا وكيل دار السعادة في مصر سنة ١٢٠٤ .

إن أكبر عدد من المخطوطات أو الرسائل لمؤلف واحد في المكتبات الثلاث « الأقصى (بدون مجموعة الخليلي) وإسعاف ، والبديرية » لجلال الدين السيوطي، فقد بلغ عدد عناوينه فيها (٩٣) عنوانًا، وجزء منها مكرر، يلي ذلك مؤلفات محيي الدين بن عربي، بلغ عدد عناوين كتبه (٣٩) عنوانًا ، ثم أبي يحيى زكريا الأنصاري (٢٧) عنوانًا .

النُّسَّاخ :

إن مهنة الوراقة التي كانت محدودة في مدينة القدس في العصر العثماني، لا شك أنها امتداد من العصر المملوكي، ولم تكن هذه الحرفة في القدس كمثيلاتها في مصر أو الشام، فكانت لها فيهما مراكز علمية على مستوى إقليمي، في حين إنها في القدس تخدم مجتمعًا محدودًا، ويغطي هذا المجتمع حاجته من الكتب بنسخها في تلك الأماكن.

ويتم انتقال المعرفة بين طبقات المجتمع بواسطة تداول الكتب، التي يتم نسخها بواسطة مِهْنِيٍّ يسمى ناسخًا، يرتزق من هذا العمل، وقد يكون عالمًا أو شخصًا عاديًا أيضًا، ولكي يمتهن أي شخص هذا العمل عليه إتقان القراءة

والكتابة أولاً، وثانيًا أن يمتاز بجودة الخط إلى حد ما. وعلى الأغلب كان يتم نسخ الكتب في حوانيت الوراقة، وكان يوجد في بعض مدن العالم الإسلامي أسواق خاصة بالورّاقين، ولكن حتى الآن لم أجد ما يشير إلى وجود سوق للورّاقين في القدس، وهذه المهنة لا تحتاج إلى رأس مال كبير، فموادّها تتمثل في الورق وريش الكتابة والحبر، ويتم شراؤها جميعًا جاهزة من السوق، باستثناء الحبر الذي يقوم الناسخ بشراء مواده من سوق العطارة، ثم يقوم بتركيبه.

وفي تاريخ القدس الثقافي في العصر العثماني، نجد أسماء نساخ يقومون بنسخ الكتب لأنفسهم، وآخرين بالأجرة حسب الطلب، وقد وردت أسماء رسائل نسخها محمد طاهر بن عبد الصمد الحسيني (ت ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م)، الذي عُيّن مفتيًا للمدينة سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م بعد شغور المنصب بوفاة عمه، ونسخ مجموعة الرسائل بلغ عددها (٣٤) رسالة في وقت فراغه لثقافته الشخصية، وموضوعاتها لا علاقة لها بالإفتاء، فهي في الفلك والرياضيات والأنساب والتراجم والتفسير، كما أن تاريخ النسخ مختلف، فقد نسخت المجموعة في السنوات: ١٢٢٥، ١٢٤٠، ١٢٤١هـ.

وورد اسم ناسخ آخر يدعى عمر بن عثمان بن عمر بن علي بالي المقدسي الحنفي، وبلغ عدد العناوين التي نسخها (٢٠) عنوانًا، وورد اسم ناسخ في مدينة دمشق، وهو في الأصل من الجزائر، واسمه محمد بن عربي الجزائري، وقد كتب (٨) عناوين، وجميعها رسائل لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، وقام بهذا العمل بناءً على طلب من مفتش المعارف بدمشق طاهر ابن العلاّمة صالح الجزائري الدمشقي سنة ١٨٨٤.

ولدينا معلومات أولية عن طائفة الورّاقين في العصر العثماني، وجميع المعلومات المتوفرة عنها ترجع إلى سجلات المحكمة الشرعية في القدس، وهي

ليست طائفة حرفية كبيرة، كما كان في مصر أو سورية، فقد كان عدد الأسماء التي وردت محدودًا جدًّا، ويبدو أن عمل أفراد هذه الطائفة كان محليًّا فقط، وقد يكون ممارسو هذه المهنة لا يعتمدون بشكل كامل على الارتزاق من هذه المهنة، على الأقل في مرحلة ما قبل القرن الثامن عشر، وكان لهم شيخٌ ينصبه الحاكم الشرعي، فقد وردت حجة سجلت سنة ١٠٩٥هـ، مضمونها تنصيب محمد البتيري (نسبة إلى قرية بتير الواقعة جنوبي القدس) شيخًا على من يتعاطى بيع الكتب بالقدس[١]، وفي مرحلة لاحقة (سنة ١١٠٢هـ) وردت حجة أخرى بتنصيب الشيخ منصور بن الحاج عبد الرحمن متكلمًا على المجلِّدين والدَّلالين، وذكرت الحجّة أن سبب تعيينه أنه ماهر في صناعته[٢]، ومنذ مدة مبكرة في العصر العثماني نعرف أن هذه المهنة كانت موجودة، ومن خلال إحدى حجج حصر الإرث التي ترجع إلى سنة ٩٤٣هـ، نعرف أسماء الأدوات التي كان يستخدمها المجلّد في عمله[٣].

وكنت آمل أن أُضيف شيئًا عن دور الحركة الصوفية في الثقافة في ذلك العصر، وكذلك عن المصاحف ووقفها على الأماكن الدينية وخاصة المسجد الأقصى، لكن ضيق الوقت حال دون ذلك.

وقد ألحقت عوضًا عن ذلك جدولاً في آخر هذا البحث يبيّن عدد مخطوطات التصوف المقتناة في مكتبات القدس، كما أضفت جدولاً آخر عن أسماء الكتب وأثمانها التي وردت على فهارس المكتبات المذكورة.

(١) سجل المحكمة، رقم ١٨٦ : ٢١٩.
(٢) سجل المحكمة، رقم ١٩٣ : ٨٨.
(٣) سجل قسم إحياء التراث، ص ٣٦.

مخطوطات التصوف في مكتبات القدس

المكتبة	البديرية	إسعاف	الأقصى	الخالدية	المجموع
المملوكي	٩	٦	١٤	٢٨	٥٧
العثماني	٨٤	١١٢	٤٢	٧٥	٣١٣
المجموع	٩٣	١١٨	٥٦	١٠٣	٣٧٠

جدول بأسعار بعض المخطوطات التي دُوِّن عليها ثمنها

اسم الكتاب	المؤلف	تاريخ الشراء	عدد الأوراق	السعر	المصدر
غاية المغنم في الاسم الأعظم	ابن الدريهم ٧٦٢	١١٣٨	١١٥ ورقة	٥٠ قرشًا	أقصى ج ٢ : رقم ٣٠٨
فيض القدير	المناوي ١٠٣١	القرن ١٢ هج	٣ج	٦٠ قرشًا	أقصى ج ٢ رقم ٢٧٣-٢٧٥
مفتاح العلوم	السكاكي ٦٢٦	٩٨٤	١٥١	١٨٠ درهمًا	أقصى ج٢ رقم ٤٠٣
شرح الروض	الأنصاري ٩٢٦	٩٧٣	٤ ج	٢٤ قرشًا، ١٤ مصرية	بديرية رقم ٣٣٣
فتح الوهاب	الأنصاري	١١١٩	٢ ج	٢٠ قرشًا	بديرية ٣٤٤
مغني المحتاج	الخطيب الشربيني ٩٧٧	١١٠٦	ج ٣	٣٠ قرشًا	الخليلي ٣١٣
الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظّم	ابن حجر الهيتمي ٩٧٣	١١٠٤	٥٩	٣ قروش	الخليلي ٣٨٤
أحكام الدلالة	الأنصاري	١١٣٤	٢٣٠	٤ زولطة	الخليلي ١٥١

جامع الترمذي	الترمذي ٢٧٩	٧٩٠	٢٧٤	٥١ درهمًا	الخليلي ٧٠
حاشية على عقود الجمان	السيوطي ٩١١	١١٠٤	١٥٢	٢٨ فضة	الخليلي ٣٥٢
الإيضاح لشرح عقائد النسفي	محمد بن الغرس ٨٩٤	٩٥٦ النسخ	٢٠٨	١٤٠ [نصفًا]	الخالدية ٣٤٣
تلخيص منهاج الوصول	ضياء الدين القرمي	٧٧٥	٣٤	٣ أنصاف فضة	الخالدية ٤٥٩
شرح الأزهرية		١٢٧٧	٥٨	٥ قروش صاغ مصري عملة مصرية بعشرة تعريفة مصرية	الخالدية ١٤٣٦

* * *

مخطوطات مؤسسة إحياء التراث ببيت المقدس

د. غسّان موسى محيبش(*)

تمهيد :

زخرت فلسطين بالعديد من المكتبات العامة والخاصة : كمكتبة المسجد الأقصى المبارك ، ومكتبة المسجد الإبراهيمي الشريف ، ومكتبة جامع الجزّار في عكّا ، ومكتبة جامع يافا الكبير ، ومكتبة الجامع الكبير في نابلس ، وغيرها . وسِجِّلاّت محكمة القدس الشرعية خيرُ شاهد على الكثير من أخبار هذه المكتبات ومحتوياتها من مخطوطات وكتب .

هذه المكتبات خلت اليوم - أو كادت - من كنوزها في شتى أنواع العلوم والفنون العلمية ، وهذا راجعٌ إلى عدّة أسباب ، منها ما تعرضت له فلسطين وباقي الدول العربية الأخرى من عدوان مستمر واحتلال ، ومصادرة ، ومنها الظروف العصيبة التي مرت بها البلاد ، وترتب عليها ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية صعبة ، جعلت الكثيرين ممن يحتفظون بهذه الكنوز يفرطون فيها بأبخس الأثمان ، نتيجة الحاجة حينًا ، والجهل حينًا آخر ، إضافة إلى جشَع السَّماسرة .

وقد تأسست مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية سنة ١٩٨٣م في أحد أرْوِقة الحرم القدسي الشريف ، وكانت المهمة الأساسية لها هي إنقاذ ما يمكن إنقاذه من وثائقَ وسجلاّت تعود إلى المجلس الشَّرعي الإسلامي الأعلى ودوائر الأوقاف في فلسطين ، وجَمْعه ، وقد تطور الأمر شيئًا فشيئًا حتى وصلت

(*) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينيَّة الفلسطينيَّة .

إلى ما وصلت إليه ، وهي تعدُّ حاليًا بمثابة أرشيف وثائقي لمعظم وثائق وسجلاّت المجلس الشَّرعي الإسلامي الأعلى ودوائر الأوقاف في فلسطين ، إذ إنها تحتوي على ما يقارب مليوني وثيقة تركية وعربية ، يرجع أقدمها إلى سنة ٩٤٥هـ .

وهذه الوثائق تتعلق موضوعاتها بتاريخ فلسطين من حيث ملكية الأراضي والعقارات الوقفية وتسجيلها ، وبالمساجد والمدارس ، وبالمستوصفات والزوايا والتَّكايا ، بالإضافة إلى وصفها للحالة الاجتماعية بفلسطين ، من زواج وطلاق وحصر إرث ومحاكم ، وتتطرّق كذلك إلى الحالة الاقتصادية من زراعة وري وتحديد أسعار وضرائب . وبشكل مختصر تعدّ وثائق المؤسسة من حيث النوعية والكمية نواة لأرشيف وطني متكامل، خاصة إذا ما تم إضافة وثائق الوزارات والمؤسسات الخاصة بالسلطة الوطنية الفلسطينية .

وضمن أقسام المؤسسة أيضًا مكتبة متخصصة تضم في ثناياها ما لا يقل عن عشرة آلاف كتاب ، وقسمًا للتصوير الرقمي والورقي ، وقسمًا للأبحاث ، وقسمًا للترميم ، ويعدّ قسم الترميم الوحيد في البلاد ، ويمتلك من الكوادر الفنية المدربة تدريبًا وافيًا ما يمكّن من العمل على عقد دورات لتدريب كوادر في هذا المجال . وقد تم عقد دورتين للترميم ، ومن المقرر أن يتم عقد دورة ثالثة في القريب العاجل .

مصادر المخطوطات :

تمتلك المؤسسة ٥٠٠ مخطوطة ، بالإضافة إلى ٣٥٠٠ مصورة ورقيًا وميكروفيلميًا ، في مختلف العلوم العربية والإسلامية : علوم القرآن الكريم والفقه والشريعة الإسلامية ، إضافة إلى الحديث النبوي الشريف ، والتاريخ والطب والرياضيات والتنجيم واللغة العربية ... إلخ .

وقد تجمَّعت هذه المخطوطات (الأصلية) عن طريق تبرع الأفراد ، وعن طريق الوَقْف ، وهناك وقفيات بذلك لبعض المخطوطات تم تسجيلها في محكمة القدس الشرعية . وتحرص المؤسسة على تشجيع مالكي المخطوطات ، وتزوّدهم بصور لمخطوطاتهم ، مع الإشارة إليهم ، لحفظ حقوقهم .

أما مصادر المخطوطات المصورة ، فمنذ نشأت المؤسسة - ومن منطلق رسالتها الهادفة إلى العمل على تجميع ما يمكن تجميعه من وثائق وسجلات ومخطوطات والعمل على فهرستها وتصنيفها - والقائمون عليها يعملون على تحقيق هذه الرسالة ، وذلك عن طريق تصوير ما يمكن تصويره من مخطوطات تعذّر الحصول على أصلها ، وقد تم تصوير ما يقرب من ٣٥٠٠ مخطوطة من عدة مصادر متمثلة في مكتبات بعض العائلات المقدسية والنابلسية وغيرها ، ومكتبات بعض المساجد ، وكذلك من بعض الأفراد .

ولما كانت هذه المؤسسة فتية ، وتعاني من قلّة الإمكانيات المادية ، فإنها لم تتمكن من شراء مخطوطة واحدة ، رغم أنه كان يعرض عليها الكثير من المخطوطات ، الأمر الذي يستدعي توفير ميزانية خاصة ، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من مخطوطات ومنع تسرُّبها .

ومن خلال استعراضنا للمخطوطات الأصلية نجد أن غالبيتها في حالة سيئة ، وهذا راجع إلى سوء طرق تخزينها قبل أن تمتلكها المؤسسة ، وجهل مالكيها ، وقلة الإمكانيات المتوفرة لديهم ، وتعاني هذه المخطوطات من آثار الرطوبة وأكل الأَرَضة والحشرات ، التي أدت إلى إحداث ثقوب بالأوراق ، وتفشّي الحبر . أما اليوم فيتم حفظها في خزائن معدنية وفي ظروف سليمة ، وهي مع ذلك بحاجة إلى الترميم والصيانة .

نشاطات قسم المخطوطات :

لدى المؤسسة قسم خاص للمخطوطات ، يتحرَّك داخل دوائر عمل متعددة تصبُّ في خدمة أهدافه ، ومنها :

١ - تجميع ما يمكن جمعه من مخطوطات ، سواء أكانت أصولاً أم صورًا ، وذلك عن طريق تشجيع المالكين لها بالتبرُّع بها لصالح المؤسسة ، وتسجيلها وقفًا للمؤسسة ، أو إعطاء المؤسسة صورة عنها . ويتم الإشارة إلى مصدرها ، لحفظ حقوق واقفيها .

٢ - فهرسة ما يمتلكه القسم من مخطوطات - أصلية ومصوّرة - فقد قام د. حسام الدين عفارنة ، الأستاذ في جامعة القدس ، بالتعاون مع موظّفي المؤسسة ، بفهرسة جميع هذه المخطوطات ، وجاءت الفهرسة في (١٣) جزءًا ، وتم فهرسة كل موضوع من هذه المخطوطات على حدة ، وحتى الآن تم نشر جزأين فقط من هذه الفهارس ، رغم أنها معدة للنشر ، وتنتظر من يموّلها ليتم نشرها وتوزيعها على الجامعات والمراكز المعنية .

٣ - تقديم كل مساعدة ممكنة للباحثين من أساتذة الجامعات وطلاّبها السّاعين في تحقيق المخطوطات ونشرها ، والقسم يستقبل العديد منهم وخاصة الذين يعملون في إنجاز رسائل الماجستير والدكتوراه ، ويقدم لهم كل خدمة متاحة في هذه المجال .

٤ - ترميم المخطوطات الأصلية وصيانتها .

٥ - عقد الدورات أو الالتحاق بدورات تدريبية في مجالات ترميم المخطوطات وصيانتها ، وذلك لزيادة كفاءة موظّفيه ، وتوفير المزيد من العناية لرصيده من المخطوطات .

* * *

سبق أن قلنا إن المؤسسة تمتلك كمًّا لا بأس به من المخطوطات الأصلية ، وقد رأينا أن نعرض قائمة عجلة ببعضها ، لتدلَّ على باقي الرصيد :

١ - منح الغفّار شرح تنوير الأبصار :

اسم المؤلف : محمد بن عبد الله بن أحمد ، الخطيب العمري التّمُرْتاشي الغزّي الحنفي (٩٣٩ - ١٠٠٤هـ) .

تاريخ التأليف : سنة ٩٩٥هـ .

اسم الناسخ : عبد الله بن عبد الغفور الجوهري .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٩٢هـ .

الموضوع : الفقه الحنفي .

٢ - شرح لاميَّة العجم :

اسم المؤلف : خليل بن أيْبك بن عبد الله الصَّفدي ، صلاح الدين (٧٠٦ - ٧٦٤هـ) .

الموضوع : الأدب

٣ - تفسير القرآن الكريم :

(الجزءُ الأولُ) .

اسم المؤلف : الحسن بن علي بن حميد بن إبراهيم الغزي الزغاري ، بدر الدين (٧٠٦ - ٧٥٣هـ) .

الموضوع : التفسير .

٤ - رسالة عقاية[(١)] الجمان :

اسم المؤلف : الشيخ محمد بن أبي اللُّطف المفتي بالديار القدسية[(٢)] .

٥ - الفتاوى الحسينية السليمية :

اسم المؤلف : حسن سليم الدجاني ، أبو الإقبال .

تاريخ التأليف : سنة ١٢٦٩هـ .

الموضوع : الفقه .

٦ - دَرَج المعالي في بداء شرح الأمالي[(٣)] :

اسم المؤلف : محمد عز الدين ابن جماعة[(٤)] .

الموضوع : لغة عربية .

٧ - تفسير البيضاوي . (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) :

(الجزءُ الأولُ) .

اسم المؤلف : عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد (ت٦٨٥هـ).

اسم الناسخ : محمد بن عثمان بن ماضي بن عرفات البافاني .

تاريخ النسخ : سنة ١١٣٣هـ .

عدد الأوراق : ٣٩٢ ورقة .

لون الحبر : الأسود والأحمر .

---

(١) كذا ورد العنوان في بحث د. محيبش. (المحرر) .

(٢) لعله : محمد بن محمد بن علي الحصكفي ، المتوفى ٩٢٨هـ . انظر : الأعلام ٥٦/٧ . (المحرر) .

(٣) ورد العنوان في هدية العارفين « درج المعالي في شرح بدء الأمالي » .

(٤) نسبها في هدية العارفين إلى محمد بن شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله القاضي بدر الدين ابن جماعة الكناني (٧٥٩-٨١٩ هـ) . (المحرر) !

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة وتأكسُد الحبر الحديدي الذي كُتبت به . بها خروم من آثار الأرضة ، أوراقها مفككة . تنقص من صفحة ٧ - صفحة ٤٠ .

الموضوع : التفسير .

٨ - جمعٌ لطيف من أخبار الصَّالحين ومناقبهم وكلامهم وسيرتهم وأحوالهم في عبادتهم ومجاهدتهم وفوائد ونوادر وحكم وغير ذلك :

اسم المؤلف : الشيخ موسى شرف الدين الكناوي (؟)

عدد الأوراق : ٦٧٦ ورقة .

حالة المخطوطة : سيئة ، وبها أثر رطوبة ، وخروم بفعل الأرضة ، وأوراقها مفككة ، وبها بتر من آخرها. مجلدة بالورق عدا الكعب فقد تم تجليده بجلد طبيعي بلون خمري جميل .

الموضوع : التراجم .

٩ - مُنْية المصلي وغُنْية المبتدي :

اسم المؤلف : محمد بن محمد بن الرشيد بن علي الكاشْغَري الحنفي ، سديد الدين (ت٧٠٥هـ).

اسم الناسخ : عبد الله يعقوب بن عبد الله عيسى النصراوي الحنفي الرفاعي . انتسخها من نسخة نسخها سليمان بن عثمان سنة ١١٣٧هـ .

تاريخ النسخ : سنة ١١٨٣هـ .

حالة المخطوطة : سيئة ، بها رطوبة وخروم وأثر أرضة ، مجلدة بجلد لونه خمري جميل .

الموضوع : الفقه .

١٠ - شرح الشَّمْسية :

اسم المؤلف : محمود منصور الرازي[١] .

عدد الأوراق : ٧٥ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : نسخة ناقصة ، سيئة ، وبها أثر رطوبة ، وحبرها الحديدي الذي كُتبت به تأكسد وجفّ ، وأوراقها مفككة . عليها تملُّك باسم محمد بن حسين الغــزي .

الموضوع : المنطق .

١١ - القواعدُ المَنْطقية في شرح الرِّسالة الشَّمْسية :

اسم المؤلف : علي بن عمر بن علي الكاتبي القزويني ، نجم الدين أبو الحسن (ت٦٧٥هـ) .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٨٠هـ .

عدد الأوراق : ٤٨ صفحة .

حالة المخطوطة : نسخة سيئة ، تنقص من أوّلها ، بها أثر رطوبة ، ولون الأوراق تحول إلى اللون البنّي ، والحبر الحديدي الذي كُتبت به تأكسد . عليها وقف للأمير محمد أغا الأمين ، على طلبة العلم في جامع يافا الكبير، سنة ١٢٣١هـ .

الموضوع : المنطق .

١٢ - رسالة في السياسة :

اسم المؤلف : دده أفندي البروسي (؟)

---

(١) لعلها للقطب الرازي : محمد بن محمد ، ت ٧٦٦هـ . (المحرر) .

عدد الأوراق : ٧٦ ورقة .

حالة المخطوطة : سيئة ، بها أثر رطوبة ، وأوراقها مفككة . أولها بالعربية ، ومن ص ٥٩ كتبت باللغة التركية .

الموضوع : السياسة .

١٣ - شَرْحُ مَجْمَع البحرَيْن :

اسم المؤلف : عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين الكرماني الحنفي ، عزّ الدين ، الشهير بـ (ابن مَلَك) و (ابن فَرْشَته) (ت ٨٨٥ هـ) .

اسم الناسخ : أحمد الدين بن عبد الله بن دولتيار أنكوني .

تاريخ النسخ : سنة ٨٨٤ هـ .

عدد الأوراق : ٢٣٦ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الأرضة ، وتفكك أوراقها ، وتفكك الجلد عن الأوراق . بأولها فهارس للكتاب ، وعليها وقف غير مؤرخ باسم الأمير محمد أغا ، وتملُّك غير مؤرخ - أيضًا - باسم إسماعيل بن حسن أفندي .

الموضوع : الفقه الحنفي .

١٤ - شرح جوهرة التوحيد المسمى هداية المريد :

اسم المؤلف : إبراهيم اللَّقاني المالكي (ت ١٠٤١هـ) .

تاريخ التأليف : سنة ١٠٢٩هـ .

اسم الناسخ : صالح بن الحاج مصطفى .

تاريخ النسخ : سنة ١١٣٨هـ .

عدد الأوراق : ٢٧٣ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة والأرضة اللتين سببتا جفاف أوراقها وتكسّرها ، وأحدثتا ثقوبًا وأخاديد بمواضع كثيرة منها . أوراقها مفككة ، وجلدها الأحمر مفكك عن الأوراق . عليها وقف باسم محمد أغا معتوق الحاج أحمد باشا الجزار ، على الجامع الكبير بيافا .

الموضوع : العقيدة .

١٥ - حاشية حسن شلبي على المطوَّل في المعاني والبيان :

(المطوَّل أحد شروح ثلاثة للسعد التفتازاني [ت ٧٩١هـ] على شرح الخطيب القزويني (الدمشقي) [ت ٧٣٩هـ] الموسوم بـ « التلخيص » ، على « مفتاح العلوم » لأبي يعقوب يوسف السَّكّاكي [ت ٦٢٦هـ]) .

اسم المؤلف : حسن شلبي الفناري (ت ٨٨٦ هـ) .

عدد الأوراق : ٢٥٨ ورقة.

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الأرضة ، أوراقها مفككة ، جلدها مفقود لم يتبق منه إلا جلد الكعب ، والجزء الأمامي منه من الورق المقوّى . عليها تملُّك باسم حافظ عثمان بن إبراهيم العرة فرموي ، ووقف للغازي محمد باشا أبي لبوت سنة ١٢٣٨هـ ، وخاتم محمد أمين عبده .

الموضوع : البلاغة .

١٦ - شرح مقدمة قطر الندى وبَلّ الصَّدى :

اسم المؤلف : جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد الأنصاري الخزرجي المصري ، المعروف بابن هشام (ت ٧٦١هـ) .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٢٥هـ .

عدد الأوراق : ١٧٠ صفحة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، مجلدة بجلد بني داكن ، أوراقها مفككة . عليها وقف للأمير محمد أغا بن عبد الله عتيق المرحوم أحمد باشا الجزار ، على طلبة العلم ، سنة ١٢٢٦هـ .

الموضوع : النحو .

١٧ - منهج الوصول إلى تحرير الفصول :

اسم المؤلف : زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٨٠هـ .

عدد الأوراق : ٢٧٦ ورقة .

لون الحبر : أسود .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي سببت جفاف أوراقها ، وبها ثقوب وأخاديد بفعل الأرضة. أوراقها مفككة ، وغلافها أيضًا مفكك عن أوراقها ، وحبرها الحديدي الذي كُتبت به تأكسد من الرطوبة ، وتسبب في جفاف الورق مما سهل تكسره . كعبها من الجلد ، غلافها من الورق المقوَّى المغلَّف بقماش أسود .

١٨ - كتابٌ في الفقه (باللغة التركية) :

اسم المؤلف : أحمد بن عبد الباقي (؟)

تاريخ التأليف : سنة ١١٤٤هـ .

عدد الأوراق : ٢٥٤ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي سببت جفاف أوراقها ، وتغير لون الحبر إلى اللون البنّي ، بها ثقوب وأخاديد بفعل الأرضة . بأولها فهرس للكتاب كتبه عبد اللطيف شهرني سنة ١١٤٦هـ .

الموضوع : الفقه .

١٩ - جامع أحكام الصغار :

اسم المؤلف : محمد بن محمود بن الحسين الأستروني (؟)

اسم الناسخ : أحمد بكر حماد .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٧٢هـ .

عدد الأوراق : ١٨٢ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي سببت تغير لون الورق إلى اللون البنّي الداكن ، وجفافه . أوراقها مفككة ، غلافها من الجلد الأحمر ، وعلى وجه الكتاب وظهره زخرفة جميلة . بأولها فهرس لموضوعات الكتاب .

الموضوع : الفقه الحنفي .

٢٠ - مختار الصّحاح :

اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبد القاهر الرازي (ت٦٦٠هـ) .

اسم الناسخ : خير الدين بن أحمد الحنفي الأزهري .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٣١هـ .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي غيرت لون الأوراق إلى اللون البنّي الداكن، وبها ثقوب وأخاديد بفعل الأرضة، وأوراقها مفككة ، وغلافها من الجلد الأحمر . عليها تملُّك بالشراء الشرعي باسم سليم الشافعي الدجاني ، بأولها نقول وأشعار .

الموضوع : اللغة العربية - المعاجم .

٢١ - تشنيف الأسماع :

(جزآن) .

اسم المؤلف : عمر بن أحمد بن علي بن محمود الحلبي الشافعي ، زين الدين أبو حفص ، المعروف بالشماع (ت ٩٣٦هـ) .

تاريخ التأليف : سنة ٩٣٥هـ .

اسم الناسخ : المؤلف نفسه.

عدد الأوراق : ٢٨٨ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الأرضة التي سببت جفاف أوراقها وتكسرها . أوراقها مفككة ، وغلافها من الجلد .

الموضوع : الفقه الشافعي .

٢٢ - مختصر في المعاني والبيان :

اسم المؤلف : مسعود بن عمر التفتازاني ، سعد الدين (ت ٧٩١هـ) .

عدد الأوراق : ١٩٩ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي سببت جفاف أوراقها ، وبها أثر أرضة ، أوراقها مفككة ، وغلافها محلى برسومات وأشكال جميلة . عليها وقف للأمير محمد أغا الأمين بجامع يافا الكبير، سنة ١٢٣١هـ .

الموضوع : البلاغة .

٢٣ - الجوهرة النَّيِّرة :

اسم المؤلف : مَجْهولٌ .

اسم الناسخ : محمد بن إبراهيم نجم الدين الشهير طرب أفزون .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، بها آثار أرضة وخروم ، وأوراقها مفككة ، الصفحتان الأوليان مؤطرتان بالذهب ، وبأول كل جزء فهرس للموضوعات . عليها تملُّك باسم الشيخ علي أبي المواهب الدجاني مفتي يافا ، بالإهداء من يوسف ضياء الدين الدجاني .

الموضوع : العقيدة .

٢٤ - مختار الصّحاح .

اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبد القاهر الرازي (ت٦٦٠هـ) .

اسم الناسخ : خير الدين بن أحمد الحنفي الأزهري .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٣١هـ .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي أدت إلى تغير لون الورق إلى اللون البنّي ولاسيما في آخرها . بها آثار أرضة أدت إلى إحداث ثقوب . بأولها وآخرها نُقولٌ في موضوعات مختلفة ، وبأولها تملُّك بالشراء باسم سليم الشافعي الدّجاني .

الموضوع : اللغة العربية - المعاجم .

٢٥ - حاشية ابن عبد الحق السّنباطي على الشيخ جلال الدين المحلي .

اسم المؤلف : أحمد بن أحمد بن عبد الحق السّنباطي ، شهاب الدين (ت٩٩٠هـ).

اسم الناسخ : حسن بن أحمد العفيفي الغزي الشافعي .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٤٣هـ .

عدد الأوراق : ٢٢٥ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، بها آثار رطوبة وأرضة وثقوب . عليها تملُّك باسم علي أبي المواهب الدجاني مفتي يافا ، بالإهداء من يوسف ضياء الدين الدجاني .

الموضوع : أصول الفقه .

٢٦ - مجموع ، يشتمل على ٣ مخطوطات ، هي :

- قرة الأبصار على الثلاثة الأذكار :

اسم المؤلف : حسين بن علي بن طَلْحة الرّجْراجي الشّوشاوي (ت٨٩٩هـ).

عدد الأوراق : ٢٠ ورقة

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، بها آثار أرضة وخروم .

الموضوع : العقيدة .

- الدر الثّمين بشرح عضُد الدين :

اسم المؤلف : يوسف الحفناوي (؟)

عدد الأوراق : ٦ ورقات .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي أدت إلى جفاف أوراقها ، وتغير ورقها إلى اللون الدّاكن ، والأرضة التي أحدثت بها ثقوبًا .

- تلخيصات :

عدد الوراق : من صفحات (٧ - ١٠) :

لون الحبر : أسود .

حالة المخطوطة : سيئة ، وأحبارها متفشية ، وأوراقها تالفة .

٢٧ - كتابٌ في الفقه الحنفي :

اسم المؤلف : مَجْهولٌ .

اسم الناسخ : خليل بن الحاج جعفر .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٠٥هـ .

عدد الأوراق : ١٢٥ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، مجلدة بجلد أسود ، وبها آثار رطوبة وأرضة وثقوب.

الموضوع : الفقه الحنفي .

٢٨ - شرح الحدود الفقهية لابن عرفة :

اسم المؤلف : أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري التونسي ، قاضي الجماعة بتونس ، المشهور بالرّصاع (ت ٨٩٤ هـ) .

تاريخ التأليف : يوم عاشوراء سنة ٨٨٢ هـ .

نوع الخط : مغربي .

حالة المخطوطة : جيدة ، مجلدة بجلد مزخرف وكعبه مذهّب . تغير لون أوراقها إلى البنّي الداكن . طُبع بتركيا طبع حجر سنة ١٣١٧هـ ، بتصحيح أحمد ابن المأمون الحسني العلوي البلفيشي .

الموضوع : الفقه الشافعي .

٢٩ - صدر الشَّريعة في مذهب السادة الشافعية :

اسم المؤلف : عبد الله بن مسعود بن تاج الشريعة (ت ٧٤٧ هـ) .

اسم الناسخ : عثمان بن شيخ داود ابن الشيخ حمزة .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٢٤هـ .

عد الأوراق : ١٩٣ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي أدت إلى تغير لون أوراقها . بأولها فهارس للمحتويات ، وعليها وقف باسم الأمير محمد أغا - على طلبة العلم بالجامع الكبير بيافا ، سنة ١٣٣٢هـ

الموضوع : الفقه الشافعي .

٣٠ - ملتقى الأبحر :

اسم المؤلف : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي ، برهان الدين (ت ٩٥٦هـ).

اسم الناسخ : محمد بن زمان شروني .

تاريخ النسخ : سنة ١١٣٤هـ .

عدد الأوراق : ٨٧ صفحة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة، بها خروم، وأوراقها مفككة، مجلدة بقماش أسود، والكعب مجلد بجلد أسود . عليها تملُّك باسم حسن أفندي سنة ١٣٠٠هـ ، ووقف باسم عثمان أغا الوصي الشرعي على مال المرحوم أحمد أغا - على طلبة العلم بالجامع الكبير بيافا ، سنة ١٢٢٩هـ . (مطبوع) .

الموضوع : الفقه الحنفي .

٣١ - شرح مفتاح العلوم للسكّاكي :

(القسم الثالث الذي يشتمل على المعاني والبيان والبديع) .

اسم المؤلف : مَجْهولٌ .

عدد الأوراق : ٢٨٩ ورقة .

لون الحبر : أسود .

حالة المخطوطة : جيدة ، مجلدة ، وبها أثر رطوبة .

الموضوع : علم المعاني والبيان (البلاغة) .

٣٢ - دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار :

اسم المؤلف : أبو عبد الله محمد بن سليمان الجُزُولي (ت ٨٧٠هـ) .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٠١هـ .

عدد الأوراق : ٤٩ ورقة .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الأرضة والرطوبة ، وتأكسد الحبر الحديدي الذي كُتبت به . عليها وقف للحاج عثمان وأخيه الحاج أحمد خميس ، بآخرها أوراد وأدعية كُتبت بماء الذهب .

الموضوع : السيرة النبوية .

٣٣ - أدب الأوصياء :

اسم المؤلف : حسن بن عبد العزيز الكوفي الإسلامبولي (؟)

تاريخ النسخ : ١٥ من ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ .

اسم الناسخ : حسن (أبو طهر) الحسيني الصيداوي .

حالة المخطوطة : نسخة مقابلة بمعرفة الناسخ والشيخ زكريا كنول ، بها آثار أرضة ورطوبة . بأولها فهرس للموضوعات ، وعليها علامات تملُّك ووقف .

الموضوع : الأدب العربي .

٣٤ - كتابٌ في السيرة النبوية :

اسم المؤلف : مَجْهولٌ .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٣٣هـ .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : نسخة مبتورة من أولها ، بها آثار رطوبة شديدة ، وأرضة أدت إلى وجود ثقوب وأخاديد بها . أوراقها مفككة .

الموضوع : السيرة النبوية .

٣٥ - خزانة المُفْتين :

اسم المؤلف : سليمان بن نور الله الحموي(١) .

تاريخ النسخ : سنة ١١١٥هـ .

عدد الأوراق : ٥٠٨ ورقات .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، بها آثار رطوبة أصابت أطراف أوراقها السفلى ، وثقوب من أثر الأرضة ، وبترٌ من أوَّلها .

الموضوع : الفقه .

٣٦ - المختار للفتوى :

اسم المؤلف : عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي ، مجد الدين أبو الفضل (ت٦٨٣هـ) .

عدد الأوراق : ١٢٥ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الأرضة والرطوبة اللتين أدتا إلى جفاف الأوراق وتكسرها ، وتأكسد الحبر الذي كُتبت به ، بها ثقوب ، وأوراقها مفككة . مذهّبة الطالع ، وصفحاتها مؤطرة بالحمرة ، غلافها من الجلد الأسود ، بآخرها فهرس للموضوعات . عليها وقف باسم الأمير محمد أغا - على طلبة العلم بالجامع الكبير بيافا ، سنة ١٢٣٠ هـ .

الموضوع : الفقه الحنفي .

---

(١) كذا ورد في بحث د. محيبش . وحسب البغدادي في « الهدية » ، فإن المؤلف هو الحسن بن محمد السنيقاني (السمنقاني) الحنفي ، وفرغ منه سنة ٧٤٠هـ . (المحرر) .

٣٧ - مهمّات المفتين :

اسم المؤلف : أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي الحنفي ، شمس الدين (ت ٩٤٠هـ) .

اسم الناسخ : حسن بن محيي بن حسن اليشريجي .

تاريخ التأليف : سنة ١٠٢٣هـ .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٢٣هـ .

عدد الأوراق : ٢٤٩ ورقة .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي أثرت في أطرافها وأصابتها ببقع بُنيّة ، بها ثقوب ، وأوراقها مفككة ، غلافها من الجلد الأسود ، بأولها فهرس للموضوعات . عليها وقف باسم محمد أغا الأمين - على طلاب العلم بمسجد يافا الكبير ، سنة ١٢٣١هـ .

الموضوع : الفقه .

٣٨ - غَيْث الأدب في شرح لاميَّة العجَم :

اسم المؤلف : خليل بن أيبك الصفدي ، صلاح الدين (ت ٧٦٤هـ) .

اسم الناسخ : إبراهيم نجم الدين ... يحيى الشهير بابن المبلّط الشافعي .

تاريخ النسخ : سنة ٩٧٩هـ .

عدد الأوراق : ٣٧٥ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة ، وأوراقها مفككة . مذهّبة الطالع

ومؤطّرة بالذهب ، غلافها من الجلد الأسود ، تشتمل على رسومات بالحمرة والزُّرقة .

الموضوع : الأدب العربي .

٣٩ - التَّحقيقات الأحمدية على الخريدة البهيَّة :

اسم المؤلف : شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، أبو البركات (ت ١٢٠١هـ) .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٠٠هـ .

عدد الأوراق : ٤٣ ورقة .

لون الحبر : أسود .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الأرضة والرطوبة وتأكسد الحبر الذي كُتبت به ، غلافها من الجلد الزهري ، والكعب من الجلد البنّي . ورد بها ذكر مؤلف آخر هو السيد محمد التَّاجي القَيْسي الشَّافعي الأزهري .

الموضوع : العقيدة .

٤٠ - فتاوى قاضي خان على مذهب أبي حنيفة النُّعمان :

(الجزء الثاني) .

اسم المؤلف : حسن بن منصور بن محمود الأوزجندي قاضي خان (ت٥٩٢هـ) .

تاريخ النسخ : سنة ١١٤١هـ .

عدد الأوراق : ٣٦٧ ورقة .

لون الحبر : أسود مائل إلى البنّي .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الأرضة التي أحدثت بها خرومًا ، أوراقها مفككة . صفحاتها مؤطرة بإطار مزدوج من الحمرة ، غلافها من الجلد البنّي ، له لسان . بأولها فهرس للموضوعات .

الموضوع : الفقه الحنفي .

٤١ - تفسير القرآن الكريم :

اسم المؤلف : عمر بن محمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي ، نجم الدين أبو حفص (ت٥٣٧هـ) .

اسم الناسخ : حميد بن حسام البغلاغوني .

تاريخ النسخ : الخميس أواخر شوال سنة سبعمائة .

عدد الأوراق : ٢٧٥ ورقة .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الأرضة والرطوبة اللتين أدتا إلى تعفُّن أوراقها المفككة .

الموضوع : التفسير .

٤٢ - بهجة الفتاوى (تركي) :

اسم المؤلف : أبو الفضل عبد الله أفندي اليكشري .

اسم الناسخ : حسن بن أحمد .

عدد الأوراق : ٢٨٨ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة والأرضة اللتين أدتا إلى حدوث ثقوب وأخاديد بها . مذهبة الطالع ، غلافها من الجلد ، على الصفحتين الأولين زخارف

ورسومات بالذهب ، وبأولها فهرس للموضوعات ، وبحواشيها بعض التلخيصات. عليها وقف باسم محمد باشا أبي لبوت سنة ١٢٣٨هـ .

الموضوع : الفقه .

٤٣ - الموشَّح على كافية ابن الحاجب في علم الإعراب :

اسم المؤلف : مَجْهولٌ .

اسم الناسخ : أحمد بن علي الكحلاني .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٥٧هـ .

عدد الأوراق : ١٨٩ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة والأرضة اللتين أثرتا في أوراقها فتحولت إلى اللون البنّي والأسود . غلافها كعبه من الجلد ، وله لسان ، وبحواشيها وبين السطور تلخيصاتٌ كثيرة . بأولها تملُّكات كثيرة غير واضحة .

الموضوع : النحو .

٤٤ - دلائل الخَيْرات وشوارق الأنوار :

اسم المؤلف : أبو عبد الله محمد بن سليمان الجَزُولي (ت ٨٧٠ هـ) .

عدد الأوراق : ١٠٢ ورقة .

حالة المخطوطة : سيئة ، وصفحاتها مؤطرة بالحمرة ، وغلافها أحمر جميل ، وتشتمل على رسوم للمكان الذي وقف به الرسول ﷺ وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، بالذهب .

الموضوع : السيرة النبوية .

٤٥ - سر الحرف من الجفر المنير :

اسم المؤلف : مَجْهولٌ .

اسم الناسخ : حسن أنيس الدجاني الخلوتي .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٦٨هـ .

عدد الأوراق : ١٩ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر وزهري .

حالة المخطوطة : جيدة ، وغلافها من الورق ، وعليه زخارف ، وكعبه من القماش الكحلي ، وبحواشيها بعض التلخيصات والشروح .

الموضوع : السحر والشعوذة .

٤٦ - مجموع ، يشتمل على ثلاث مخطوطات ، هي :

- نزهة المناجي :

اسم المؤلف : علي الخفاجي الدمياطي الشافعي.

عدد الأوراق : ١١٩ ورقة .

لون الحبر : أسود مائل إلى البنّي ، وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، وبها ثقوب وأثر رطوبة .

الموضوع : النحو .

- المقالة البدرية في الحثّ على الصلاة على خير البريّة :

(قطعة منه) .

اسم المؤلف : مصطفى البدري الدمياطي الشافعي (كان حيًّا سنة ١٢٩٣هـ).

اسم الناسخ : محسن سليم أبو الإقبال الدجاني الحلواني الأحمدي .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٥٩هـ .

حالة المخطوطة : جيدة ، وبها أثر رطوبة وأرضة أدتا إلى تحول لون أوراقها إلى اللون البنّي .

الموضوع : السيرة النبوية .

- مراسلات بين الشيخ حسن العطار والشيخ علي الخفاجي :

(تكملة مجموع الخفاجي)

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة ، وبها خروم وأخاديد بفعل الأرضة ، وغلافها من الورق ، وكعبه من الجلد ، وله لسان .

٤٧ - التَّلْويح إلى كشف حقائق التَّنْقيح :

اسم المؤلف : مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ، سعد الدين (ت ٧٩١هـ) .

اسم الناسخ : أمير علي بن رمضان .

تاريخ النسخ : سنة ١١٦٨هـ .

عدد الأوراق : ٢٣٦ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة ؛ بها أثر أرضة وخروم وأخاديد . غلافها من الجلد البنّي الداكن ، وبحواشيها بعض الشروح ، وعليها وقف غير واضح .

الموضوع : أصول الفقه .

٤٨ - العقود الجوهرية في حل الأزهرية :

اسم المؤلف : منصور الطبلاوي الشافعي (ت ١٠١٤هـ) .

تاريخ التأليف : سنة ١٠٥٧هـ .

اسم الناسخ : شيخ علي .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٥٨هـ .

عدد الأوراق : ٢٨٥ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة ، وبها ثقوب وأخاديد .

٤٩ - مجموعٌ : في موضوعات مختلفة ، نسخه ناسخ واحد ، يشتمل على ما يأتي:

- كتاب في النحو .

اسم المؤلف : علي بن قرحبان (؟)

تاريخ التأليف : سنة ١١٥١هـ .

اسم الناسخ : عبد الله يعقوب بن عبد الله عيسى المسلماني .

تاريخ النسخ : سنة ١١٧٩هـ .

الموضوع : النحو .

ويضم عدة تلخيصات لمواضيع عديدة ، منها :

- تلخيص كتاب العوامل في النحو لمجْهول .

- شرح شروط الوضوء للشيخ الرملي .

- مختصر في علم الطب لمجْهول .

- التصانيف في إصلاح أهل الحديث لمجْهول .

٥٠ - مختصر القدُوري :

اسم المؤلف : أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان البغدادي الحنفي ، أبو الحسين (ت ٤٢٨ هـ) .

اسم الناسخ : رمضان بن موسى .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٨٠هـ .

عدد الأوراق : ١٠٤ أوراق .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة ، وبحواشيها بعض الشروح ، وبأولها فهرس للموضوعات ، وعليها وقف .

الموضوع : الفقه الحنفي .

٥١ - حاشية الشيخ عبد الله الشّرقاوي على شرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري :

(الجزء الثاني)

اسم المؤلف : عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي الشافعي الخلوتي الأزهري (ت١٢٢٧هـ) .

تاريخ التأليف : سنة ١١٩٢هـ .

اسم الناسخ : عبد الله نخلة .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٣٨هـ .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي أدت إلى تأكسد الحبر الذي كُتبت به ، وبها أثر أرضة . عليها تملُّكات ووقفيَّات .

الموضوع : الفقه الشافعي .

٥٢ - المِنح الإلهيات بشرح دلائل الخيرات :

اسم المؤلف : سليمان بن عمر بن منصور العجيلي المصري الأزهري الشافعي ، المعروف بالجَمَل (ت ١٢٠٤هـ) .

تاريخ التأليف : سنة ١١٩١هـ .

اسم الناسخ : حافظ عثمان بن إبراهيم .

تاريخ النسخ : سنة ١٢١٨هـ .

عدد الأوراق : ١٨٧ ورقة .

حالة المخطوطة : جيدة ، وبها آثار أرضة ورطوبة ، وصفحاتها مؤطرة بالحمرة ، وغلافها من الجلد البنّي . عليها أختام تملُّك ووقف .

الموضوع : تصوف .

٥٣ - مجموعٌ ، يشتمل على كتابين :

- الافتتاح في كتاب المصباح :

اسم المؤلف : مَجْهولٌ .

تاريخ النسخ : سنة ٩٦٠هـ .

عدد الأوراق : ٩٠ ورقة .

الموضوع : النحو .

- الكتاب الثاني في النحو أيضًا :

اسم المؤلف : مَجْهولٌ .

اسم الناسخ : عبد الصمد بن طورحش ده ده .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٣٠هـ .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة والأرضة ، وغلافها مزخرف ، وبأولها تلخيصات بالعربية والتركية ، وبها بتر من أولها .

الموضوع : النحو .

٥٤ - مجموعٌ في مصْطلح الحديث ، يشتمل على أربعة كتب :

- نُخْبة الفِكَر :

اسم المؤلف : أبو الفضل أحمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن محمد العسقلاني ، المعروف بابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) .

اسم الناسخ : عبد الله بن موسى بن مصطفى .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٩٤هـ .

الموضوع : مصطلح الحديث .

- حاشية على شرح النُّخبة :

اسم المؤلف : إبراهيم بن عبد الكريم الكردي الحلبي .

- سروري شرح عروض (باللغة التركية) :

الكتاب مجهول المؤلف ، والشرح مجهول الشارح .

- قل الحمد :

اسم المؤلف : مَجْهولٌ .

٥٥ - الشفا في تعريف حقوق المصطفى ﷺ :

اسم المؤلف : أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السَّبْتي القاضي (ت ٥٤٤هـ) .

اسم الناسخ : محمد محمد محمد البلاط قي الشهير بابن الزكزوك .

تاريخ النسخ : سنة ٨٥٧هـ .

عدد الأوراق : ٢١٥ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة . تعاور عليها أكثر من ناسخ ، على نوعين من الورق . بأولها وقف .

الموضوع : السيرة النبوية .

٥٦ - شرح حديث الحسين بن محمود :

اسم المؤلف : جلال الدين بن نجم الدين بن محمود (؟)

اسم الناسخ : عيسى بن بدر الدين بن حاجي هارون الشاهوي الكورهان .

تاريخ النسخ : سنة ٨٢٤ هـ .

عدد الأوراق : ٣٠٧ ورقات .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة والأرضة ، وبحواشيها بعض الشروح ، وعليها وقف على طلبة العلم .

الموضوع : الحديث .

٥٧ - المنظومة النسفية في فقه الحنفية :

اسم المؤلف : الشيخ خليل الكتبي (؟)

اسم الناسخ : جمال الدين بن يحيى بن الحاج محمود بن الحاج رجب بن الحاج محمد الرومي .

تاريخ النسخ : سنة ٧٨٦هـ .

عدد الأوراق : ١٧١ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة والأرضة التي أحدثت بها خروماً ، وسببت تأكسد الحبر الذي كُتبت به . غلافها من الجلد المؤطّر بالذهب ، بحواشيها بعض الشروح ، وعليها وقف على طلبة العلم .

الموضوع : الفقه الحنفي .

٥٨ - شرح مقامات الحريري :

(الجزء الثالث) .

اسم المؤلف : علي بن أحمد الشَّرِيشي ، أبو الحسن (ت ٥٨٣هـ) .

اسم الناسخ : أبو الفضل إبراهيم محيي الدين ناصر شمس الدين .

تاريخ النسخ : سنة ٨٣٤هـ .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، بأولها فهرس للموضوعات ، وعليها تملُّكات ومطالعات عدة .

الموضوع : الأدب العربي .

٥٩ - **مجموعٌ** ، يشتمل على خمسة كتب ، هي :

- **آداب المعيشة :**

اسم المؤلف : أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي ، علاء الدين (ت ٥٨٧هـ) .

اسم الناسخ : موسى بن محمد بن إبراهيم الشهير بابن البناني الأطرابلسي .

تاريخ النسخ : سنة ٧٨٦هـ .

عدد الأوراق : ١١٧ ورقة .

الموضوع : الأدب العربي .

- **رَيْحانة المرتاح من كتاب رَيْحان الأرواح :**

اسم المؤلف : مَجْهولٌ .

تاريخ النسخ : سنة ٧٨٦ هـ .

اسم الناسخ : موسى بن محمد بن إبراهيم الشهير بابن البناني الأطرابلسي .

عدد الأوراق : من ص ١١٨ - ١٢٢ .

- **الأساس في معرفة إله الناس :**

اسم المؤلف : القاضي شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بن أحمد البارزي الجُهَني الحموي الشافعي (ت ٧٣٨هـ) .

اسم الناسخ : موسى بن محمد بن إبراهيم الشهير بابن البناني الأطرابلسي .

عدد الأوراق : من ص ١٢٣ - ١٢٨ .

- **مخطوط مجهول العنوان والمؤلف :**

اسم الناسخ : موسى بن محمد بن إبراهيم الشهير بابن البناني الأطرابلسي .

عدد الأوراق : من ص ١٢٨ - ١٣٣ .

- **جزءٌ من كلام الشيخ الإمام علاء الدين :**

اسم المؤلف : أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي ، علاء الدين (ت ٥٨٧هـ) .

عدد الأوراق : من ص ١٣٣ - ١٣٧ .

ملاحظات : عليها عدة تملُّكات ووقفيَّات على طلبة العلم .

٦٠ - **السبيل المبارك :**

اسم المؤلف : مجهولٌ .

لون الحبر : أحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، غلافها من الجلد الأحمر ، وله لسان ، وعليه زخارف . عليها وقفيَّات شرعية مسجَّلة بدار السلطنة العثمانية .

٦١ - **أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك :**

اسم المؤلف : أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، أبو البركات (ت ١٢٠١هـ) .

اسم الناسخ : عفيفي غنيم النقراوي .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٦٧هـ

عدد الأوراق : ٢٤٥ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة .

الموضوع : الفقه المالكي .

٦٢ - الدُّرُّ المختار في شرح تنوير الأبصار :

اسم المؤلف : محمد علاء الدين بن الشيخ علي (الإمام بجامع بني أمية ثم المفتي بدمشق) .

تاريخ التأليف : سنة ١٠٧١هـ .

اسم الناسخ : مصطفى علي أفندي القدسي الحنفي الخلوتي ، سبط خير الدين الخيري الرملي الفاروقي .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٢٥هـ .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة والأرضة ، وبأولها فهرس للموضوعات .

الموضوع : الفقه الحنفي .

٦٣ - خلاصة الفتاوى :

اسم المؤلف : طاهر بن محمد بن أحمد بن عبد الرشيد بن الحسين البخاري الحنفي ، افتخار الدين (ت٥٤٢هـ) .

اسم الناسخ : حسام (؟)

تاريخ النسخ : سنة ٩٨٧هـ .

عدد الأوراق : ٣٠٤ ورقات .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة والأرضة اللتين أدتا إلى حدوث ثقوب وأخاديد ، بأولها فهرس للموضوعات ، وبحواشيها بعض الشروح .

الموضوع : الفقه .

٦٤ - تهذيب ما اشتمل عليه كتاب المهتدي من الغريب :

(الجزء الأول) .

اسم المؤلف : ابن معن (؟)

اسم الناسخ : محمد بن أحمد العرسي الزهري الرومي .

تاريخ النسخ : سنة ٩٥٦هـ .

لون الحبر : أسود .

حالة المخطوطة : سيئة . عليها وقف على طلبة العلم .

٦٥ - شرح الطَّيبة :

اسم المؤلف : محمد بن محمد بن محمد بن الجزَري ، شمس الدين أبو الخير (أبو محمد) (ت ٨٣٣ هـ) .

اسم الناسخ : أحمد بن عبد القادر الرومي .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٠٩هـ .

عدد الأوراق : ٣٩٨ ورقة .

الموضوع : علوم القرآن - القراءات .

٦٦ - الأشباه والنظائر الفقهية :

اسم المؤلف : زين العابدين بن إبراهيم بن محمد المصري الحنفي الشهير بابن نجيم (ت ٩٧٠هـ) .

اسم الناسخ : أحمد بن مصطفى الموستاري .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٠٠هـ .

لون الحبر : أسود وأحمر وزهري .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة ، مذهّبة الطالع ، صفحاتها مؤطرة بإطار مزدوج بالذهب والحمرة ، غلافها من الجلد الأسود ، والكعب من الجلد الأحمر ، بحواشيها بعض الشروح .

٦٧ - المواهب اللَّدنيَّة والمِنَح المحمديَّة :

(الجزء الثاني) .

اسم المؤلف : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الخطيب القسطلاّني (ت ٩٢٣هـ) .

اسم الناسخ : محمد بن أحمد بن شعيب الطرابلسي ثم الفناري .

تاريخ النسخ : سنة ١١٠٦هـ .

عدد الأوراق : ٣١٧ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي أدت إلى تأكسد الحبر الذي كُتبت به ، والأرضة التي أدت إلى تغير لون أوراقها . بأولها فهرس للموضوعات ، وبحواشيها بعض الشروح . وعليها تملُّك .

الموضوع : السيرة النبوية .

٦٨ - أسرار الصَّلاة ومهماتها :

اسم المؤلف : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزَّالي (ت ٥٠٥هـ) .

اسم الناسخ : أيوب بن حسن بن علي بن علي بن عبد الوهاب الحموي .

تاريخ النسخ : سنة ٩٢٠هـ .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة ، كعبها من الجلد البنّي ، بحواشيها بعض الشروح . وعليها وقف .

الموضوع : الفقه .

٦٩ - مُنْية المصلي :

اسم المؤلف : يوسف بن أبي سعيد بن أحمد السِّجِسْتاني[1] (؟)

اسم الناسخ : إلياس بن أحمد بن خضر بن عيسى .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة ، وأوراقها مفككة . بأولها فهرس للموضوعات ، وبحواشيها بعض الشروح ، وبآخرها تملُّكات .

الموضوع : الفقه .

٧٠ - حواشٍ على الكافية :

اسم المؤلف : شهاب الدين بن عمر الزاولي الدولة أبادي ثم الهندي (ت ٨٤٩ هـ) .

---

(١) منية المصلي وغنية المبتدي في الفروع ، لسديد الدين محمد بن محمد بن الرشيد بن علي الكاشغري الحنفي (ت ٧٠٥هـ) (المحرر) .

تاريخ النسخ : سنة ٩٤٩هـ .

عدد الأوراق : ١٢٩ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة ، وبحواشيها بعض الشروح .

الموضوع : النحو .

٧١ - تبيين الحرام :

اسم المؤلف : شيخ مصطفى حمزة أفندي (؟)

تاريخ النسخ : سنة ١١٢٩هـ .

عدد الأوراق : ١٣٣ ورقة .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي أحدثت بها بقعًا صفراء وسوداء ، وبآخرها جداول بأسماء كتب مختلفة .

الموضوع : الفقه .

٧٢ - الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى :

اسم المؤلف : أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب المقري (؟)

اسم الناسخ : علي بن حاج مصطفى الشهير بالمقدسي .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٤١هـ .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، وبها أثر رطوبة .

الموضوع : علوم القرآن .

٧٣ - مسلك الطُّلاب بشرح نزهة الحساب :

اسم المؤلف : يحيى (تقي الدين) بن إسماعيل بن عبادة بن هبة الله الشهير بالحلبي الفرَضي الشافعي (ت ١٠٢٨هـ) .

عدد الأوراق : ٣٢ ورقة .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة . بحواشيها بعض الشروح ، وبأولها تملُّكات ووقف .

الموضوع : الحساب .

٧٤ - نتائج الفكر :

اسم المؤلف : أحمد بن يوسف (يونس) الخليفي الأزهري الشافعي ، أبو العباس (ت ١٢٠٩هـ) .

اسم الناسخ : عبد الرحمن رضوان ، الشافعي مذهبًا ، الروياني بلدًا .

تاريخ النسخ : سنة ١٣١٣هـ .

حالة المخطوطة : سيئة من أثر الرطوبة التي أدت إلى تأكسد الحبر الذي كُتبت به . بحواشيها بعض الشروح ، وعليها وقف .

٧٥ - الإعراب عن قواعد الإعراب (نسختان) :

اسم المؤلف : جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام (ت ٧٦١هـ).

ملاحظات : نسختان : الأولى نسخت سنة ٩٥٥هـ ، والثانية نسخت سنة ١٠٠١هـ ، وكلتاهما بخطين مختلفين .

حالة المخطوطة : سيئة . بحواشيها بعض الشروح ، وعليها تملُّكات ووقف .

الموضوع : النحو .

٧٦ - **فتاوى تركية** (وهو عبارة عن كتابين) :

- **الأول فتاوى** ، مجهول المؤلف .

- **والثاني كتاب في الفقه** :

اسم المؤلف : محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن سليمان ، المعروف بالأسطواني (ت ١٠٧٢هـ) .

تاريخ النسخ : سنة ١١٣٣هـ .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، وبها أثر رطوبة ، وثقوب وأخاديد . بحواشيها بعض الشروح بداخل المتن ، وبأوّلها فهرس للموضوعات ، وبها بتر من آخرها .

الموضوع : الفقه .

٧٧ - **سَلْوة الجُلاس بمذاكَرة الأنفاس** :

اسم المؤلف : عبد الأحد كرجي المسيحي الماروني (؟)

اسم الناسخ : المؤلف نفسه .

سنة التأليف : سنة ١٨٧٤م .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة .

٧٨ - **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج** :

(منهاج الطّالبين في الفروع للإمام النووي [ت ٦٧٦هـ]) .

اسم المؤلف : شهابُ الدّين محمد بن أحمد الرملي الأنصاري الشافعي (ت ١٠٠٤هـ) .

تاريخ التأليف : سنة ٩٩٥هـ .

عدد الأوراق : ٣٧٢ ورقة .

لون الحبر : أسود وأحمر .

حالة المخطوطة : جيدة ، مذهّبة الطالع ، والصفحة الأولى مؤطّرة بإطار مذهّب . بحواشيها بعض الشروح . بأولها فهرس للموضوعات ، وعليها وقف .

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ **د. حسن الشافعي :**

أضمُّ صوتي لصوت الدكتور غسان محيبش والدكتور خضر سلامة في مواجهة المشكلات المالية والتَّعْقيدات العمليَّة التي تواجه جهودهم .

والآن الوقت لكم ، ونرجو أن نقوم بدورنا في تنمية الأفكار التي تفضَّل بها الباحثان .

■ **د. خضر سلامة :**

هذه المخطوطات التي نتكلّم عنها جزءٌ منها مصوّرات ، وتم عمل فهارس لها متداولة محليًّا . أما المخطوطات الأصليَّة فلم يتم بعد نشر أي فهارس لها .

وبالتعاون بين المؤسسة وجامعة القدس قام د. حسام الدين عفارنة (جامعة القدس) بفهرسة جميع المخطوطات المصوّرة ، وحتى المخطوطات الأصلية أيضًا ، وصُوِّر منها قسم كبير .

وبلغت الفهرسة ١٣ جزءًا ، نشر ثلاثة أجزاء منها فقط ، والباقي (عشرة أجزاء) يحتاج نشره إلى تكلفة قدرها ٢٣ ألف دولار .

وبالنسبة لمصوّرات هذه المخطوطات فهي من المسجد الأقصى ، ومن المكتبة البديرية ، ومن مكتبات العائلات ، ومن مكتبات بعض المدن الفلسطينيَّة .

وبشكل عام لدينا أربعة آلاف مخطوطة فُهرِسَتْ جميعها .

■ **د. محمد عدنان البخيت :**

لم يعطنا د. غسّان معلومات دقيقة ، فعن أي مخطوطات يتحدث : هل يتحدث عن مخطوطات القدس ضمن حدود مدينة القدس ، أم عن مخطوطات فلسطين جميعًا ؟ فإذا كان الأمر عن مخطوطات القدس ، فهناك أكثر من فهرس علمي لهذه المخطوطات . والدكتور خضر عدّد فهارس قامت مؤسسة الفرقان بطباعتها، مثل فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى، وطُبع منه ثلاثة أجزاء ، والجزء الرابع يُطبع الآن . كما عدّد فهارس طبعتها مؤسسة آل البيت بالأردن .

وفي ما يتعلّق ببقيَّة المخطوطات في الضَّفة الغربيَّة وغيرها من المدن الفلسطينية ، فقد طُبع الكثير من فهارسها ، وأرجو من د. غسّان محيبش ومن مؤسسة إحياء التراث - وهم يُشْكَرون على ما يقومون به من جهود - أن يكون لديهم قاعدة بيانات في ما يتعلق بالأمر .

وإذا كان هناك فهارس قد طُبعت ، فهل هناك من حاجة إلى إعادة الفهرسة والطباعة من جديد ؟

في تقديري المتواضع أن ما يوجد إن لم يكن قد فُهرس وطُبع ، فهو بحاجة إلى طباعة ، لكن هناك تداخلٌ في الصّلاحيات في ما يتعلّق بالعناية بالمخطوطات في فلسطين وفي الضَّفة الغربيَّة .

لقد وبَّخَنا الإخوانُ في جامعة الدول العربيَّة قبلَ ثلاث سنوات وهم بصدد تقييم جهودنا ، فقلنا لهم : اتقوا الله ، نحن كنا نعمل تحت إطلاق النار ، وليس في ظروف طبيعيَّة !

نقطة أخيرة : أرجو أن نكون حذِرين من كلمة الملايين في ذكر الوثائق ؛ لأن رقم الملايين في المخطوطات العربيَّة قد انتهى وانتهينا معه إلى شبْه اتفاق على أن عدد المخطوطات العربية في العالم كله لا يكاد يتجاوز نصْف مليون مخطوطة عربية أصْليَّة .

ومن هنا ، فالذي أتمناه في هذه الجلسة - وليس الكلام موجهًا للزملاء فقط بل لنفسي ابتداء - أن نراعي دقة الرقم .

■ د. غسّان محيبش :

مؤسسة إحياء التراث لديها مخطوطات أصلية ومخطوطات مصوّرة ، وتم عمل فهارس ، وهناك نوع من التداخل ، فقِسْم من هذه المخطوطات من مكتبة المسجد الأقصى ، وقِسْم آخر من المكتبة البديريَّة ، وبالطبع هناك فهارس لمكتبة المسجد الأقصى والمكتبة البديريَّة .

وبالنسبة للأرقام التي ذكرتها وتركيزي على ذكر الملايين ، فأنا أقصد إدخال الوثائق ضمن المخطوطات .

■ عصام الشنطي :

نقطة بسيطة ، توضح مسألة التكرار . في رأيي أنه يجب أن تعنى مؤسسة إحياء التراث بفهرسة المخطوطات الأصليّة التي لديها ، أما المخطوطات المصوّرة ، مثل التي صُوِّرت من المسجد الأقصى مثلاً ، فهي محاولة جيدة لحفظ هذا التراث ، ولا سيما أن المؤسسة تقع في قرية وليست داخل مدينة القدس ، ولكن أريد أن أقول : يجب أن تترك المؤسسة الفهرسة التفصيلية لأصحابها في ما يتعلّق بالمصوّرات ، وأن ترتقي المؤسسة بنقطتين : فهرسة المخطوطات التي تمتلكها فهرسة وصفيّة ، وأقصد بالمخطوطات المخطوطاتِ الأصليَّة ، وأن تصنع قائمة بالمصوّرات والمفهرسات في المكتبات الخاصة ، وتكفي فهرسة القوائم ، بمعنى ذكر عنوان المخطوطة ، واسم المؤلف ، وسنة وفاته ، ورقم المخطوطة في المكتبة الأصلية ، ورقم الصورة عنده في المركز ، وذلك لاطلاع الباحثين وانتفاعهم .

لكن أن نضع فهارس بهذا الكمِّ من الأجزاء ، وهذه المخطوطات مفهرسة من قبل وصدرت لها فهارس ، فهذا تكرار مكلّف ، ولن يجد ذلك مَنْ يموّله .

■ **د. أيمن فؤاد سيد :**

أشير إلى نقطة تتعلّق بالفهرسة الآليَّة للمخطوطات وإمكانية جعلها عوضًا أو بديلاً من طباعة الفهارس . من خلال تجربة طويلة - عشر سنوات - اكتشفت أن الفهرسة الآلية يمكن أن تكون مفتاحًا لمعـرفة وجـود كتاب ما من عدمه ، وذلك من خلال عنوانه أو مؤلّفه ، لكنها لا تعطي البيانات التي تعطيها الفهرسة الورقيَّة ، فالفهرسة الورقيَّة تعطي تفصيلات أكثر ، ونحن نسمي الفهرسة المفصَّلة « الفهرسة الكوديكولوجيَّة » .

والدكتور خضر أشار إلى أنه يريد من خلال علامات التملُّك وغيرها أن يتعرَّف على أصول المخطوطات : من أين جاءت وإلى أين ذهبت ، وهذا بالطبع لا يظهر من خلال الفهرسة الآلية ؛ لأنها عبارة عن خانات تسدَّد وتملأ .

ودليلي على ذلك أن جميع المكتبات الأوروبيَّة بلا استثناء ما زالت مستمرّة في عمل الفهارس الورقيَّة ، والمكتبة الوطنيَّة الفرنسيَّة أعادت فهرسة الفهارس الأولى، وأخرجت فهارس جديدة صنعها فرانسوا ديروش وغيره .

والسبب الذي دعاهم إلى إعادة فهرسة الفهارس القديمة ، أن هناك تفصيلات حول هذه المخطوطات ، ولا يمكن إدخال هذه البيانات في الفهرسة الآلية ، التي لها خانات محدّدة أُعدت مسبقًا ، فكل مخطوط يفرض أشياء معيّنة ، فلا تغني الفهرسة الآلية عن الفهرسة الورقيَّة ، لكنْ الفهرسة الآليَّة تعين على تجميع المخطوطات ، ومعرفة أماكن الكتاب الواحد .

■ **د. عبد الستار الحلوجي :**

هذا تعقيبٌ على تعقيب . د. أيمن يقول : إنَّ الفهرسة الآليَّة لا تغني عن نشر الفهارس المطبوعة . الحقيقة أن الآلة تستقبل كل ما يُقدَّم لها من معلومات ، فنستطيع أن نخزّن أية بيانات عن المخطوط آليًّا ، خصوصًا أنني من جيل قديم

ينتمي إلى عصر الكلمة المقروءة أو المكتوبة المطبوعة ، لكن بعد زيادة تكاليف الطباعة الآن ومشاكلها ، أصبحت مسألة نشر الفهارس المطبوعة مكلفة جدًّا ، كما أن وصولها إلى المستفيد أمرٌ أصعب من مسألة وصول فهرس آلي إليه .

■ **د. أيمن فؤاد سيد** :

بالنسبة لمسألة استرداد الممتلكات هناك اتفاقيَّة اليونسكو الموقَّعة عام ١٩٧٢ ، الخاصَّة باسترداد الممتلكات الثقافيَّة والتُّحف أو المقتنيات المحفوظة في المكتبات ، بشرط أن تكون مسجّلة في المتاحف أو المكتبات بأوصافها قبل عام ١٩٧٢ ، لكن الأشياء التي تظهر فجأة وهي غير مسجّلة من قبل بهذه المتاحف أو المكتبات ، لا يمكن استردادها .

■ **د. حسن الشافعي** :

أشكركم جميعًا ، وأتوجَّه بالشكر إلى الأستاذ الدكتور أحمد يوسف الذي شرَّفني بهذه المكانة - ولعلي أكون قد سددت هذه الخانة - هناك نقطتان أريد أن أذكرهما ، الأولى : حقٌّ للدكتور أحمد يوسف ، والثانية أن هناك ملاحظات يجب أن نستخلصها - وهي لا تفوت الدكتور أحمد - وهي :

١ - ثمة حاجة إلى وجود ميزانيَّة للمؤسستين الفلسطينيتين المذكورتين ، وإلى بناء قاعدة بيانات لمخطوطات فلسطين بوجه عام ، والمخطوطات المقدسيَّة بوجه خاص .

٢ - إعداد فهرسة وصفيَّة لما يملكه مركز إحياء التراث من مخطوطات أصلية ، وأخرى على شكل قوائم للمخطوطات المصوّرة ، حتى نتجنَّب التكرار .

* * *

الجِلْسة الثالثة :

تشكيل التراث المقدسي

صناعة الكتب في القدس
في العصر العثماني

د. بشير بركات(*)

د. عبد الستار الحلوجي (رئيس الجلسة) :

نبدأ الجلسة الثانية ، وموضوعها « تشكيل التُّراث المقدسي » . والحقيقة أن الحديث عن القدس حديث ذو شجون ، فهي بؤرةٌ مُتألقةٌ في صميم وجدان الأمة ، وتاريخها جزءٌ عزيز من تاريخ العرب والمسلمين ، وحاضرها يمثل جُرْحًا داميًا في جسد هذه الأمّة . وما تتعرّض له من عُدْوان واحتلال وانتهاك بشع لجميع المواثيق الدوليَّة - يُدين الضَّمير العالمي ويفضَح دعاوَى الحقّ والعدل وحقوق الإنسان .

ولعلكم تتفقون معي على أن التراث هو ذاكرة الأمة ، وأن الكتب التي سجلت التاريخ عبر عصوره المتعاقبة قد ركّزت على الحكّام والأحداث السياسيَّة ، وأغفلت إلى حدّ كبير الجوانب الثقافيَّة والاقتصادية والاجتماعيَّة ، ونحن معشرَ المشتغلين بالكتب بصفة عامة ، وبالمخطوطات بصفة خاصَّة - مطالَبون بأن نؤرِّخ للكتاب العربي والإسلامي ، وأن نعرِّف بما تقتنيه مكتباتنا من نفائس أسهمت في إثراء عقل الأمة ووجْدانها ، بل أسهمت في تبديد ظلمات القرون الوسطى ، ونقلت البشرية إلى آفاق فجر جديد .

وأعمال هذه الجلسة تدور حول التعريف بالتراث المخطوط الذي تقتنيه المكتبات المقدسيَّة ، وتحتفظ به وديعةً غالية وكنزًا معرفيًّا ينهل منه أبناء هذه الأمَّة جيلاً بعد جيل .

وهذه المخطوطات كثيرة في عددها ، متنوعة في موضوعاتها ، موزّعة على الأديرة والمعابد والمتاحف والمساجد والجامعات والمكتبات الخاصة لعلماء هذه البقعة الطاهرة .

وتكوين هذه المجموعات ومحاولة إثرائها والحفاظ عليها - عملٌ بطوليٌّ بلا شك ، وقد تعرضت المدينة الباسلة - وما زالت تتعرض - لعدوان آثم ، ولألوان بشعة من التخريب والتدمير الذي لم يستهدف المبانيَ والمنشآت فحسب ، بل استهدف الإنسان نفسه ، وحاول طمس ذاكرته بالسطو على تراثه وإتلاف هذا التراث ، على أمل أن تفقد الأمة ذاكرتها ، وتنسى هُويّتها ، وتنسلخ عن ماضيها ، فيسْهُل عليها قَبول الهوان ، ولا تستنكف عن التفريط في الأرض والعِرض جميعًا .

والتراث المخطوط الذي تقتنيه مكتبات القدس - أيها السَّادة - لا يشكّل خيطًا متألقًا في نسيج تراثنا العربي والإسلامي فحسب ، وإنما هو وثيقة تثبت هُويَّة هذه البُقْعة المباركة ، وتؤكد عُروبتها ، وتضعها على مكانها الصحيح على خريطة الثقافة العربية .

(*) مدير دار إسعاف النشاشيبي للثقافة والفنون بالقدس .

ونظرًا لعدم حضور الدكتور بشير بركات ، يتفضّل الدكتور أيمن فؤاد سيد ليعرض لنا بحث د. بشير ، قبل أن يعرض بحثه شخصيًا .

* * *

شهدت مدينة القدس نموًّا كبيرًا في عدد المدارس الإسلامية خلال العهد المملوكي ، ونمت معها الحاجة إلى مزيد من الكتب ، فأقبل بعض مَنْ يجيدون الكتابة في المدينة على احتراف مهنة النَّسْخ[1] ، وفي العهد العثماني زاد الإقبال على الكتب بفضل اهتمام العثمانيين بتطوير القدس عمرانيًا وثقافيًّا ، فتضاعف عدد سكان المدينة ثلاث مرات بعد الفراغ من تعميرات السلطان سليمان القانوني ، وأصبحت القدس مركزًا علميًّا يؤمُّه العلماء وطلبة العلم، واشتدت حاجتهم لاستنساخ المزيد من الكتب وتجليدها وترميمها . وقد شجع ذلك العديد من أبناء العائلات المقدسية على احتراف مهنة النسخ .

(١) منهم خضر بن محمد الحنفي الذي نسخ « المحيط في الفقه » سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م ، فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى ، ٢ : ١٥٧ ؛ ومنهم محمد بن أبي بكر البكري الذي نسخ « شرح ألفية العلامة جمال الدين بن مالك » في المسجد الأقصى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م ، فهرس الكتبخانه الخديوية ، ٤ : ٦١ ، ومنهم محمد بن أحمد الأنصاري الذي نسخ « صحاح اللغة » سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م ، فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى ، ٢ : ١٩٠ ؛ ومنهم محمد بن محمد السوداني الذي نسخ « الاختيار لتعليل المختار » سنة ٨٥٤هـ/١٤٦٤م ، فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية ، ص ٣٤٠ ، ومنهم إبراهيم ابن أحمد القرشي الذي نسخ « منهاج الطالبين » سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م ، فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية ، ص ٤٨٧ ؛ ومنهم موسى أحمد الكناني الذي نسخ « تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول » سنة ٨٧٨هـ/١٤٧٤م ، فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية ، ص ٢٤٨ ، ومنهم علي بن حسن المارديني نزيل بيت المقدس ، الذي نسخ « شرح ألفية ابن مالك » سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م ، مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي رقم ٢٥٦/٥٤١م . انظر ملحق ١ ، ومنهم محمد بن محمد بن عمران الغزي (ت ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م) الذي نسخ بخطه عدة مصاحف ، الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ٢ : ٢٣٩ .

النَّسْـخ :

تشير المخطوطات الموجودة حاليًا في القدس إلى أن غالبيتها كانت تُجتَلَب من القاهرة ودمشق ، حيث كان العلماء والطلبة يشترونها خلال إقامتهم في المدينتين . ومثال ذلك مخطوط « ذخيرة المحتاج في الصَّلاة على صاحب اللواء والتَّاج » ، الذي اشتراه محمد بن يعقوب الخلوتي حين توجّه لزيارة أولياء الله في مصر سنة ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م ، ثم أهداه للمكتبة البديرية بالقدس(١) .

وكان بعض علماء القدس ينسخون مخطوطات في أثناء وجودهم خارج فلسطين ويحملونها معهم إلى مدينتهم . ومنهم علي بن موسى بن فتيان المقدسي ، الذي نسخ « شرح تحفة الأحباب في علم الحساب » بالمدرسة البيبرسية في القاهرة سنة ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م(٢) ؛ ومنهم نور الدين الجاعوني الذي نظم ونسخ « الذيل على المنظومة الباعونية » خلال إقامته في إستانبول سنة ١٠٥٣هـ / ١٦٤٣م(٣) .

لكن هذا الواقع لا يعكس حقيقة ما كان عليه الأمر في القرون الماضية ، فقد تم نسخ أعداد كبيرة من الكتب في القدس ذاتها . وبعد الإشارة إلى أن مئات المخطوطات تم نقلها خارج القدس بعد سقوط الدولة العثمانية(٤) ، وأن كثيرًا من

(١) فهرس مخطوطات المكتبة البديرية ، ٢ : ٣٧١ .

(٢) مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي ، رقم ١٧٧/٦٢٦م - ب. انظر ملحق - ٣ .

(٣) مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي ، رقم ٣٥/٤٧٣م - خ. انظر ملحق - ٢ . والناسخ الذي نسخ الذيل على الباعونية هو الناظم نفسه محمد الباعوني ، وليس نور الدين بن محمد الجاعوني (المحرر) .

(٤) نذكر منها « رمز الحقائق شرح كنز الدقائق » ، نسخها صلاح الدين بن فتيان الحنفي القدسي سنة ٩٩١هـ / ١٥٨٣م ، وهي في الجامعة الأميركية في بيروت ، فهرس المخطوطات العربية المصوّرة ، الجامعة الأردنية ، ١ : ٢٨ ؛ و « إيقاظ الوسنان من رقدات توجب الخلل في تلاوة القرآن » و « تقويم اللسان بأحمد السنان وإبعاد حملة القرآن عن نزغات الشيطان في تلاوة القرآن » لمحمد بن عبد الرحمن الفتياني (ت بعد ١٠٣٢هـ / ١٦٢٣م) بخطه ، وكلاهما في جامعة برنستون ، الفهرس الشامل =

العائلات المقدسية ما زالت تتكتّم على ما لديها من مخطوطات خشية تسرُّبها أو سرقتها ، فلن يكون من السهل علينا إجراء مسح شامل للمخطوطات التي تم إنتاجها في القدس في هذا البحث . ولذلك فقد أحصيت تلك المخطوطات التي أتيح لي الوصول إليها في مكتبات القدس ولدى بعض العائلات ، والتي خُطّت في القدس خلال العهد العثماني ، فبلغ مجموعها ١٥٦ مخطوطًا نسخها ١٠٦ ناسخين مقادسة ، منهم ثمانية من أصول غير عربية[١] .

أما الكتب المنسوخة بحسب القرون الهجرية فعددها (١٦) في القرن العاشر ، و(٣٤) في القرن الحادي عشر ، و(٥٧) في القرن الثاني عشر ، و(٤٤) في القرن الثالث عشر ، و(٤) في القرن الرابع عشر[٢] ، وينسجم ذلك الازدياد من القرن العاشر حتى القرن الثاني عشر مع النمو الطبيعي في عدد السكان ، ومن ثم في عدد العلماء وحاجتهم إلى مزيد من الكتب ، أما في القرن الثالث عشر فقد عانت المدينة من حكم الجزّار وحَمْلة إبراهيم باشا وما تبعها من النفوذ الأجنبي ، فضعفت المدارس وقلّ الطلب على الكتب المخطوطة . ثم دخل عصر الطباعة في

= للتراث العربي ، مخطوطات التجويد ، ٢ : ٣٧٤ ؛ و « المسرة والبشارة في فضل السلطنة والوزارة » ، نسخها أحمد الحنبلي ابن يحيى المقدسي سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦٠م ، وهي في مكتبة الكونجرس ، فهرس المخطوطات العربية المصورة ، الجامعة الأردنية ، ٣ : ٦٥ ؛ و « المقامة الرومية والمعامة الرومية » ، نسخها مصطفى بن عبد الفتاح التميمي (ت ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م) وهي في جامعة ييل ، فهرس المخطوطات العربية المصورة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية / ٢ : ١٤٤ - ١٤٥ ، و « أحكام القرآن » ، نسخها عمر بن عثمان بالي سنة ١١٣٣هـ / ١٧٢٠م ، وهي في المكتبة الظاهرية ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، علوم القرآن الكريم ، ٢ : ١٧ .

(١) وفي ما يأتي أسماء العائلات التي ينتمي إليها هؤلاء مسلسلة بحسب أكثرها نُسّاخًا : الخالدي وجماعة الكناني والفتياني والعلمي وأبو اللطف وباب الدين والحنبلي والحسيني والسروري وبالي والأنصاري والجاعوني والتميمي والدجاني والصالح ، إضافة إلى عائلات أخرى .

(٢) تجدر الإشارة إلى أن محمد أمين بن عمر الدنف الأنصاري (ت ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م) كان آخر الناسخين ببيت المقدس ، وقد نسخ عدة مصاحف وكتب خلال عمله قيِّمًا على المكتبة الخالدية ، ولم تدخل في الإحصاء المذكور أعلاه .

الدولة العثمانية فأقبل علماء القدس على شراء الكتب الإسلامية المُجْتَلَبة من مطابع القاهرة وإستانبول وأعرضوا عن المخطوطات .

ولما كان النَّسْخ أهم مراحل صناعة الكتاب وأكثرها تكلفة[1] ، فقد شكّلت تلك المهنة مصدر رزق حتى لبعض أكابر العلماء ، فقد كانوا يمارسون النَّسْخ في أوقات الفراغ في منازلهم ، ولما كانت جودة الخط تختلف من ناسخ إلى آخر ، فقد كانت أجورهم تتفاوت تبعًا لذلك . ولما كان هذا العمل الشاق يحتاج إلى وقت طويل فنادرًا ما كانوا ينسخون كتبًا حسب ميولهم ورغباتهم الشخصية ، إذ ربما لا تلقى رواجًا فيذهب عملهم هباء ، بل كان الناسخون يعقدون - في الغالب - صفقات مع العلماء لنسخ كتب محددة حسب طلباتهم .

ومن هؤلاء الناسخين « مولانا الشيخ جمال الدين يوسف ابن مولانا الشيخ محمود بن أبي اللُّطف » ، الذي نسخ كتاب « قاضي خان » لحساب « جار الله قاضي القدس الشريف » سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م[2] ؛ ومنهم محمد بن صلاح الدين الخليفي الذي نسخ « شرح شذور الذهب » برسم ... مولانا الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ شمس الدين محمد اللُّطفي سنة ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م[3] ؛ ومنهم محمد الجاعوني الذي نسخ « البحر الرائق » لحساب « مُصْلِح الدين أفندي مصطفى قاضي القدس الشريف » سنة ١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م[4] ؛ ومنهم أحمد بن نور الدين الذي نسخ ثلاث رسائل لحساب الشيخ محمد بن يحيى ابن قاضي

---

(١) بلغت أجرة نسخ كتاب « قاضي خان » ١٢ سلطانيًا ذهبًا سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م ، وأجرة نسخ « البحر الرائق » عشرين قرشًا سنة ١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م ، وتكلفة نسخهما تعد باهظة جدًّا بالمقارنة مع القوة الشرائية لتلك العملات آنذاك . انظر س ش ٣٧ : ١٤٢ ، أوائل جمادى الآخِرة ٩٦٦ ؛ س ش ١٠٣ : ١٨٨ رجب ١٠٢٩ .

(٢) س ش ٣٧ : ١٤٢ ، أوائل جمادى الثانية ٩٦٦ .

(٣) فهرس مخطوطات المكتبة البديرية ، ٢ : ٤٢٤ .

(٤) س ش ١٠٣ : ١٨٨ ، رجب ١٠٢٩ .

الصلط سنة ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م[١] ؛ ومنهم خليل الشهواني الذي نسخ « غمز عيون البصائر على محاسن الأشباه والنظائر » برسم شيخ الإسلام محمد اللُّطفي سنة ١١١٢هـ/١٧٠٠م[٢] ؛ و « لوائح الأنوار على مِنَح الغفّار » سنة ١١٣٠هـ / ١٧١٨م[٣] ؛ ومنهم عبد المعطي بن محيي الدين الخليلي الذي كان « يأكل من ... من كتابة كتب الحديث بعد قراءة الدروس ونفع الأنام ويكتب ذلك والناس نيام »[٤]، وقد نسخ « أحكام القرآن » سنة ١١٣٧هـ/١٧٢٥م[٥]، ونسخ « الجامع الصَّحيح » في القبة النَّحوية في صَحْن الصَّخْرة سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٨م[٦] ؛ ومنهم عمر بن عثمان بالي الحنفي الذي نسخ « فتاوى الأنقروي » وذلك برسم ... الشيخ أحمد أفندي المفتي حالاً بالديار القدسية سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م[٧] .

وبعد إتمام النَّسْخ كان على الناسخ أن يُقابِل المخطوطَ المنسوخ بالمخطوط المنقول عنه ، لاكتشاف الأخطاء وتصحيحها على الهوامش ، حيث كان يقرأ النص بينما يتتبعه شخص آخر في قراءة المخطوط المنقول عنه . وكان العلماء يشدّدون على أهمية المقابلة خشية تبدُّل النص من نسخة إلى أخرى ؛ ومنهم الشيخ محمد بن عبد الرحيم أبو اللُّطف (ت ١١٤١هـ / ١٧٢٨م) ، وقد كتب على مجموع خطّه بيده : « ومَنْ كتب الكتاب ولم يُقابل ، كمَنْ فعل الغزاء ولم يُقاتل »[٨] . ومثال ذلك مخطوط « الإسعاف في تحقيق بانت سعاد » ، إذ كتب

(١) مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي ، رقم ١٢٦م . انظر ملحق - ٤ .

(٢) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الفقه الحنفي ، ١ : ٥١٩ .

(٣) فهرس مخطوطات المكتبة البديرية ، ١ : ٥١٩ ، فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية ، ٣٦٩ ، وله بخطه مجموع في الشعر من نظمه ونظم غيره ، مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي ، رقم ١٧٥/٦٦٦م .

(٤) تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر ، ١٧٥-١٨٤ .

(٥) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، علوم القرآن ، ٢ : ١٨ .

(٦) فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى ، ٢ : ٣٨ .

(٧) مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي ، رقم ١٥٨/٧٨م-م .

(٨) مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي ، رقم ٣٥م - ١٠ أ .

الشيخ حسن العطار المصري على نسخته : « الحمد لله ... قُوبل هذا الشرح الشريف المنسوب لخاتمة المحققين الشيخ محمد بدير المقدسي ، وكانت تلك المقابلة مع كاتب الحروف الفقير حسن بن محمد العطار ... والعمدة الفاضل الشيخ عبد الله مفتي غزة ، وذلك بالقدس الشريف بمكان مالك الكتاب ؛ الفاضل المحقق السيد محمد طاهر أفندي مفتي القدس الشريف ، ووافق إتمام المقابلة عصر يوم الثلاثاء السابع من شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ١٢٢٤هـ »(١) .

وبخصوص الورق المستخدم في القدس فلم أعثر على ما يشير إلى صناعته محليًّا ، حيث كان الناسخون يستخدمون ورقًا شاميًّا ، ومثال ذلك عشرون مخطوطًا وقفها عبد الحليم خليفة بن مصطفى الكوتاهيوي سنة ٩٨٧هـ/١٥٧٩م ، ونسخ بعضها بخطّ يده على « القطع الكامل من الورق الشّامي »(٢) . كما أن بعض أهل الذمة كانوا يستوردون ورقًا أوروبيًّا ، ففي سنة ٩٦٨هـ / ١٥٦١م شملت تركة « يوسف كركوز بن يعقوب اليهودي الديّان بمدينة القدس » ١٢٩ كتابًا و ٢٦ لفة من « الورق الإفرنجي الأبيض »(٣) . وفي أواخر العهد العثماني كانت الأوراق تستورد من إستانبول وأوروبا ، كما تشير إلى ذلك علامات الدمغة التجارية ، وخاصة « انز جديد عهد همايون » . وقد تفاوتت أنواع الورق بين السَّميك والرقيق ، والخشن والصَّقيل ، كما أن أوراق بعض المخطوطات كانت تُلون بالأصفر والبنّي .

أما الحبر فقد كان يصنع محليًّا - على الأرجح - وذلك لسهولة إعداده وتوفر مواده الخام في مختلف البلدان ، كالصمغ العربي والسناج والخل والنِّيلة وغيرها ، ومن أصنافه التي استخدمت في مخطوطات القدس : الحديدي الأسود والكربوني والأحمر .

(١) مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي ، رقم ٥٨٢/٨٨م-د .

(٢) س ش ١٧١ ، أواخر رجب ٩٨٧ .

(٣) س ش ٤٠ : ٤٧٢ ، ١٥ ذ ح ٩٦٨ .

التجـــليد :

بعد الفراغ من نَسْخ أوراق الكتاب كان الناسخ يرسلها إلى مجلّد يقوم بخياطة الملازم وتغليفها بجلد أو ورق مقوًّى ، وقد يزيّن الغلاف بإطارات وأشكال هندسية ورسوم نباتية بحسب رغبة العالِم الذي طلب نسخ الكتاب . وكان المجلّد يمارس عمله في دكان يستأجره في السوق ، كما تشير سجلاّت المحكمة الشرعية بالقدس .

ولمّا كان عمل المجلّد أيسر وأسرع بكثير من عمل الناسخ ، فقد كان الطلب عليه أقل ، ولذلك عرفنا أسماء ثمانية مجلّدين فقط وغالبيتهم من الأتراك(١) ، وهم : مصلح الدين خليفة بن محمد المجلّد سنة ٩٦٣هـ / ١٥٥٦م(٢) ، ومحمد بن فري الرومي المجلّد شيخ المدرسة المهمازية سنة ٩٦٤هـ / ١٥٥٧م(٣) ، وسنان خليفة بن عبد الله المجلّد سنة ٩٦٩هـ / ١٥٦١م(٤) ، ومصطفى بن محمد الرومي المجلّد سنة ٩٨٩هـ / ١٥٨١م(٥) ، وعبد الجليل المجلّد الأنكوري سنة ١٠١٩هـ / ١٦١٠م(٦) ، ومحمد بن سليمان المجلّد سنة ١١٦٢هـ / ١٦٥١م(٧) ، وصالح بن حسين المجلّد سنة ١١٢٠هـ / ١٧٠٩م(٨) ، وإبراهيم المجلّد الحلبي سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م(٩) .

---

(١) يُضاف إلى هؤلاء عدد كبير من مجلدي المطبوعات أواخر العهد العثماني ، وهم خارج نطاق البحث .

(٢) س ش ٣١ : ٣٦٩ ، ١٨١٩ ، ١٩ رجب ٩٦٣ .

(٣) س ش ٣٣ : ٤١٦ ، ٣ شعبان ٩٦٤ .

(٤) س ش ٤٣ : ١٣ ، غاية صفر ٩٦٩ .

(٥) س ش ٥٩ : ٤٤١ ، أواخر جمادى الأولى ٩٨٩ .

(٦) س ش ٩١ : ٤٧ ، ١٤ جمادى الثانية ١٠١٩ .

(٧) س ش ١٤٦ : ٢ ، ٢٥ محرم ١٠٦٢ .

(٨) س ش ٢٠٥ : ٢٢٤ ، ٢ ذي الحجة ١١٢٠ .

(٩) س ش ٣٣٢ : ٤٠ ، نصف محرم ١٢٦٦ .

التـــوزيـع :

عُرف صانع الكتب في المدن الإسلامية بالورّاق ، وكان يمارس عمله عادة في دكان مستقل في السوق ، ويقوم بالنسخ والتجليد والبيع ، لكنني لم أعثر على ما يشير إلى وجود دكاكين للورّاقين في القدس خلال العهد العثماني . فقد كان الناسخون يبيعون نتاجهم بأنفسهم أو بواسطة الدلاّلين الذين يقومون مقام الموزع في العصر الحديث ، وكان يمارس عمله بعد الحصول على ترخيص رسمي ، كما في عام ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م ، فقد أقام قاضي القدس الشريف « الشيخ صالح ابن المرحوم الشيخ شهاب الدين الشهير بابن عُقبة دلالاً لبيع الكتب التي تباع بمدينة القدس الشريف يعرضها على طلبة العلم والعلماء الكرام ومشايخ الإسلام القاطنين بالمدينة المزبورة »[1] .

وكان الدلال يحصل على بعض الكتب استيرادًا أو من التركات ، ففي سنة ١٠٤٣هـ / ١٦٣٤م بيع سبعون كتابًا من تركة محمد الناصري[2] ، وفي سنة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م بيع أربعون كتابًا من تركة خالد بن عثمان[3] ، وفي سنة ١١٩٧هـ / ١٧٨٣م بيعت مجموعة كبيرة من الكتب بلغ ثمنها ٢٢٥١ قطعة مصرية من تركة مصطفى العلمي[4] بوساطة دلاّلي الكتب .

الـترمـيم :

ظهرت مهنة الترميم مع ظهور الكتب ذاتها ، التي كانت أسعارها الباهظة

(١) س ش ١١٢ : ٨٢ ، ١ ربيع الثاني ١٠٣٦ .

(٢) س ش ١٢٢ : ٧٢٧ ، أواسط رجب ١٠٤٣ .

(٣) س ش ٣٣١ : ١٨٧ - ١٨٨ ، ٢٧ رجب ١١٥٤ .

(٤) س ش ٢٦٤ : ٨٠ ، ٢٠ شوال ١١٩٧ .

تتطلّب ترميمها بعد تضرُّرها من جراء الاستخدام أو تعرضها للرطوبة والحشرات. وكانت المصاحف الشريفة خاصة تحتاج إلى الترميم على مدار العام ، وكان القاضي يعين مرممين لربعات محددة ، كما حدث عام ٩٩٥هـ / ١٥٨٧م ، فقد عُيّن أحمد بن مريد في « وظيفة مرمّة أجزاء الربعة المنسوب إيقافها إلى بيمانة خاتون بنت عبد الله الإسلام ... والمستقر قراءتها بالصخرة »[١] . وفي سنة ١٠١٥هـ / ١٦٠٦م عُيّن الشيخ عبد الله الدجاني في « وظيفة مرمّة المصاحف الشريفة التي عند ضرائح الأنبياء الكرام : خليل الرحمن وسيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب وسيدنا يوسف »[٢] ، وفي سنة ١٠٢٣هـ / ١٦١٤م عُيّن عبد الله بن علي البخاري في « وظيفة مرمّة المصاحف المكرمة الكائنة بالمسجد الأقصى الشريف والصخرة المشرفة والمكرم العثماني الكائن بأعلى الكرسي بالمسجد الأقصى الشريف ... عوضًا عن بشير البخاري بحكم غيبته عن القدس الشريف »[٣] ، وفي سنة ١١١٧هـ / ١٧٠٥م أمر قرّه مصطفى باشا محافظ القدس الشريف بترميم ٢٧ مصحفًا في المدرسة البلدية تحت إشراف الشيخ محمد الخليلي[٤] .

وعدا المصاحف كانت مكتبة « خزانة الصخرة المشرفة » بحاجة إلى ترميم الكتب التي كانت تتضرر بسبب إعارتها للعلماء والطلبة ، وكان بعض العلماء يمارسون هذه المهنة في منازلهم بعد تقاعدهم ، ومنهم قاضي الشافعية سليمان بن أبي الهدى الداودي (ت ١٠٧٣هـ / ١٦٦٣م)[٥] .

---

(١) س ش ٦٦ : ٤١٦ ، ١ ربيع الثاني ٩٩٥ .

(٢) س ش ٨٦ : ٢٦٤ ، ٣ جمادى الأولى ١٠١٥ .

(٣) س ش ٩٥ : ٣٢٥ ، ١٨ شعبان ١٠٢٣ .

(٤) المخطوطات القرآنية ، ٤٢ ، ٦٢ .

(٥) خلاصة الأثر ، ٢ : ٢١١ - ٢١٢ .

خاتمة :

يتبين لنا مما تقدم أن مدينة القدس كانت مركزًا من مراكز صناعة الكتب خلال العهد العثماني ، وفي سبيل إكمال هذا البحث نحتاج إلى الاطلاع على المخطوطات المقدسية العائلية التي ما زالت تحتجب عنا ، إضافة إلى حصر المخطوطات التي خُطّت في القدس ثم نقلت إلى خارج فلسطين .

* * *

المراجـع

- الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلي ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٩٥ .
- تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر ، حسن بن عبد اللطيف الحسيني ، تحقيق سلامة نعيمات ، عمان ، ١٩٨٥م .
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، محمد المحبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، علوم القرآن ، مخطوطات التجويد ، مؤسسة آل البيت ، عمان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ .
- فهرس الكتبخانة الخديوية ، أحمد الميهي ومحمد البيلاوي ، المطبعة العثمانية ، القاهرة ، ١٣٠٧هـ . ج ٤.
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، صلاح محمد الخيمي ، علوم القرآن الكريم ، دمشق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، محمد مطيع الحافظ ، الفقه الحنفي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م .
- فهرس المخطوطات العربية المصوّرة ، محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود وفالح صالح حسين ، مركز الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- فهرس مخطوطات المكتبة البديرية ، خضر سلامة ، إدارة الأوقاف العامة ، القدس ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية ، نظمي الجعبة ، مؤسسة الفرقان ، لندن ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى ، خضر سلامة ، مؤسسة آل البيت ، عمان ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ج٢ .

* * *

خزائن كتب المدارس في بيت المقدس في العصر المملوكي

د. أيمن فؤاد سيد(*)

كان من أهم إنجازات حركة الإصلاح السُّنِّي التي قادها السلاجقة بدءًا من النِّصْف الثاني للقرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي - إنشاء «المدارس» وذلك لتحقيق أمرين : أولاً : دَعم الإسلام السُّنِّي في مواجهه التَّحَدي الشِّيعي الذي بلغ ذروته في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، والذي يحق لنا أن نُسَمِّيه « عَصْر انتصار الشِّيعَة » . ففيه تحكم البويهيون الشِّيعة في إمبراطورية عريضة كان مركزها العراق ، وفرضوا سيطرتهم على الخليفة العباسي السُّنِّي في بغداد ، ومَدَّ الفاطميون الإسماعيليون نفوذهم على مصر والشَّام وشمال إفريقيا وجزيرة صقلية ، وأصبح للزيديين دولة في اليمن ، وفي إقليم طبرستان جنوبيّ بحر قزوين .

وثانيًا : إعداد كوادر موالية للدولة عن طريق تدريس المذاهب الفقهية الأربعة ، بحيث أصبحت هذه المدارس بمثابة مؤسسات رسمية لتخريج القضاة وكُتاب بيت المال والموظفين الرسميين .

وأخيرًا تلبية رغبة السلاطين والحكّام في إحكام سيطرتهم على رجال الدين الذين درسوا المذاهب الفقهية المُعْتَمَدَة في الدول السُّنية في هذه المدارس .

هكذا انتشرت المدارس السُّنية وذاعت أولاً في العراق مع السلاجقة ، ثم أدخلها الزنكيون والنوريون إلى الشام في القرن السادس الهجري ، وتبنّى هذه السياسة - في ما بعد - صلاحُ الدِّين يوسف بن أيُّوب في مصر ، بعد نجاحه في القضاء على الدولة الفاطمية ووضعه نهايةً لها سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، تم تبعه خلفاؤه في إنشاء المدارس .

(*) باحث في التاريخ ، وخبير مخطوطات .

وجاء العصر المملوكي ليشهد الازدهار الحقيقي للمدارس خاصَّة وقد مَدّ المماليك نفوذهم على مصر وبلاد الشام والحرمين الشريفين ، فأنشأ سلاطين المماليك وأمراؤهم المدارس في القاهرة والقُدس ودمشق وطرابلس وحلب وغيرها .

وكان من أهم ما مَيَّز المدارس وجود خزائن الكتب ، فقد حلَّت هذه الخزائن في العصر المملوكي محلَّ خزائن كتب الخلفاء ودور العلم ، ويقول القلقشندي في مطلع القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي : « أما الآن فقد قَلَّت عناية الملوك بخزائن الكتب اكتفاءً بخزائن كتب المدارس التي ابتنوها حيث إنَّها بذلك أمسّ » ، فاشتَمَلَت أغلب المدارس التي أُنشئت في العصر المملوكي على خزائن للكتب .

وبَلَغَ عدد المدارس التي أنشأها سلاطين المماليك وأمراؤهم في بيت المقدس بين القرنين السابع والتاسع للهجرة / الثالث عشر والخامس عشر للميلاد - كما أحْصَاها الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي في كتابه « المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي » - : سبعًا وثلاثين مدرسةً ، تحتفظ جميعها بخزانة كتب موقوفة عليها لإفادة طلبة هذه المدارس وأساتذتهم ، من أهمها : المدرسة الدوادارية ، والمدرسة التنكزية ، والمدرسة الأرغونية ، والمدرسة المنجكية ، والمدرسة الطازية ، والمدرسة البابطية ، والمدرسة المزهرية ، والمدرسة الأشرفية ، والمتبقي من مقتنيات خزائن هذه المدارس الآن في مكتبات القدس ٨٦٤ مخطوطًا .

وانتقل الكثير من هذه الكتب الموقوفة على مدارس بيت المقدس إلى مكتبات إستانبول والأناضول في أعقاب الفتح العثماني ، تمامًا مثل ما حَدَث لخزائن كتب مدارس القاهرة ، وكَوَّن قِسمًا مهمًّا من رصيد هذه المكتبات يمكننا التَّعَرُّف عليه من خلال علامات الوَقْف المثبتة على ظهرية هذه الكتب أو غاشيتها .

ولما كانت فهارس المخطوطات التقليدية لا تهتم بإثبات خَوَارج النَّصّ التي تشمل علامات الوَقْف والتملُّك وإجَازات السَّمَاع والقراءة ... فسيكون من المتعذّر في غيبة الفهرسة الكوديكولوجية للمخطوطات التعرُّف على مصدر هذه المخطوطات أو المؤسسات والمنشآت التي كانت موقوفة عليها في الأساس قبل انتقالها إلى الأماكن المحفوظة فيها الآن .

ولعل الإشارة الصريحة الوحيدة إلى وجود خزانة كتب بمدارس بيت المقدس وردت في حُجَّة وقف السلطان الأشرف قايتباي على المدرسة الأشرفية السلطانية الواقعة غربي الحرم القدسي بالقرب من باب السلسلة ، بينه وبين باب القطّانين ، التي أشارت إلى أنَّه توجد « في الإيوان القبلي بحائطه الشمالي ثلاث خزائن معدَّة للكتب التي توقَف بها بالمدرسة المذكورة » ، من بينها مصحف شريف يوجد الآن بالمتحف الإسلامي بالقُدْس ، ونسخة خزائنية من « تخميس الكواكب الدرية في مَدْح خير البرية » ، لناصر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الصَّمد المالكي ، كتبها المملوك خداوردي مَرْدَم للسلطان الملك الأشرف قايتباي ، توجد الآن في دار كتب المسجد الأقصى في جامع المغاربة برقم (٢٥٣) .

وعرفت مدينة القدس كذلك الكثير من المكتبات الخاصَّة مثل دار الكتب الفَخْرية التي وقفها القاضي فخر الدين أبو عبد الله بن فضل الله ، المتوفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م والتي بَلَغَ عَدَدُ مجلَّداتها نحو عشرة آلاف كتاب اقتسمها أفْرادُ أسرة أبي السعود أصحاب الزاوية الفَخْرية بعد وفاته[١] .

ووَصَلَت إلينا بعضُ الوقْفيات لمكتبات مقدسية تمدُّنا بمعلومات غنية عن عدد مجلَّدات هذه المكتبات ونوعياتها ، من أهمها وقفية الشيخ يحيى شرف الدين ابن محمد ابن قاضي الصَّلْت ، المتوفى سنة ١٠٤٠هـ / ١٦٤٠م ، التي وَقَف فيها مكتبته سنة ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م . وكان الواقف يسكن هو وعائلته في المدرسة

(١) فيليب دي طرازي : خزائن الكتب العربية في الخافقين ، بيروت ١٩٤٧ ، ١ : ٢٩٤ .

الأمينية الكائنة في الرواق الشمالي لساحة الحرم القدسي ، وكانت مكتبته تقع في الطابق الثاني للمدرسة ، ووَقفها على طلَبة العلم سنة ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م . وتفيدنا هذه الوقفية بنوعية الكتب التي كان يتداولها مشايخ القدس وعلماؤها في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة ، وهي تعكس في الوقت نفسه اهتمامات واقف المكتبة الذي تصفه الوقفية بـ « إمام النُّحاة والأصوليين » .

ويبلغ عدد الكتب التي تذكرها الوقفية نحو مائة كتاب ، بينها أكثر من أربعين عنوانًا في خمسة مجاميع ، تذكر الوقفية منها اثنين وعشرين عنوانًا ، على حين أغْفَلَت ذكر بقية العناوين . ومن بين الكتب المعروفة التي حوت هذه الخزانة نُسخًا منها : تفسير البَيْضَاوي ، وتفسير الزَّمخشري المعروف بـ « الكشَّاف » ، وصحيحا البُخَاري ومُسْلم وشروحهما ، و « الشافية » لابن الحاجب وشروحها ، و « الشفا » للقاضي عياض ، و « ألفية ابن مالك » ، و « شَرْح تصريف العِزِّي » .

ورُتِّبَت كتب الخزانة في الوقفية ترتيبًا موضوعيًّا يتبين منه اهتمام الشيخ يحيى شرف الدين بكتب الفِقْه وأصُوله (٣٢ كتابًا) ، وعلى الأخصّ الفِقْه الشَّافعي ، ثم كتب اللُّغَة والنحو (عشرة كتب) ، وجاء في آخر الوقفية أنَّ الواقف « وقف هذه الكتب على نفسه مُدَّةَ حياته ... ثم من بعده على ولده لصُلْبه ... الشيخ محمد شمس الدين ، ثم على أولاده وأولاد أولاده من الذكور من أهل العلم ، فإذا انقرضوا بأجمعهم ولم يبق له نسلٌ ولا عقِب عادَ ذلك وقفًا على مَنْ يوجد من أولاد الواقف ... فإذا انقرضوا بأجمعهم عاد ذلك وقفًا على طلبة العلم بالقدس الشريف من السادة الشافعية ... وتَحَرَّر ذلك في خامس عشر من رجب الفرد من شهور سنة سبع وألف »[1] .

(١) كامل جميل العسلي : وثائق مقدسية تاريخية ، عمان ١٩٨٥ ، ١ : ١٥٢ - ١٦٥ .

ووصلت إلينا كذلك وثيقة يرجع تاريخها إلى سنة ٩٨٤هـ ، وموضوعها يتعلّق بحَصْر كُتُبٍ سُرِقت من أحد العلماء ، وتشتمل على دَعْوى رفعها فخر الأفاضل مُلاً محمود ، على شخص يُدعى محيي الدين بن عبد الله من أرْضروم يتهمه فيها بسرقة حَوَائج مختلفة وكُتُب له كانت في حجرته بالمسجد الأقصى ، ومن ميزات هذه الوثيقة اهتمامها بذكر أسْعَار هذه الحوائج والكُتُب . مما يُعْطينا فكرة عن أسعار هذه المواد في أُخريات القرن العاشر الهجري ، وتوضح لنا هذه القائمة أن أسعار الكتب كانت ترتفع كثيرًا قياسًا بالمواد الأخرى . والكتب التي سُرِقَت هي : « المجموع للإمام النووي ، وكتاب البَيْضَاوي ، القيمة عنه ستة وثلاثون سلطانيًا ذهبًا ، وكتاب « الشفا » للقاضي عِيَاض ، القيمة عنه ستة سلطانية ذهبًا ونصف سلطاني ذهبًا ، وكتاب « إحياء علوم الدِّين » للغَزَّالي ، القيمة عنه أحد عشر سلطانيًا ذهبًا ، وكتاب صَدْر الشَّريعة ، القيمة عنه أربعة سلطانية ذهبًا وثلاثون قطعة فِضَّة ، وكتاب « الفُتُوحات المكية » لابن عربي ، القيمة عنه ستة وعشرون ذهبًا ، وكتاب في « الأحاديث الشريفة » لابن حَجَر [العَسْقَلاني] ، القيمة عنه خمس وخمسون قطعة ، وكتاب « الفُصُوص » وشَرْحه لملاّ جامي ، القيمة عنه أربعة سلطانية ذهبًا ونصف سلطاني ذهبًا ، وكتاب « رسالة العراقي » خمس عشرة قطعة ، وكتاب « مَنْطق الطَّيْر » لفريد الدِّين العَطَّار ، القيمة عنه خمس وستون قطعة ، وكتاب مجموع ، القيمة عنه ثلاثون قطعة ، وكتاب « منهاج العابدين » ، القيمة عنه سبعون قطعة ، وكتاب « مَنَازِل السَّائرين » للهَرَوي ، القيمة عنه خمس وستون قطعة ، وكتاب « الوِقَاية » ، القيمة عنه سلطانيٌّ ذهب ، وكتاب « وَصِيَّة نامه » ، القيمة عنه سلطاني ذهب ، وكتاب « إنْشَاء المكاتيب » ، القيمة عنه خمس وثمانون قطعة ، وكتاب « مرصاد العباد » القيمة عنه خمسة سلطانية ذهبًا ، وكتاب « لغة الحليمي » ، القيمة عنه أربعة سلطانية ذهبًا ، وكتاب « تعبير المنامات » ، القيمة عنه خمسة سلطانية ذهبًا وخمس عشرة قطعة ، وكتاب « شرح قطب الدين مع

الحاشية » للسيد الشَّريف ، القيمة عنه ثلاثة سلطانية ذهبًا ، وكتاب « عجائب المخلوقات » للقزويني ، القيمة عنه أربعة سلطانية ذهبًا ، وخمس عشرة قطعة ، وكتاب « ديوان الشيخ درويش » ، القيمة عنه ثلاثون قطعة ، وكتاب « شاه وكدا » ، القيمة عنه خمس وأربعون قطعة ، وكتاب « مجموع للغزالي » ، القيمة عنه خمس وأربعون قطعة ، وكتاب « شَرْح البُرْدَة » ، القيمة عنه خمس وأربعون قطعة ، وكتاب « شَرْح المُقَدِّمَة » ، القيمة عنه خمس وثلاثون قطعة ، وكتاب « الخُلاصَة » ، القيمة عنه أربعة سلطانية ذهبًا » .

وتأرَّخ ذلك في خامس من شهر شوال سنة أربعٍ وثمانين وتسع مائة .

أما الوثيقة الثالثة ، المؤرَّخة سنة ٩٨٥هـ ، فتحصر الكتب التي خَلَّفها الشيخ شرف الدين موسى الدَّيْري الحَنَفي إمام قُبَّة الصخرة ، ووُجِدَت في تركته ، وهي تشتمل على نحو مائة كتاب تدور موضوعاتها حول الفِقه والتفسير والحديث والتَّصوف والنحو والصرف واللُّغة والبديع والبيان[١] .

* * *

(١) كامل جميل العسلي : وثائق مقدسية تاريخية ، ٢ : ٢٥١ - ٢٥٩ .

تعقيبات ومداخلات

■ **د. عبد الستار الحلوجي** :

شكرًا للدكتور أيمن على هذا العرض الذي تناول فيه قضيَّة الوقف ودوره في إثراء المكتبة العربية ، وكلامه هذا ذكّرني بكتاب صدر قبل نحو عشر سنوات عنوانه « الوقف وبنية المكتبة العربيَّة » ، وفاز بجائزة الملك فيصل الإسلامية . ومَنْ يستعرض هذا الكتاب يجمع منه الوقفيَّات بمكتبة القدس ، وهو يعرض لتزويد المكتبة العربية بالمخطوطات .

والآن يُفتح باب النقاش ، وأبدأ بالدكتور محمد عدنان البخيت .

■ **د. محمد عدنان البخيت** :

هناك معلومات توضيحيَّة وليست إضافيَّة : خيرُ مَنْ تناول الوقفيَّات واستخرجها من سجلات المحاكم الشرعية بالإضافة إلى المصدر الذي اعتمد عليه د. أيمن - د. عبد الجليل عبد المهدي - هو المرحوم كامل العَسلي ، وهو ابن القدس الذي تفانى في خدمة التراث المقدسي بشكل حميم ، واستخرج الوقفيَّات من سجلات المحاكم الشرعيَّة ، وفي ما بعد أيضًا من سجلات الدولة العثمانية ، فيمكن مؤقتًا أن تغني عن الوصف البعيد ؛ لأن فيها تفاصيل وافية لكل مدرسة وجامع ومسجد وزاوية .

وهناك عمل آخر - لا يفوت الأستاذ المحاضر - قام به الأستاذ بورجيني عن مدارس القدس في العصر المملوكي وساعده الإخوة الأفاضل في القدس ، منهم

د. يوسف النتشه وغيره ، في توثيق هذه المدارس من جانب النّقوش ، ومن حُسن الحظ أن يوجد معنا اليوم د. محمد هاشم غوشة ، وهو صاحب جهود في جمع النصوص من السجلّ الشرعي ، ومن واجهات المباني والنقوش .

ما أريد أن أقوله هنا هو : إن هذه الدراسات تدعونا جميعًا إلى العودة إلى المخطوط المقدسي أو غير المقدسي لقراءة ما عليه من سماعات وإجازات وتملُّكات ، وما إلى ذلك ، لكن لم أجد أية إشارة في أثناء عملي بهذا التراث - إلى أن الدولة العثمانية نقلت مخطوطات من مكتبات القدس ، كما فعلت ذلك في القاهرة . ربما حدث ذلك - أي انتقال بعض المخطوطات المقدسيَّة إلى إستانبول - نتيجة هجرة المخطوطات مع بعض العلماء أو الباحثين أو الزَّائرين .

وربما كانت هناك رحلة للمخطوطات من القدس أو من فلسطين - أنا لا أذكر - بل إننا بدأنا نجد استنساخ نسخ وإيداعها ببعض الجوامع لأحمد باشا الجزّار ، أو لوقفيَّات محمد أبي طوق وغيره بفلسطين ، والموضوع بحاجة إلى دراسة .

■ **مراد علي تدغوت** (طالب بمعهد المخطوطات) :

أتساءل : كيف تكون هناك كتب موقوفة ، ثم تنتقل إلى مكان غير المكان الموقوفة عليه ؟ أي كيف يجوز انتقال كتب موقوفة بالقدس إلى إستانبول ؟ وما موقف العلماء من ذلك ؟ ذلك أن الأصل في الوقف الحبْس !

■ **د. أيمن فؤاد سيد** :

شكرًا للدكتور عدنان البخيت على المداخَلة التي أفدت منها ، لكن المشكلة في كتاب هدى لطفي عن القدس ، وفي الدراسات الخاصة التي أجراها غيرها عن العصر المملوكي ، أو حتى دراسة د. عبد المهدي ، أنها دراسات تهتم بالشكل

المعماري ، ولم توجّه اهتمامها لقضيَّة خزانات الكتب ، وخزانات الكتب لم يكن أحد يهتم بها حتى في مصر ، رغم أن المقريزي في « الخطط » أشار - على مراحل متباعدة - إلى بعض المدارس وليس إلى كل المدارس ، لكنه لم يكن يشير إلى الكتب التي في الخزائن .

والأمر بحاجة إلى دراسة من خلال الوثائق الأرشيفيّة ، للتعرُّف على المدارس التي كان بها كتب ، وعناوين هذه الكتب التي كانت بها ، ويظهر ذلك من خلال الوقفيَّات الشاملة ، مثل وقفيَّة محمد أبي الدهب ، التي تشتمل على ما يقرب من ١٩٠٠ إلى ٢٠٠٠ عنوان .

أما قضيَّة انتقال الوقف ، فالوقف مؤبَّدٌ في الأصل ، لكن الدولة العثمانية - على الرغم من أنها لا تتحدث العربيَّة - رأت أن جزءًا من واجهتها هو الإنتاج الفكري الإسلامي ، شأنها في ذلك شأن قرطبة ، والقاهرة الفاطميَّة والمملوكية ، وبغداد في عصر العباسيين ، لذلك جمعت محتويات المكتبات لهذا الغرض ، وأعادت توقيفها ، ولذلك تجد المخطوطات نفسها التي عليها هذه الوقفيَّات - عليها توقيفات للسلطان محمود خان ، أو السلطان مراد ، أو غيرهما .

أما من الناحية الشرعية فهذا يحتاج إلى رأي الفقه ، يعني : هل يمكن إعادة الوقف إلى مكان آخر ؟ وهذا راجع إلى سَطْوة الدولة ورغبتها في إعطاء نفسها الشكل الإسلامي ؛ لكي تكون خلافة كالخلافات السابقة .

الشيء الآخر أن الوقف هو الذي يحدد التاريخ النهائي لاستقرار المخطوط ؛ لأن المخطوط يمكن أن يكتب في القرن الرابع أو الخامس الهجريين وينتقل من المكان الذي كُتب فيه إلى مكان آخر ، ويُسْمَع ويُقرأ ويصحَبه شخص إلى مكان آخر ، إلى أن يأتي شخص كجمال الدين محمود الأستادار الذي اشترى مكتبة بدر الدِّين ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) ، وهي مدرسة كان بها مخطوطات بخطوط

مؤلفيها (أوتوغراف) ؛ لأن ابن جماعة كان حريصًا على جمع النسخ التي كتبت بخطوط مؤلفيها ، ولذلك نجد أن خمسين بالمائة من المجموعات التي عليها توقيف جمال الدين محمود الأستادار - هي في الأصل مخطوطات (أوتوغراف) ؛ لأنها من مجموعة ابن جماعة ، على الرغم من أنه ليس هناك علامة تملُّك تدل على أن ابن جماعة هو المتملّك ؛ لأنه لم يهتم بكتابة نص تسجيل الوقف كما فعل جمال الدين محمود الأستادار ؛ إذ كان يكتب : أوقف (وقف) وحبّس وسبَّل وأبَّد ... إلخ ، ويَشْهد شاهدٌ على تاريخ الوقف .

إذن فالوقفيَّة تحدّد مرحلة يجب أن تكون هي الأخيرة في رحلة المخطوط ، لكن وجود وقفيَّة جديدة يعطي للمخطوط رحلة جديدة .

■ **عادل الصّلاحي :**

أشار د. أيمن إلى بني بُوَيْه على أنهم كانوا يتحكمون في إمبراطوريَّة شيعيَّة ، وجعل الشيعة كلهم في سلة واحدة .

وهذا النوع من الحديث فيه مغالطات كثيرة يُقصد هذه الأيام أن نحملها في وَعْينا الداخلي. والحق أن الدولة الإسلاميَّة لم تكن في يوم من الأيام إمبراطورية ؛ إذ الإمبراطورية هي سيطرة دولة مركزية على أقاليم وبلاد أخرى وإخضاعها لها إخضاعًا استعباديًّا . كانت هناك الإمبراطورية الرُوميَّة أو البيزنطيَّة أو الفارسيَّة ، أو البريطانيَّة ، ولم يكن في تاريخ الإسلام إمبراطورية بهذا الشكل ، لا في أيام الأمويين ولا في أيام العباسيّين ، ولا في أيام الدولة العثمانية .

صحيح أن بني بُوَيْه كانوا شيعة ، لكنهم لم يفرضوا شيعيتهم على الدولة كلها ، بل ظلت الخلافة سُنيَّة . واليوم يُقصد أن تكون هناك بذرة صراع بين المسلمين ؛ سُنَّة وشيعة ، فيجب أن نكون حذرين من أن نقع في هذه الأحابيل .

والسؤال البسيط - موضوع المداخَلة - هو : ما المقصود بإعادة بناء المكتبة الفلانيَّة ؟ هل هو سجلّ بما كان فيها ؟ أم إعادتها إلى ما كانت عليه ؟

■ **د. أيمن فؤاد سيد** :

شكرًا للدكتور عادل ، وما أشرت إليه ليس من عندي ، بل هو واقع في الدراسات التاريخيَّة ؛ فالقرن الرابع كان فيه الفاطميون في مصر ، والبويهيّون في العراق ، والزَّيْديون في اليمن وطبرستان ، لكن الخلافات المذهبيَّة التي كانت بين الفِرَق المختلفة للمذهب الواحد - لم تجعل هناك نقطة التقاء بينهم ، وفرقت بينهم . ولذلك قيل : لو نجح الفاطميون مع البويهيين مع الزَّيْديَّة - وكان هناك طوائف اثنا عشرية - في الالتقاء على نقطة ما ، لكانت هناك إمبراطورية حقًّا .

من المسلَّم به أن الفاطميين يرون أن أهل السُّنة والعباسيين اغتصبوا حقّهم الإلهي في الحُكم ؛ باعتبار نسبهم إلى النبي الكريم ﷺ والسيدة فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها ، والإمام علي ﷺ ، وهذه قضيَّة تاريخيَّة ؛ ولم أقصد بها إسقاط ما كان على الواقع الحالي ، لكنني أثرت السؤال : ماذا فعل السَّلاجقة لمواجهة هذا التحدّي الذي جاء من الشيعة ، سواء أكان من البويهيين أم من الفاطميين ؟ وكان الرد هو إنشاء المدارس . ففكرة إنشاء المدارس فكرة مستجدّة في الإسلام ، استجدّها نظام الملك ، الذي بنى مجموعة مدارس : النظاميَّة في العراق ، والموصل ، ونحو تسع مدارس أخرى . ثم نقل فكرة المدارس ورثةُ السَّلاجقة ؛ الزّنكيون في الموصل وحلب ، والنوريون في دمشق ، ثم صلاح الدين في مصر ، ثم خلفاء صلاح الدين من المماليك ، وظلَّت حتى حكمت الدَّولة العثمانيَّة وتحوَّل النظام التعليمي إلى شكل آخر .

وهناك دراسات كثيرة عن نشأة المدارس ، وعما أطلقتُ عليه هنا « الإصلاح السُّني في القرن الخامس الهجري » .

أما قضيّة إعادة بناء المكتبات ، وإعادة بناء المجموعات فإنَّ العلامات الموجودة على ظَهْريَّة المخطوطات تعطيني أن الكتاب استقر في وقت من الأوقات في يد عالم ، أو في مكتبة أو في خزانة كتب ما ، أو قرأه مجموعة في مدينة من المدن ، فإذا جمّعْتَ مجموعة من هذه الكتب ، فمن خلال ما على ظهريتها يمكن استنتاج أمور كثيرة .

فالصَّفدي مثلاً له ستون كتابًا موزّعة بين مكتبات ليدن وإستانبول وباريس والقاهرة ، ومكتبات أخرى ، وكتب على هذه الكتب : « من كتب خليل بن أيبك الصَّفدي » . وكذا علامات الوقف التي على كتب جمال الدين محمود الأستادار .

ولأبي بكر أحمد بن رستم الشيرازي (ت ١١٣٥هـ) ثمانون كتابًا في مكتبات العالم ، ويبدو أن مكتبته عرضت للبيع في إستانبول واشترتها مكتبات كثيرة : عارف حكمت وليدن وباريس - على وجه الخصوص - ودار الكتب المصريَّة (مجموعة مصطفى فاضل) ؛ لأن مصطفى فاضل اشترى مجموعته كلها التي كوّنها وهو في إستانبول ، ثم اشتراها بعد ذلك الخديوي إسماعيل وألحقها بدار الكتب المصريَّة ، ومن خلال هذه التوقيعات وعلامات الوقف والتملُّك الموجودة على ظهريّات المخطوطات وحواشيها - يمكن أن أعرف الكتب التي كانت تكوّن مكتبة أبي بكر بن رستم الشيرواني (ت ١١٣٥هـ) أو الصَّلاح الصَّفدي (ت ٧٦٤هـ)، والأخير مؤلف عالِم ، أما الأول فهاوٍ ، وكذا جمال الدين محمود الأستادار الذي كان يعمل أستادارًا .

وفي كتب الصَّلاح الصَّفدي التي ألفها ذِكر لبعض الكتب التي طالعها أو تملّكها ، فنجد عبارات : وهذا الكتاب ملكته ، نقلت من خطه وقد ملكته ، فحين نجد على بعض النسخ : ملكه خليل بن أيبك الصَّفدي ، والكتب يصدِّق بعضها بعضًا - كما يقولون - فهنا أستطيع أن أتصوّر شكل مكتبات العلماء

القدماء ، وما هي الكتب التي كانوا يهتمون بها ، وهل كانت في موضوع واحد كلها أم كانت متنوّعة ؟ وهكذا فإعادة البناء تعيد نقل المخطوط إلى المصدر الذي جاء منه ، أو على الأقل تبين أين استقر مدة زمنيَّة ما من عمره .

■ عصام الشنطي :

إن الوقف بلا شك نظام إسلامي مفيد جدًّا ، وهو في أساسه للنفع العام ، وتعرض لتجاوزَيْن ، خاصة وقف الكتب ، فالأصل كما قال د. أيمن أن الوقف ينسحب على العقارات والأملاك الثابتة ، ولكن المسلمين انسحب عندهم الوقف إلى المصاحف والكتب ، وقالوا : ما دام أن المبدأ العام للوقف هو النفع العام فلا بأس في هذا . هذا هو التجاوز الأول .

أما التجاوز الثاني فهو ارتباط الوقف بمكان معيَّن ، وهو تجاوز أيضًا ، بحيث إنه ما دام ضُمن هذا الكتاب أو هذه المجموعة من الكتب للنفع العام ، فلا بأس أن أنقلها من مكان إلى آخر .

ويحضرني في هذا السبيل أنه حين زرت من سنوات مدينة جدة ، بهدف تصوير مخطوطات لصالح معهد المخطوطات العربيَّة ، وكانت وِجْهَتي بالدرجة الأولى إلى مكتبة العلاّمة الشيخ محمد نصيف الخاصة ، فإذا بي أجدها مختومة بالشمع الأحمر ، فأُصِبْت بإحباط ؛ لأن جدة لم يكن فيها مخطوطات إلا هذه المكتبة ، فسألت عن السبب ، وإذا بالرجل قبل وفاته قد أوصى بأن توقف هذه المكتبة في مكانها الذي هو بيته ، الذي وصفه المستشرق أُلْورد حين زاره مبكرًا بأن « فيه شجرة » ، وهذا دليل على أن الشجر في جدة كان نادرًا .

ومن ثم وجدت أنهم في حَيْص بَيْص : البيت - الذي يحتضن المكتبة - صغير ، وجامعة الملك عبد العزيز في جدة تريد نقل المكتبة إليها ، ثم وُجد حلّ وفَتْوَى تتمثل في أن المكان غير مناسب .

■ د. محمد عدنان البخيت :

شكرًا سيدي الرئيس ، وبداية أشكر صديقي د. أيمن فؤاد سيد على مداخلته القيّمة ، وسأتحدث عن نقطتين : الأولى عن المخطوطات الموقوفة ، والثانية عن السجلات التي تحتضن المخطوطات .

قبل سنتين أو ثلاث سنوات كنت أعمل في تحقيق رسالة بعنوان « الرّحلة القدسيَّة عند زيارة المولويَّة » لمؤلّف مجهول أو جامع مجهول ، وهي رسالة عن زيارة عثمان كتخدا إلى التكيَّة أو الزاوية المولويَّة ، لم تدرس حتى الآن . وكنت أبحث عن أصل الرسالة من أين نُقلت ، وتبيَّن لي أن الرسالة نُقلت من حواشي إحدى نسخ « الحضرة الأنسيَّة في الرحلة القدسيَّة » لعبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ) . وهذه النسخة التي نُقلت عنها كانت من مُقتنيات السيد حسن أفندي الحسيني مفتي القدس في القرن الثاني عشر الهجري ومفتي السَّادة الحنفيَّة بها ، وصاحب كتاب « تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري » .

وبعد بحث طويل عن الأصل المخطوط حتى أقوم بالمقابلة بين النسخة التي لدي والنسخة التي كتبت الحاشية عليها - تبيَّن أنها موجودة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنوَّرة ، وهذه إحدى الملاحظات التي تبيّن كيف كانت المخطوطات الموقوفة على المسجد الأقصى تنتقل .

في وقفيَّة الشيخ محمد الخليلي (ت ١١٤٧هـ) المكتوبة سنة ١١٣٩هـ ، المسجّلة بسجلّ المحكمة الشرعيَّة ، كتب يقول :

« إن المكتبات قد قلّ وجودها بها - أي بالقدس - ونقلها أهلها من غير محلّها وباعوها بأبخس الأثمان ، وما ذاك إلا لقلّة اشتغالهم بالعلوم ، وعدم معرفتهم بالمنطوق والمفهوم » .

هذه هي حالة العوامّ ، ونحن لا نتحدث عن العلماء ، لكن المخطوطات والمكتبات كانت تباع حقيقة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين بأبخس الأثمـان !

أما السجلاّت الشرعيَّة التي كانت تحتضن الوقفيَّات أو كتب الوقف ، فلديّ مثالان : الأول أنقله عن كلير مانجانو عندما تحدّث سنة ١٨٨٧ في كتابه نقلاً عن الشيخ أبي السُّعود ، وقد نقل هذه الحادثة المرحوم عارف العارف في كتابه المفصّل عن تاريخ القدس ، يقول : إن الشيخ أبا السعود حدّثه أن السجلاّت الشرعية قد نُقلت إلى القـلعة ، نقلها إبراهيم باشـا في أثنـاء الحكم المصْري بالقدس .

ويدأنا نبحث عن هذه المعلومة : هل القلعة المقصودة قلعة القدس أم قلعة دمشق أم قلعة حلب ، أم قلعة صلاح الدين ؟ لم نتحقق حتى الآن من ذلك ، لكن الجدير بالإشارة أن سجلات المحكمة الشرعيَّة لمدينة القدس هي الأقدم في بلاد الشام ، أي إنها أقدم من سجلات دمشق ، لأن القدس كانت محكمة مركزية ، وكانت القدس تسْجالٌ للوقف ، أو لأي وثيقة أو قضيَّة تسجيل تتم في القدس ، يعني أنها كانت محكمة مركزية ، فعلى سبيل المثال لو أراد شخص أن يذكر حصر إرثه أو يتزوج ، أو يسجّل كتاب وقف وهو في القاهرة ، يستطيع أن يسجّل ذلك في محكمة القدس .

النقطة الأخرى أنه قبل ستة أشهر بدأت عملية بحث جادّة عن سجلاّت القدس التي تسبق سنة ٩٣٤هـ ، لكن الغريب أن الذي عثرت عليه في إحدى البيوتات هو « دشت » لسجلات مقدسيَّة من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، غير مصورة وغير معروفة وغير مدروسة ، وحالتها سيئة ، إضافة إلى أكثر من خمس وعشرين ورقة من سجلات محكمة الخليل الشرعية ، أقدمها

يرجع إلى سنة ٩٦٠هـ ، وفي ذلك إشارة مهمّة إلى أهميَّة سجلات الخليل مصدرًا رئيسًا أيضًا لدراسة تاريخ القدس ؛ لأن القضاة كانوا قاضِيَيْن : قاضيًا للقدس ، وقاضيًا للخليل .

وسجلات الخليل التي عثرتُ على نحو ٢٥٠٠ ورقة منها ، تغطي من سنة ٩٦٠هـ إلى سنة ١٢٨٠هـ . ويذكر أن سجلّات الخليل من سنة ١٢٨١هـ موجودة ، والذي عثرتُ عليه يغطي مرحلة كاملة من تاريخ مدينة الخليل ، ومن ثم تاريخ القدس أيضًا .

وهكذا كانت تضيع السجلات ، وهكذا كان حال المخطوطات ، حتى المخطوطات الموقوفة . والشيخ محمد الخليلي اشترط في كتاب وقفه أن تبقى المخطوطات في القبّة المحمديَّة ، التي هي الآن مكتبٌ لعمارة المسجد الأقصى . فقضيَّة بقاء المخطوطة أو الوثيقة في مكانها ، أصبح يحكمها متطلّبات الحياة في ما بعد .

* * *

الجِلْسة الرابعة :

صـورة القدس في المخطوطـات

نفائس مخطوطات الحديث في مكتبات القدس

د. محمود مصري (*)

د. محمد عدنان البخيت (رئيس الجلسة) :

يشرّفني أن أجلس بينكم ليس رئيس جلسةٍ بل مستفيدًا من المعلومات الثرية التي تتضمّنها البحوث المقدَّمة ، أو من خلال المداخلات والتعقيبات ، ولدينا في هذه الجلسة بحثان : البحث الأول للدكتور محمود مصري ، وعنوانه « نفائس مخطوطات الحديث في مكتبات القدس » . أما البحث الثاني فلزميلنا الدكتور عبد الحكيم الأنيس ، وعنوانه « كتب الفضائل - نظرات تقويميَّة : تاريخ بيت المقدس المنسوب لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) أنموذجًا » ، الذي لم يتمكن من الحضور ، لكن بحثه بين أيدينا .

وكان يُفتَرض أن يكون بيننا الدكتور نوفان رجا السَّوارية مدير مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية ، لكن عارضًا صحيًّا منعه من الحضور . و د. نوفان نشر معي كتابًا ممتازًا عن الشيخ محمد الخليلي ، وكثير من المعلومات التي أثيرت في الجلسة الماضية أتى عليها هذا الكتاب ، وأتمنّى من الأستاذ عادل الصَّلاحي أن يقدم لكم نسخًا منه ؛ لأن مؤسسة الفرقان هي التي نهضت بطباعته ، وأخشى إن بقي الكتاب في لندن أن لا يقرأه غير المحققِين . وبحضور هذه النُّخبة الطَّيبة الكريمة نستطيع أن نضمن الحدّ الأدنى من النصاب الشرعي في قراءة ما يُحقَّق وما يكتب .

قبل أن أترك « الميكروفون » للدكتور مصري أقول إن أهالي حلب أصحاب يد طولَى في علم الحديث ، وأهل دمشق ينفُسون عليهم مثل هذه المنزلة . وأنتم الآن بحاجة إلى الإصْغاء إلى د. محمود مصري ، فليتفضل.

* * *

ليس بالمستغرب أن يكون معظم التراث المخطوط في فلسطين موجودًا في مكتبات القدس ، وذلك للمكانة الدينية الخاصة التي تحظى بها المدينة المقدسة ، لكنّ الغريب حقًّا أن نجد عددًا متواضعًا منّ مخطوطات الحديث تضمّه تلك المكتبات ، رغم معرفتنا بانتشار مجالس الحديث وغزارتها في القدس عبر العصور

(*) مدير المكتبة الوقفية بحلب - سورية .

الإسلامية، لما لها من مكانة علمية مرموقة، ورغم معرفتنا بكثرة علماء الحديث المقادسة ، وغير المقادسة ممن مروا بالقدس أو أقاموا فيها ، ومعرفتنا بأن أهل الحديث هم أكثر الناس اهتمامًا بنَسْخ الكتب والعناية بها(١).

غير أن الاستغراب سرعان ما يزول عندما نعلم أن عدد المخطوطات في فلسطين الذي كان قبل الاحتلال الصهيوني يقارب خمسين ألفًا، تقلّص بعد الاحتلال إلى نحو ثمانية آلاف(٢). ففي العصر الحديث تعرّضت خزائن المخطوطات في القدس لنكبتين أساسيتين: الأولى على يد الجيش البريطاني في الحرب العالمية الثانية، والثانية على يد الصهاينة عند احتلالهم لفلسطين عام ١٩٤٨م ، حيث دمروا وسرقوا وصادروا واستولوا على كثير من المخطوطات والوثائق المتعلقة بالقدس .

وهذا النوع من الجريمة المنصبَّة على الحضارة والهُوية الثقافية الذي كان دائمًا يواكب جرائم القتل والتدمير التي يرتكبها المحتل ، يذكرنا بما فعله الصليبيون عندما استولوا على بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ ، فقد عاثوا فيه وأفسدوا ، وكانت المساجد والمدارس بما فيها من خزائن الكتب هدفًا أساسيًّا لإجرامهم . ثم إن المدارس ودور الكتب عاد إليها مجدها بعد ذلك في عهد صلاح الدين ومَنْ بعده من الأيوبيين، واستمر نموها حتى أصبح عدد المدارس في العهد المملوكي أكثر من ثمانين مدرسة ، تحتوي معظمها على خزائن للكتب.

واليوم لم يبق من مكتبات القدس سوى تسع، ويبلغ مجموع المكتبات في فلسطين سبعًا وعشرين، ويبلغ عدد المؤسسات الإسرائيلية التي تمتلك مخطوطات

---

(١) يبلغ عدد مخطوطات الحديث في مكتبة المسجد الأقصى اليوم ٤٦ مخطوطًا، وفي المكتبة الخالدية ١٥٧ مخطوطًا.

(٢) بحسب تقرير مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية (انظر السياسة والتراث المخطوط في فلسطين لكمال عرفات نبهان، ندوة قضايا المخطوطات (٤): التراث العربي المخطوط في فلسطين، ص ٤٥) .

إسلامية ثلاثًا، في حين لا يُعرف عدد المؤسسات المسيحية، وما تمتلكه من هذا التراث، لإغلاق مكتبات الأديرة في وجوه الباحثين[1]!

وثمة عوامل أخرى أسهمت في ضياع تراث المدينة المخطوط تتلخص في عدم القدرة على العناية به وحفظه من العوامل البيولوجية والجوّية، إضافة إلى ما أصاب المدينة من حرائق وزلازل عبر التاريخ، وفي حالات كثيرة كانت المخطوطات تضيع لجهل أصحابها بقيمتها، فتتلف أو تذهب إلى سارقي المخطوطات بأبخس الأثمان. وهذه عوامل مشتركة عانى منها التراث المخطوط في البلاد العربية والإسلامية عمومًا.

وسوف نتناول في هذا البحث قسمًا من التراث المخطوط في القدس، وهو ما يتصل بالحديث الشريف وعلومه، ونخص بالدراسة نفائس مخطوطات الحديث الشريف الموجودة في مكتبات القدس حاليًا، آخذين بعين الاعتبار المعايير الآتية:

١ - عدم نشر المخطوط محقّقًا إلى الآن.

٢ - كون النسخة وحيدة.

٣ - قِدم النسخة.

٤ - كون النسخة بخطّ المؤلف.

٥ - كون النسخة مكتوبةً في زمن المؤلف.

٦ - كون النسخة مكتوبةً بخط أحد العلماء.

٧ - وجود إجازات على النسخة أو قراءات أو سماعات مهمّة على العلماء.

---

(١) التراث العربي المخطوط في فلسطين وفهارسه: خضر إبراهيم سلامة، ندوة قضايا المخطوطات (٤): التراث العربي المخطوط في فلسطين، ص ٨٤.

وقد تم تقسيم المخطوطات المختارة في البحث قسمين :

الأول : يتناول ما لم يحقّق إلى الآن من تلك المخطوطات .

والثاني : يتناول مخطوطات منشورة ومحققة، إلا أن في النسخة المشار إليها أهمية خاصة تتصل بواحد من المعايير التي ذكرناها أو أكثر .

وقد تناول البحث عرضًا موجزًا للبيانات الأساسية المتعلّقة بالمخطوطات المنتقاة، مع ذكر الأهمية الخاصة لكلٍّ منها، واختيار بعض النماذج المهمة للدراسة التفصيلية. ثم تم تلخيص أهم النتائج في عدد من الجداول الإحصائية .

أولاً ـ المخطوطات التي لم تحقق :

تم تخصيص هذه المخطوطات بقسم مستقل ؛ إذ إنها لم تنشر بعد، وهي تنتظر جهود الباحثين لتحقيقها ونشرها. وتحت هذا الاعتبار الذي يشمل مخطوطات هذا القسم سنشير إلى ما يتميز به كل مخطوط من قيم أخرى ، إضافة إلى كونه لم ينشر بعد .

(أ) مجموعة مكتبة المسجد الأقصى[1] :

١ - الأزهار (شرح على المصابيح للبغوي) **للأردبيلي :**

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ
٢/٣٣ [٢٣٦ حديث ١٤]	ج٣ ٢٣٤و	٧٥١هـ في أرزنجان بخط يوسف بن محمد بن محمد

(١) أنشئت في الحرم الشريف (المدرسة الأشرفية). وفيها نحو ٩٠٠ مخطوط (التراث العربي المخطوط في فلسطين ٤٨). ولها فهرس أعدَّه د. خضر إبراهيم سلامة .

قيمة المخطوط: أقدم نسخة، عليه قراءة على علي بن عمر الزنجاني عام ٧٥١هـ. المؤلف عالم متخصص، نقل عنه كثير من العلماء في كتبهم.
ملاحظات: حالة المخطوط متوسطة. **أوله:** باب الأذان من الصحاح. آخره: « مثل أمتي مثل المطر ».

نسخ مخطوطة أخرى:

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
أوقاف الموصل جامع النبي شيث	٢/١٤٣ [١/٣] ٣٠٢و	٧٦٧هـ
أوقاف الموصل (الأمينية)	٤/٤١ [١/٥] ٢٤١و ، نسب في الفهرس للسيوطي	٧٧١هـ
أوقاف الموصل (الجليلي)	١/٥٧ [١/٥] ٢١٨و	٩٩٨هـ
كليات سيلي أوك (منجانا)	٤/٣١ [(١٦٥٨) ١٤٥] ١٧١و ، ضمن مجموع	ق١٠هـ تقريبًا
عاطف أفندي	٣٤ [٥٦١] مج١	-
العمومية/إستانبول	٥٧ [١١٤٥/٢٨٣]	-
فيض الله أفندي	٢٢ [٤٦٤] ٤٠٥و	-

المؤلف: جمال الدين يوسف بن إبراهيم الأَرْدَبيلي الشافعي شيخ الفقهاء بأذربيجان (ت ٧٧٩هـ). من تآليفه: « الأنوار لعمل الأبرار » في الفقه (هدية العارفين ٦/٥٥٨). قال العثماني في « طبقاته »: وهو شيخ المشرق في هذا العصر، كبير القدر غزير العلم (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٢/١٨٧).

الكتاب: يعد كتاب « مصابيح السنة » للإمام البغوي[1] (ت ٥١٦هـ) من

(١) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي، الفقيه الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، من تصانيفه: ترجمة الأحكام في الفروع، والتهذيب في الفروع، ومصابيح السنة (هدية العارفين ١/١٦٥).

كتب السنة المهمة الشاملة لأبواب الدين، التي يرويها البغوي بأسانيده المتصلة، وإن حذف الأسانيد في الكتاب اختصارًا، ويعد كتابه هذا كالمستخرَج على أهم كتب السنة، وقد لقي قَبولاً كبيرًا عند العلماء، وكان من أشهر الكتب التي ألفت حوله : « مشكاة المصابيح » للخطيب التبريزي[1] الذي جاء مخرِّجًا ومكملاً للكتاب . ثم إن العلماء عنوا بـ « المشكاة » وشرحوها شروحًا كثيرةً، منها هذا الشرح المسمى بـ « الأزهار » . وكان صاحب « عون المعبود »[2] يكثر من النقل عنه.

٢ - الدرة البيضا من صدق فم محمد المصطفى ، لنجاتي :

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ
٢/٧١ [٢٧٩ - الحديث ٥٧]	٥٧و	١٣٠٠هـ
قيمة المخطوط: نسخة وحيدة.		
ملاحظات: حالة المخطوط جيدة. في الهوامش وبين السطور شروحات كثيرة باللغة العربية والتركية. **أوله**: الحمد لله الذي صدق أحاديث حبيبه محمد ﷺ ... أما بعد، فيقول فقير العباد إلى رحمة الله الباري محمد نجاتي...، آخره: الحمد لله على الإتمام، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين الكرام...		

المؤلف: محمد بن أحمد بن إبراهيم نجاتي دوسجقي.

الكتاب: جمع فيه المؤلف أربعين حديثًا صحيحًا.

(١) ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي الشافعي الشهير بخطيب الفخرية (ت: ٧٤٩ هـ) : عالم بالحديث ، من مصنفاته : مشكاة المصابيح ، أكمل به كتاب مصابيح السنة للبغوي، والإكمال في أسماء الرجال (الأعلام ٦/ ٢٣٤).

(٢) هو محمد أشرف الصديقي العظيم آبادي.

٣ - شِرْعة الإسلام إلى دار السلام لإمام زاده :

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ
٢/٣٤ [٢٣٧]، الحديث، ١٥]	٦١و	٩٧٥هـ ، المدرسة العلائية ، بخط محمد بن خضر ابن شبلي
٢/٣٥ [٢٣٨]، الحديث، ١٦]	١٠٥و	١٠٣٨هـ، بخط حسن بن علي البسنوي
٢/٣٦ [٢٣٩]، الحديث، ١٧]	٨١ و	١٠٩٠هـ، بخط عبد الكريم بن عبد الباقي
قيمة المخطوط: أقدم نسخة.		
ملاحظات: الأولى: الخط مشكول، حالة المخطوط جيدة، **أوله**: الحمد لله الذى دلّنا على معرفته بالشواهد والأعلام...، آخره: لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا... الثانية: حالة المخطوط جيدة جدًّا، نسخت عن نسخة كتبت ٨٥٩هـ. الثالثة: خط نسخ مشكول، حالة المخطوط جيدة.		

نسخ مخطوطة أخرى :

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
الحرم المكي	٤٦ [٨٧٧/٣٥]٢٧٨ص نسبه في الفهرس لابن علي البركوي	١١٦١هـ
القادرية	١٩٢/١ [١٥١] ١٩٠و	ق١٢هـ
الوطنية/باريس	٤٢- ٤٣ [١/٦٣٩٢ عربي] مجموع	١٢٧٣هـ
الحميدية	١٩ [٣٦٤]	-

المؤلف: محمد بن أبي بكر المعروف بإمام زاده الحنفي (ت ٥٧٣هـ): إمام واعظ، كان مفتيًا ببخارى. (الأعلام ٦/٥٤).

الكتاب: من الكتب القيّمة في السنن والآداب التي يتوجّب على المسلم العمل بها ليبلغ درجة الكمال والخير. وقد ذكر المؤلف فيه الأحاديث الدالة عليها والآثار والأشعار المتعلقة بها. وهو مرتّب على واحد وستين فصلاً. قال فيه

صاحبه: فهذه عقود منظومة من سنن سيد المرسلين منتقاة من كتب الأئمة من علماء الدين فإنه أولى ما يُلقّن به أطفال أهل الإيمان.

وشرحه المولى يعقوب بن سيدي علي (ت ٩٣١هـ) شرحًا مفيدًا سماه «مفاتيح الجنان ومصابيح الجنان» ، وهو مطبوع ، وشرحه الشيخ يحيى الرومي ، وهو شرح ممزوج ، والشيخ محمد بن عمر المعروف بقورد أفندي (ت ٩٩٦هـ) ، وسماه « مرشد الأنام إلى دار السلام في شِرْعة الإسلام » ، في مجلدين ، وهو أعظم شروحه (كشف الظنون ٢/١٠٤٤) .

٤ - كشف أستار جواهر الحكم المستخرجة الموروثة من جوامع الكلم للقونوي :

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ	قيمة المخطوط
١/ ٦٣ [٧٩-حديث ومصطلحه، ٨، ٥٧]	٦٦و	٨٧٥هـ	نسخة قديمة

نسخ مخطوطة أخرى :

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
تشستربتي	١٠٩/٧ [٥٣٥٧] ٧٣و	ق٨ هـ
رضا/رامبور	٥٣٢/١ [651AD (٩٩٧)]و٣٥ب- ٦٩ب، ضمن مجموع	٨٤٠ هـ
متحف طوبقبوسراي	٢١٥/٢ [١٤٢٨/ 2915A] ٥٨و	ق٩ هـ
جاريت يهودا	٦٤ [٤٠١٢(٧٠٩)]و١٠٧ب-١٣٧ب	٩٦٧ هـ
تكلي أوغلو	٠٧/٤/١١ [١٤٦ TEKLI ٠٧] ٩٢و	٩٩٥هـ
الدولة/برلين	٢١٦/٢ [lbg 673 ١٤٧٥] ٤٧و	نحو ١٠٠٠ هـ
جاريت يهودا	٦٤ [٢٦٧٤(٧٠٩)] ٣٨و	ق١٠هـ ، ناقص
جاريت يهودا	٦٤ [٢٤٦٦(٧٠٩)]و١١١ب- ١٦٧أ، ضمن مجموع	ق١٠هـ

جامعة ليدن	٧٨[cco 1745 warm or 920]٢١و	قبل ١٠٧٦هـ
الدولة/برلين	٢/٢١٥[١/١٤٧١ ٧٨٠٣]١٤٧١و١-٧٥	نحو١١٠٠هـ

المؤلف: صدر الدين محمد بن مجد الدين إسحاق بن علي بن يوسف الملاطي ثم القونوي(ت ٦٧٢هـ)، ربيب الشيخ الأكبر محيي الدِّين بن عربي الحاتمي (ت ٦٣٨هـ) وتلميذه . له من التصانيف: « إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن » في تفسير الفاتحة، «تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي». (هدية العارفين ٢/ ١٤).

الكتاب: أوله: الحمد لله الذي زيَّن سماء الملة الحنيفية بنجوم الأحكام... إلخ، أورد فيه تسعة وعشرين حديثًا، قال : لما ثبت عند جماعة من المتقدمين ما قاله النبي ﷺ ، تشوقوا لاستخراج الأربعينيات من الأحاديث على أنحاء مختلفة... واتفق أن جماعة من أصحابي جربوا أن بضاعتي في علم الحديث وافرة فرغبوا إليَّ في استخراج أربعين حديثًا أسوة للمتقدمين (كشف الظنون ٢/١٠٣٨).

٥ - لوامع الأنوار في نظم غريب الموطأ ومسلم لابن الموصلي :

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ
٢/٧٠ ٢٧٨] - الحديث ٥٦]	١٠٤و	٧٤٥هـ
قيمة المخطوط: أقدم نسخة، بخط المؤلف، عليه تملُّكات.		
ملاحظات: الخط جيد مشكول، والمخطوط حالته جيدة. أوله : الحمـــد لله على نعمــــائه حمدًا يضوع المسك من أرجائه آخره: والحمـــد لله على ما جمعـــا لي من فنـون قـلّ أن تجتمعـــا		

نسخ مخطوطة أخرى :

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
جامعة ييل	٢٨٢ ٢٢٢] L(٧١٥)] ١٨٢و	٧٦١هـ

دار الكتب/القاهرة (فؤاد)	٢٨٢/٢ [٢٢٩٩٦ب] ١١١و	٧٨٢هـ
متحف الجزائر	١٣٩/١٨ [١/٣٦٦R٣٠(٥٤٥)] و١-١٠٩، ضمن مجموع	٨١٠هـ
الأزهرية	٣٦٩/١ [(٩١) ٤١٧٦] ٩٥و	٨٣٤هـ
الأزهرية	٥٨٧/١ [(٩٣٠)٥٦٢٢] ١٠٢و	٨٧٦هـ
جاريت يهودا	٧٣ [٢٨٦٥(٨١٦)] ١٢٧و	ق٩هـ
خدابخش	٢٢٠/٢/٥ [٤٧٦] ٧٩و	١٠٩٨هـ
الأوقاف/بغداد	٢٨٩/١ [٦٦٩٠/٢/ مجاميع] ١٤١و	-
جوتا	٤٥٤/١ [٥٨٨ عربي ٤٣٧ STZKAH 535] ٢٨و	-
الخزانة العامة/الرباط	٧٦/١/٢ [٨٣٠د] ١٨٨و	-

المؤلف: شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز البعلي الموصلي الشافعي ، المتوفى بطرابلس الشام سنة ٧٧٤هـ. له « إغاثة اللهّاج في شرح المنهاج » للنووي، « بهجة المجالس ورونق المجالس »، « الدر المنتظم في علم أسرار الكلم »، « غاية الإحسان في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان ». (هدية العارفين ٦/١٦٦).

الكتاب: نظم لكتاب « مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ ومسلم والبخاري وإيضاح مبهم لغاتهم » لابن قُرْقُول[1]. يذكر فيه المؤلف الخلاف في التأويل والرواية، ويقدم أصوبها روايةً ولغةً وشرحًا، ويشير إلى الوهم وموضع الغلط. وهو مرتَّب على حروف المعجم. **أوله** : الحمد لله على نعمائه حمدًا ... إلخ ، فرغ منه في نصف ذي القعدة سنة ٧٧٠هـ (كشف الظنون ٢/ ١٥٦٨).

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس، المعروف بابن قرقول، (ت ٥٦٩ هـ): محدث، ولد بالمرية من الأندلس، وتوفي بفاس. من مصنفاته: « مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ ومسلم والبخاري وإيضاح مبهم لغاتهم » (معجم المؤلفين ١/١٢٩).

(ب) مجموعة المكتبة الخالدية[1] :

١ - المسلسل بالمشابكة والمسلسل بالدمشقيين (الأحاديث المسلسلة المعروفة بالدمشقية) لمصطفى بن عبد الله الدمشقي:

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ ومكانه
٢١٧ حديث ١٩١	٥و	١٢٧١هـ، الأزهر
قيمة المخطوط: نسخة وحيدة، بخط المؤلف.		
ملاحظات: حالة المخطوط جيدة، كُتب بخط النسخ، به آثار أرضة، عليه ختم المؤلف. **أوله**: وبعد، فيقول راجي عفو ربه... آخره: وهذه أصح طرق المصافحة...		

المؤلف: مصطفى بن عبد الله بن عبد الغني المشهور بالقَيْسي الدمشقي، كان حيًّا ١٢٧١هـ .

الكتاب: نوع من التصنيف الحديثي، تجمع فيه الأحاديث المسلسلة، والتسلسل من نعوت الأسانيد، وهو تتابع رجال الإسناد على صفة أو حالة واحدة[2]. وهذه الصفة هنا هي كون سلسلة الرواة من الدمشقيين الذين رووا حديثًا في فضائل الشام، وهو: « عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد الله، يسكنها خِيرتُه من خلقه، فمن أبى فليلحق باليمن، وليسق من غدره، فإن الله تكفّل لي بالشام وأهله » .

---

(١) تقع على بُعد مئة متر من الحرم الشريف في طريق باب السلسلة أحد أبواب الحرم الرئيسة. يعد القاضي طه بن شرف الدين الخالدي أول المؤسسين لها عام ١٦٦٠م، ثم تابعت أسرة الخالدي وقف الكتب عليها، وجُعلت مكتبة عامة منذ عام ١٩٠٠م. وتعد أهم دار للكتب في القدس، فيها نحو خمسة آلاف مخطوط تحمل ما يقرب من ألفي عنوان، بعضها يرجع إلى القرن الرابع الهجري. طبع لها فهرس إبان تأسيسها، صنعه محمد الخيال وطاهر الجزائري وراغب الخالدي، وأصدرت مؤسسة الفرقان فهرسًا جديدًا لها عام ٢٠٠١.

(٢) علوم الحديث لابن الصلاح ٢٧٥.

٢ - التنبيه بمن يبعثه الله سبحانه على رأس كل مائة للسيوطي:

قيمة المخطوط	رقم المخطوط
لم يحقق	١٠٤ [١٤/٢٤]

نسخ مخطوطة أخرى :

تاريخ النسخ	الرقم	المكتبة
ق١٠هـ تقريبًا	٣/١٢٧ - ١٢٨ [٣/١٥٤٤] ٢٢و-٣٩، ضمن مجموع	الأسكوريال
-	٣١٠ [عام ٦٩٢٣] و٨-٢٣، ضمن مجموع	الظاهرية

المؤلف: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي المصري الشافعي (ت ٩١١هـ)، ختم القرآن وهو دون ثماني سنين . وولي المشيخة في مواضع متعددة من القاهرة. ثم إنه زهد في جميع ذلك، وانقطع إلى الله بالروضة. وصلت مصنفاته إلى نحو ستمائة مصنف سوى ما رجع عنه، منها : « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » و « تناسق الدرر في تناسب السور » و « الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج » و « تنوير الحوالك على موطأ مالك » ... (النور السافر عن أخبار القرن العاشر ١/ ٢٩).

الكتاب: بنى المؤلف كتابه على ما ورد في الحديث « إن الله يبعث على رأس كل مائة عام مَنْ يجدد لهذه الأمة أمر دينها » .

٣ - ذم القضاء وتلي الأحكام للسيوطي:

قيمة المخطوط	عدد الورقات	رقم المخطوط
لم يحقق	٢٤/ ٥	١٠٤

نسخ مخطوطة أخرى :

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
التيمورية	٢٧٦/٢ [مجاميع ٢٠١ (١٩٨ص)، ضمن مجموع]	١٠٥٦هـ
رضا/رامبور	٥١٤/١ [11233D (٩٣٠)](و٥٩ب-٦٢أ)، ضمن مجموع	ق١٢هـ
السعيدية	٢٠٤/١ [hadith٣٢٦ (٤٠٢)]و٦	١٢٢٧هـ
تكلي أوغلو	٢٦/٤/٠٧ [٧٩١/٢tekeli٠٧]و٥٢ب-٥٣ب، ضمن مجموع	-
دار الكتب/القاهرة	١٠٥/١ [١٣٩٠]	-
الدولة/برلين	١٩٢/٢ [٢٦/٤٠٧pm (١٤١٢)]و١٥٤أ-١٥٩ب، ضمن مجموع	-

المؤلف: تقدمت ترجمته.

الكتاب: يعدّ الكتاب من نمط التأليف على الأجزاء التي تجمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد.

٤ - ما رواه السادة في الاتكاء على الوسادة للسيوطي:

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ
٨٨٨	٢٧ب-٤٢أ	ق١٠هـ
قيمة المخطوط: أقدم نسخة .		
ملاحظات: حالة المخطوط سيئة، كُتب بخط نسخ مشكول، المتن محاط بإطار، على الهوامش تصحيحات. **أوله:** قال الترمذي في « الشمائل » : باب ما جاء في تُكأة رسول الله ﷺ .		

نسخ مخطوطة أخرى:

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
رضا/رامبور	٥٠٤/١ [D ١١٢٣٣ (٩٣٠)] و٥٧- ٥٩ب، ضمن مجموع	ق١١هـ
جاريت	٤٣١- ٤٣٢ [H٧٦٦(١٤٢٤)] و٨	ق١٢هـ
الأزهرية	٥٨٨/١ [(٢٥٩٨) حليم ٣٣٠١٣] ٤و	-
التيمورية	٢٣٢/٢ [مجاميع ٢٠١] ص٢٢٩	-

المؤلف: تقدمت ترجمته .

الكتاب: رسالة فيها أحاديث تتعلق بالاتكاء في أثناء الصلاة أو الخطبة أو غيرها من المناسبات .

٥ - مختصر الجامع الصغير للسيوطي:

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ
٥١٨	٩٣و	١١٥٤هـ
قيمة المخطوط: أقدم نسخة، وهو اختصار لكتاب مهم في الحديث.		
ملاحظات: كُتب بخط نسخ متقن، عليه آثار أرضة، بداية الحديث ورموز الاختصارات بالحمرة، عليه تملُّكات.		

نسخ مخطوطة أخرى:

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
دار الكتب/القاهرة	١٤٤/١ [١٣٣م]	-

المؤلف: تقدمت ترجمته.

الكتاب: اختصار للجامع الصغير، لا يعرف هل اختصره مصنفه أو غيره، فهناك عدة مختصرات للجامع ، منها مختصر لعبد الله دلامة، ومختصر لعبد الرحمن البعلي يسمّى « نور الأخبار وروض الأبرار في حديث النبي المختار » ، ومنها المختصر المسمى « إسعاف الطالبين في مختصر الجامع الصغير » بترتيب الشهاب(١). وكتاب الجامع لخصه السيوطي من كتابه « جمع الجوامع » ، مرتبًا على الحروف، ذكر فيه أنه اقتصر على الأحاديث الوجيزة، وبالغ في تحرير التخريج، وصانه عما تفرد به وضّاعٌ أو كذاب، ففاق بذلك الكتب المؤلفة في هذا النوع واشتهر (كشف الظنون ١/٥٦٠ ، ومعجم المؤلفين ٦/٤٥ ، ٥/١٤٧).

٦- الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير للعلقمي:

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ
٣٤١	٣٦٧ ج٢	١٠٨٣هـ ، بخط إبراهيم بن أحمد شهاب الدين المرواني
٤٨٥	٣٥٩ ج٣	١٠٠٠هـ ، في الخليل ، بخط علي بن الحاج عيسى
٦٧٨	٣٧٠ ج٤	١٠٠١هـ ، في الخليل ، بخط علي بن الحاج عيسى
٥	١٤١ ج٢	١٠٨٢هـ ، بخط إبراهيم بن أحمد شهاب الدين المرواني
٦	١٣٣ ج٣	١٠٨٢هـ ، بخط إبراهيم بن أحمد شهاب الدين المرواني
قيمة المخطوط: لم يطبع سوى الجزء الأول منه(٢) ، وباقي الأجزاء غير محققة، والنسخ مقابلة، والشارح تلميذ المصنف.		
ملاحظات: الثاني: خط نسخ غير جيد، حالة المخطوط جيدة، عليه تملُّكات. **أوله:** حديث « التمس ولو خاتمًا من حديد » . آخره: وتقدم البحث في « ثلاثة لا ترفع		

(١) انظر كشف الظنون ١/٨٥ .

(٢) الأعلام ٦/١٩٥.

صلاتهم » ... (ناقص الآخر).

الثالث: حالة المخطوط متوسطة، كُتب بخط نسخ سيئ، عليه شروح طفيفة على الهامش، عليه تملُّكات.

أوله: « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين » ، آخره: وقال الأوزاعي: وجود القتيل في المحلة...

الرابع: أوله: قوله في رواية مسلم: فذهب عبد الرحمن يتكلم قبل صاحبه.... آخره: وقد فرغت من تأليفه يوم الأربعاء ثماني وعشرين شعبان المكرم سنة ثمان وستين وتسعمئة أحسن الله عاقبتها.

الثاني : (نسخة ثانية): حالة المخطوط متوسطة، كُتب بخط نسخ، به آثار أرضة، ورؤوس الموضوعات وكلمة (حديث) و(قوله) بالأحمر.

أوله: حديث « التمس ولو خاتمًا من حديد » ، آخره: والمراد بالحديث هنا الكبر والفخر.

الثالث : (نسخة ثانية): حاله كالسابق.

نسخ مخطوطة أخرى:

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
خزانة القرويين (اللائحة)	٦٧ [١٠٠٦] ٤ج	٩٦٦هـ
متحف طوبقبوسراي	٢٦٣/٢ [M 267 ٣٠٦١] ج٥ ٤٤٣و	٩٦٨هـ ، بخط المؤلف
الحرم المكي	٥ [٥/٧٣] ٧٣٤ص	٩٧٥هـ
خدابخش	١٣٨/٢/٥ [٤١٨] مج١ ٣٩٠و	١١٠٦هـ
خزانة القرويين	٢٠٢/١ [١٩١] ج١ ١٩٨و	٩٨٦هـ
خزانة القرويين	٢٠٢/١ [١٩١] ج٢ ٢١٠و	٩٨٦هـ
خزانة القرويين	٢٠٣/١ [١٩١] ج٣ ٢٠٠و	٩٨٦هـ
خزانة القرويين	٢٠٣/١ [١٩١] ج٤ ٢٧٥و	٩٨٦هـ
متحف طوبقبوسراي	٢٦٣/٢ -٢٦٤ [٣٠٦٢A٤٣٩] ج٢ ٤٠٢و	٩٩١هـ
راغب باشا	١٩ [٢٦٢] مج أ	٩٩٤هـ

المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العلقمي الشافعي، المتوفى سنة ٩٦٩هـ . فقيه شافعي ، عارف بالحديث ، من بيوتات العلم في القاهرة ، تلمذ للسيوطي .

كان من المدرسين بالأزهر . وله : « قبس النيرين على تفسير الجلالين » ، ومختصر « إتحاف المهرة بأطراف العشرة » ، و « ملتقى البحرين في الجمع بين كلام الشيخين ». (شذرات الذهب لابن العماد ٨/ ٣٣٨، ٣٣٩، والكواكب السائرة للغزي ٢/ ٤١، وهدية العارفين ٢/ ٢٤٤).

الكتاب: شرح بالقول للجامع الصغير للسيوطي رحمه الله ، سماه « الكوكب المنير » ، لكنه قد يترك أحاديث بلا شرح لكونها غير محتاجة إليه، قال: حيث أقول شيخنا فمرادي المصنف، وحيث أقول في الحديث علامة الصحة أو الحسن فمن تصحيح المؤلف برمز صورته : صح أو خ بخطه، وحيث أقول وكَتبا فالمراد بهما السيد الشريف يوسف الأرسوفي وابن مُغْلَطاي.

فرغ من تأليفه سنة ٩٦٨هـ (كشف الظنون ١/ ٥٦٠، والأعلام ٦/١٩٥)[1]. وأهمية تحقيقه هي التصريح بتصحيح الحديث أو حُسْنه من تلميذ المصنف، وهو الخبير بنسخة أستاذه، بينما اعتورت تصحيفاتٌ النسخ المتأخرة من « الجامع » الذي فيه رموز التصحيح والتحسين فقط.

٧ - رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ لسبط ابن حجر :

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ
٥٧	١٤ ج٢	قبل ٨٧٩هـ
قيمة المخطوط: وضعه عالم متخصص، عليه خط الحافظ زين الدين قاسم بن		

(١) انظر فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية ١/ ١٢٩. وفيه أن المؤلف توفي عام ٩٦٣هـ، وأنه فرغ من تأليف الكتاب عام ٩٦٨هـ .

قُطْلُوبُغَا (ت ٨٧٩هـ)، ويظن أنه بخط المؤلف.
ملاحظات: فيه تصحيحات وتعليقات وتخريجات في بعض التراجم، بعض صفحاته مضافة، وليست من الأصل[1].

نسخ مخطوطة أخرى:

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
المحمودية	٩٧ [٣٤] مج١ ٢٣٠و	-

المؤلف: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن شاهين بن الأمير أبي أحمد العلاء قُطْلُوبُغَا الكَرْكي المصري الحنفي ثم الشافعي، سِبْط ابن حجر العسقلاني، يُعرف بابن شاهين، توفي سنة ٨٩٩هـ. من تصانيفه: «بلوغ الرجا بالخطب»، «علم حروف الهجا»، «تعريف القدر بليلة القدر»، «حاشية على تبصير المنتبه في تحرير المشتبه» لجدِّه ابن حجر (هدية العارفين ٦/٥٦٣).

الكتاب: تصنيفٌ في طبقات الحفاظ.

٨ - هداية الأحاديث النبوية إلى مكارم الأخلاق الحميدة الزكية ليوسف الحسيني:

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ	قيمة المخطوط
٧٥٩	١٢٩ و ج١	١٣١٩هـ، في القدس	نسخة وحيدة، وضعه عالم متخصص
٧٦٠	١٢٨ و ج٢	١٣١٩هـ، في القدس	وضعه عالم متخصص

المؤلف: يوسف الصديق الحسيني الشافعي (إمام المسجد الأقصى)، كان حيًّا سنة ١٣١٠ هـ.

(١) انظر نفائس الخزانة الخالدية في القدس الشريف لعبد الله مخلص، مجلة المجمع العلمي بدمشق، مجلد ٤ (١٩٢٤)، ص ٣٦٦-٣٦٩ و ٤٠٩-٤١٣.

الكتاب: جمع مؤلفه فيه أحاديث تتعلق بمكارم الأخلاق على طريقة الأجزاء[1]. انتهى منه في ١ ربيع الأول سنة ١٣١٠هـ.

٩ - تعاليق على الخصائص النبوية لابن الهائم:

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ
١٤٧/٥	-	-
قيمة المخطوط: نسخة وحيدة. كاملة. بخط المؤلف.		

المؤلف: أبو العباس الشهاب أحمد بن محمد الشهير بابن الهائم الحاسب الفرَضي (ت ٨١٥هـ).

الكتاب: من مصنفات الأجزاء.

١٠ - الأربعون الأبدال في تساعيات البخاري ومسلم للدمياطي[2]:

عدد الورقات	تاريخ النسخ
١أ-٢٢أ ج١	٦٨٨هـ، عليها سماع في الظاهرية
٢٣أ-٤٣ب ج٢	٦٨٨هـ، عليها سماع في الظاهرية
قيمة المخطوط: نسخة وحيدة مقابلة، عليها سماعات وإجازات من المؤلف.	
ملاحظات: المخطوط حالته جيدة، كُتب بخط نسخ.	

المؤلف: شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي (ت٧١٥هـ)، له كتاب «الأربعون المتباينة الإسناد في حديث أهل بغداد» (فوات الوفيات ٢/١٨).

---

(١) وهي تآليف تجمع الأحاديث المروية عن راوٍ واحد، أو الأحاديث التي تخص موضوعًا واحدًا.

(٢) انظر نفائس الخزانة الخالدية في القدس الشريف لعبد الله مخلص، مجلة المجمع العلمي بدمشق، مجلد ٤ (١٩٢٤)، ص ٣٦٦-٣٦٩ و٤٠٩-٤١٣.

١١ - إيضاح الإشكال في من أُبهم اسمه من النساء والرجال للمقدسي[١]:

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ
	١ب-١٧أ	ق٥هـ

قيمة المخطوط: نسخة وحيدة، من تأليف إمام متخصص في الحديث.
ملاحظات: حالة المخطوط جيدة، كُتب بخط نسخ غير منقوط على الأغلب، الأسماء كتبت بالقلم الأحمر. **أوله:** قال الشيخ الإمام الحافظ... هذه أسامي أقوام من الصحابة يروي عنهم أولادُهم، ولا يسمون في الرواية فيعسُر على مَن ليس الحديث مِن صناعته معرفة اسم ذلك الرجل...

المؤلف: محمد بن طاهر المقدسي الحافظ (ت ٥٠٧هـ). مؤرخ رَحَّالة. ولد ببيت المقدس، وتوفي ببغداد (الأعلام ٦/١٧١).

الكتاب: فيه بيان لأسماء الصحابة الذين لم يُسمَّوْن في أسانيد الأحاديث (مبهَمات الأسانيد).

١٢- كتاب ارتياح الأكباد بأرباح فَقْد الأولاد للسّخاوي[٢]:

قيمة المخطوط: نسخة وحيدة، قرئ على المؤلف، وعليه خطه.
ملاحظات: النسخة مخرومة. **أوله:** الحمد لله الذي أتقن فعله...

المؤلف: الشيخ العلاّمة الرُّحْلة الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي القاهري الشافعي، برع في الحديث والفقه والعربية والقراءة وغيرها، وشارك في الفرائض والحساب والميقات وأصول الفقه والتفسير

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق

وغيرها، ارتحل إلى حلب ودمشق وبيت المقدس والخليل ونابلس والرملة وحماة وبعلبك وحمص، وتوفى سنة ٩٠٢هـ (النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروس ١/١٠).

الكتاب: ألفه سنة ٨٦٤هـ، وهو في مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة (كشف الظنون ١/٦٢).

(جـ) مجموعة مكتبة إسحاق الحسيني[1]:

١ - حاشية على نُزهة النَّظر في توضيح نُخبة الفِكَر لابن أبي شريف:

رقم المخطوط	عدد الورقات	تاريخ النسخ	قيمة المخطوط
٧٠ [مجلد ٨٧/١٠]	١٤و، ضمن مجموع	١٠٧٧هـ	وضعه عالم متخصص في الحديث

نسخ مخطوطة أخرى:

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
رضا/رامبور	١/٣٦٠ [M ٢٨١٢ (٦٨٣)] و١ب-١٨أ، ضمن مجموع	٩٣٤هـ
دار الكتب/ القاهرة	١/٢١٧ [٣١ تيمور] - (ص١-١٨)، ضمن مجموع	١٠٤٣هـ
دار الكتب/القاهرة	١/٢١٦ [٤٧٩] ١٥و	١٠٦٧هـ
الدولة/برلين	٢/٢٨-٢٩ [٤/٥٢٠ Ibg ١١٠٨]و١٦٠-١٧٦، ضمن مجموع	١٠٧٣هـ
التيمورية	٢/١٤ [١٦٢] ج١	١٠٨٧هـ
دار الكتب/القاهرة	١/٢١٧ [٢١٦٠٩ب] ١٨و	١١٠٤هـ

(١) تقع في القدس الشرقية (المدينة القديمة) في قصر إسعاف النشاشيبي، أسست في القرن ١٧م. عدد مخطوطاتها نحو ٨٠٠ مخطوط.

الأوقاف/بغداد	١/٢٢٩ [٤/ ٩٥٩ مجاميع] ١٣و	١١٠٧هـ
جامعة الرياض	٤/٩٠ [١٩٢٩/٧م] (ص٢٣١- ٢٥٧)، ضمن مجموع	١١٣٢هـ
دار الكتب/القاهرة	١/٢١٧ [٣٤٥ مجاميع تيمور] (ص١٦٧-١٩٤هـ)، ضمن مجموع	١١٥٣هـ
الأوقاف/بغداد	١/٢٢٨ [٤/ ٧٨٥ مجاميع] ١٢و	١١٥٥هـ

المؤلف: إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود القدسي الشافعي قاضي القضاة، برهان الدين، ابن أبي شريف، ولد في القدس، وتوفي ٩١٣هـ. من كتبه: « شرح المنهاج » و « نظم النخبة » و « منظومة في القراءات » (نظم العقيان في أعيان الأعيان ١/٥، والكواكب السائرة ١/ ٦٢).

الكتاب: المتن هو «نخبة الفِكَر» للحافظ ابن حجر العسقلاني، وقد شرحه المصنف في كتاب سماه « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر » ، وهو من أهم كتب مصطلح الحديث. وهذا الكتاب ربما كان حاشية على نظم النخبة لابن أبي شريف، وضعها هو أو غيره .

٢ - رسالة في أسانيد مشايخ الشَّرقاوي :

رقم المخطوط	قيمة المخطوط
٤٧ [مجلد ٤٥/ ١]، ضمن مجموع	نسخة وحيدة

المؤلف: عبد الله بن حجازي بن إبراهيم المصري الأزهري المعروف بالشَّرقاوي الشافعي، توفي سنة ١٢٢٧هـ . له : « التُّحفة البهية في طبقات الشَّافعية » ، و « الجواهر السَّنية » ، و « حاشية على التَّحرير » ، و « الوصايا الكُرْدية » وغير ذلك (هدية العارفين ٥/ ٤٨٨).

الكتاب: ثبَت للإمام الشرقاوي .

٣ - سند الطَّحْطاوي (الطهطاوي):

رقم المخطوط	عدد الورقات	قيمة المخطوط
١٥ [مجلد ١٦/١٨]	٩و	لم يحقق

نسخ مخطوطة أخرى:

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
الأزهرية	٣٤٩/١[(٢٣٢مجاميع)٥٤٨٥] و١٧٨-١٨٦، ضمن مجموع	١٢٢٧هـ
دار الكتب/القاهرة	٢٤١/١ [٤٦٨] و١٨-٢٢، ضمن مجموع	١٢٦٢هـ
جامعة الرياض	١٠٢/٤ - ١٠٣ [١/٣٠٦٤م ز] ص١-٩، ضمن مجموع	١٢٨١هـ
دار الكتب/القاهرة	٢٤١/١ [٤٦٨] و٤٢-٥٠، ضمن مجموع	١٢٨٥هـ
دار الكتب/القاهرة	٢٤١/١ [٣١٧] و١٧، ضمن مجموع، بخط المؤلف	قبل ١٣٠٢هـ
دار الكتب/القاهرة	٧٤/١ [٢٩٨]	-
دار الكتب/القاهرة	٧٤/١ [٢٩٩]	-
دار الكتب/القاهرة	٢٤٠/١ - ٢٤١ [٣مجاميع - خليل آغا] و٤٨-٥٠	-
دار الكتب/القاهرة	٢٤١/١ [٣١م] ٩م	-

المؤلف: أحمد بن محمد بن إسماعيل الطهطاوي (ت ١٢٣١ هـ).

ولد بطهطا، وتعلم بالأزهر، ثم تقلّد مشيخة الحنفية، وخلعه بعض المشايخ، وأعيد إليها، فاستمرَّ إلى أن توفي بالقاهرة.

اشتُهر بكتابه «حاشية الدر المختار»، ومن كتبه أيضًا «حاشية على شرح مراقي الفلاَح»، وله رسالة بعنوان «كشف الرَّيْن عن بيان المسح على الجوربين» (الأعلام للزركلي ٢٤٥/١).

الكتاب: ثبَت للإمام الطَّحْطاوي.

٤ - شرح حديث « الصدقة تَرُدُّ البلاء وتزيد العمر » لخليل بن سليم بن إبراهيم:

رقم المخطوط	عدد الورقات	قيمة المخطوط
٨٢ [مجلد ١١١/٢]	٥و ، ضمن مجموع	لم يحقق

نسخ مخطوطة أخرى :

المكتبة	الرقم	تاريخ النسخ
دار الكتب البلدية/طنطا	(م.م.خ ٣/١/١٩٧٥م)/٢٥٩ [٢/٢١٢]، ضمن مجموع	-

المؤلف: خليل بن سليم بن إبراهيم ، وقد ورد المؤلف في الفهرس سيد بن الشيخ إبراهيم.

الكتاب: رسالةٌ في تأويل حديث « الصدقة تَرُدُّ البلاء وتزيد العمر ».

ثانيًا ـ مخطوطات منشورة :

نذكر هذه المخطوطات على الرغم من أنها منشورة لاعتبارات أخرى سيشار إليها ، أهمها قِدم النسخة. ولم نُعْنَ هنا بذكر النسخ الأخرى المخطوطة، لكون المخطوط منشورًا.

١ - الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لعلي القاري :

المكتبة	رقم المخطوط	الورقات	تاريخ النسخ	قيمة المخطوط
المسجد الأقصى	١/٥٤ [٧٢حديث ومصطلح ١ - ٦٠]	١٣٥و	١٠٧٦هـ	نسخة جيدة، أقدم نسخة

المؤلف: نور الدين علي بن سلطان محمد القاري الهروي الفقيه الحنفي ،

نزيل مكة المتوفى بها سنة ١٠١٤هـ. له من التصانيف: «رسالة البرة في الهرة»، «رد الفصوص»، «فتح باب العناية لشرح كتاب النقاية» (هدية العارفين ٥/٧٥١).

الكتاب: يبيِّن الموضوع من الأحاديث.

٢ - التَّجريد الصَّريح لأحاديث الجامع الصَّحيح «مختصر الزَّبيدي»:

المكتبة	رقم المخطوط	الورقات	تاريخ النسخ
الخالدية/القدس	٢٣٧	١٥٦	١٠٣٧هـ
قيمة المخطوط: أقدم نسخة.			
ملاحظات: حالة المخطوط جيدة، كُتب بخط نسخ متقن، عليه آثار أرضة، عليه تملُّكات.			

المؤلف: الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف (الشرجي) الزبيدي، المتوفى سنة ٨٩٣هـ.

الكتاب: مختصر جرَّد فيه أحاديثه، وسماه «التَّجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح»، **أوله:** الحمد لله البارئ المصور ... إلخ، حذف فيه ما تكرَّر وجمع ما تفرق في الأبواب، لأن الإنسان إذا أراد أن ينظر الحديث في أي باب لا يكاد يهتدي إليه إلا بعد جهد، ومقصود المصنف بذلك كثرةُ طرق الحديث وشهرته... وفرغ في شعبان سنة ٨٨٩هـ (كشف الظنون ١/٥٥٤).

٣ - سِفر السعادة للفيروزابادي:

المكتبة	رقم المخطوط	الورقات	تاريخ النسخ
الخالدية/القدس	٥١٦	١٣٥	٨٧٨هـ
قيمة المخطوط: أقدم نسخة.			
ملاحظات: حالة المخطوط جيدة، وكُتب بخط نسخ مشكول، وعليه آثار أرضة، وعليه تملُّكات ووقف.			

المؤلف: مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن إبراهيم الشيرازي الفيروزابادي ، أبو طاهر . ولد بكازرون سنة ٧٢٩هـ، وتوفي قاضيًا بزَبيد اليمن سنة ٨١٧هـ. صنف من الكتب: « الأحاديث الضعيفة » ، و « أحاسن اللطائف في محاسن الطائف » ، و « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » ، و « القاموس المحيط » ... وغيرها . (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ١/ ٢٥٠ ، هدية العارفين ٦/ ١٨٠).

الكتاب: في الحديث والسيرة. وهو مائة وأربعة عشر فصلاً ، جمع فيه صاحبه كل أدب وعادة وسيرة كانت للنبي ﷺ في كل باب من أبواب الدين والدنيا. واقتبس منه الزبيدي في « تاج العروس » (انظر اكتفاء القنوع ١/ ٣٤، والأعلام ٧/ ١٤٦ ، وأبجد العلوم ٢/ ٤٢) .

٤ - السنن الصغرى (المجتبى) للنَّسائي:

المكتبة	رقم المخطوط	الورقات	تاريخ النسخ	قيمة المخطوط
الخالدية/القدس	١٤٥ [٦٦] ج٣		٣٨٣هـ	أقدم نسخة

المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ): القاضي الحافظ شيخ الإسلام. أصله من « نسا » واستوطن مصر. رحل إلى خراسان والعراق، والحجاز والشام والجزيرة . من تصانيفه : « السنن الكبرى » ، و « الضعفاء والمتروكون » ، و « خصائص علي » (ابن خلكان١/ ٢١، البداية والنهاية١١/ ١٢٣ ، شذرات الذهب٢/ ٢٣٩) .

الكتاب: أحد الكتب الستة الأصول في علم رواية الحديث، وأحد السنن الأربعة. اقتصر المصنف فيه على أحاديث الأحكام المرفوعة، وكان متشددًا في انتقاء الرجال. وروي عنه أنه قال: لم أخرج في كتابي « السنن » من يتفق على تركه ، فإن أخرج منه أحداً أبينه، وهذه رتبة شريفة. ونقل التاج السبكي أن سننه أقل

السنن بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً (كشف الظنون٢/١٠٠٦، الرسالة المستطرفة ٣٢، تاريخ التراث العربي١/٣٢٧، والحديث والمحدثون ٤١٠).

٥ - كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المَصابيح للمناوي:

المكتبة	رقم المخطوط	الورقات	تاريخ النسخ
الخالدية/القدس	١٣٢	٢٦٤و	٨٠٣هـ، بخط أحمد بن منصور بن محمد
قيمة المخطوط: كُتب في زمن المؤلف، وهو أقدم نسخة، والمؤلف متخصص في علوم الحديث.			
ملاحظات: حالة المخطوط سيئة، وكُتب بخط نسخ.			

المؤلف: صدر الدين محمد بن إبراهيم بن إسحاق السُّلمي المناوي ثم القاهري، الشافعي، أبو المعالي (ت ٨٠٣ هـ): قاض، عالم بالحديث، من أهل القاهرة. ناب في الحكم، وكان قاضيًا للديار المصرية، وحمدت سيرته (الأعلام ٥/٢٩٩).

الكتاب: شرح لأحاديث «المصابيح» للبغوي، مع تخريجها وترتيبها.

٦- الفوائد الحسان المنتقاة للخِلَعي:

المكتبة	رقم المخطوط	الورقات	تاريخ النسخ	قيمة المخطوط
المسجد الأقصى	١/٦٠- ٦٢ [٧٨ حديث ومصطلحه ٧- ٩١]	٨٢و	٦١٣هـ	أقدم نسخة

المؤلف: علي بن الحسن بن الحسين بن محمد القاضي أبو الفضل الموصلي ثم المصري الشافعي المعروف بالخِلَعي، نسبته إلى بيع الخِلع للملوك، توفي سنة ٤٩٢هـ. له « الخِلَعيَّات » من أجزاء الحديث، و « فوائد في الحديث »، و « المغني » في الفقه (وفيات الأعيان ٣/٣١٧، وهدية العارفين ٥/٦٩٤).

الكتاب: يسمى « فوائد الخِلَعي » ، وهو في عشرين جزءًا. والفوائد الحديثية أجزاء تحتوي على أحاديث مختلفة (التحبير في المعجم الكبير ١/٤٧ ، وكشف الظنون ٢/١٢٩٧).

٧ - المَوْرِدُ المُعين شرح الأربعين (النووية) للصَّرْصَري:

المكتبة	رقم المخطوط	الورقات	تاريخ النسخ
الخالدية/القدس	١١٣٨	٧٠	١٠١٤هـ ، طرابلس
قيمة المخطوط: أقدم نسخة. نسخة مقابلة.			
ملاحظات: حالة المخطوط متوسطة، وكُتب بخط نسخ متقن، وعليه آثار رطوبة، والمطالب وأرقام الأحاديث بالحمرة.			

المؤلف: نجم الدين سليمان بن عبد الله بن عبد القوي عبد الكريم الطُّوخي الصَّرْصَري ، أبو الربيع البغدادي الحنبلي ، المعروف بابن السُّوقي (ت ٧١٦ هـ). له من التصانيف « مختصر المحصل » لفخر الدين الرازي في الأصول، و « الإشارات الإلهية والمباحث الأصولية » في التفسير، و « الانتصارات الإسلامية في دفع شُبَه النَّصْرانية » (هدية العارفين ١/٢١٠).

الكتاب: شرح للأربعين النووية.

٨ - رسالة في أصول الحديث للبِرْكلي:

المكتبة	رقم المخطوط	الورقات	تاريخ النسخ	قيمة المخطوط
كلية الدعوة وأصول الدين[1]	١٤٣	٩	١١٥١هـ	أقدم نسخة

(١) تقع في القدس (بيت حنينا)، أسست عام ١٩٧٦م، وعدد مخطوطاتها ٢٤٩ ، وتم الحصول عليها عن طريق الشراء والإهداء من عائلة صندوقة. لها فهرس أصدره أحمد العلي .

المؤلف: محيي الدين محمد بن بيرعلي بن إسكندر البركلي الرومي (ت ٩٨١ هـ): عالم بالعربية، نحوًا وصرفًا، له اشتغال بالفرائض ومعرفة بالتجويد. تركي الأصل والمنشأ. من كتبه «إظهار الأسرار»، و«امتحان الأذكياء»، و«دامغة المبتدعين»، و«الطريقة المحمدية» (الزركلي ٦/٦١).

الكتاب: يبحث في علوم الحديث على حسب المصطلح الذي استقرَّ بين العلماء في القرن العاشر الهجري.

٩ - شرح رسالة في أصول الحديث للقارصي:

المكتبة	رقم المخطوط	الورقات	تاريخ النسخ
الخالدية	١٥٠	٣٢و	١١٥١هـ، في مصر، بخط حافظ عبد الرحيم راغب
قيمة المخطوط: وضعه عالم متخصص في الحديث. نسخة مقابلة.			
ملاحظات: حالة المخطوط جيدة، وقد كُتب بخط نسخ جميل، والمتن محاط بإطار أحمر، وعلى الصفحة الأولى زخارف.			

المؤلف: داود بن محمد القارصي الرومي الحنفي (ت ١١٦٠هـ) (هدية العارفين ١/٣٦٣).

الكتاب: شرح فيه رسالة البركلي في أصول الحديث.

١٠ - تلخيص المُتشابه في الرسم وحِماية ما أُشكل منه عن بوادر التّصحيف والوهم للخطيب البغدادي:

المكتبة	تاريخ النسخ
مكتبة المسجد الأقصى	٥٧٧هـ، بدمشق
قيمة المخطوط: أقدم نسخة، وهناك نسخ أخرى في دار الكتب في القاهرة والظاهرية بدمشق لكنها ناقصة.	
ملاحظات: نسخة قيمة جدًا. صحيحة مضبوطة.	

المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، أبو بكر ، المعروف بالخطيب (ت٤٦٣هـ) : أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. مولده في (غُزية) ، رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدِّينَوَر والكوفة وغيرها ، وعاد إلى بغداد فقرّبه رئيس الرؤساء ابن مَسْلمة وعرف قدره. ثم حدثت شؤون خرج على أثرها مستترًا إلى الشام فأقام مدة في دمشق وصُور وطرابلس وحلب ، سنة ٤٦٢ هـ. ذكر ياقوت أسماء ٥٦ كتابًا من مصنفاته ، منها « تاريخ بغداد » ، و « الكفاية في علم الرواية » ، و « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » ، و« تقييد العلم » (الأعلام ١/١٧٢).

الكتاب: تصنيف في معرفة المصحَّف من الحديث ، واختصره علاء الدين علي بن عثمان المارديني (كشف الظنون ١/٣٢٣).

١١ - شرح الشفا للقاري:

المكتبة	تاريخ النسخ
دار الكتب الخالدية	١١٧٥ هـ
قيمة المخطوط: كتب بخط أحد العلماء ، وهو ولي الدين بن خليل البكائي الرومي[(١)] (ت ١١٨٣هـ).	
ملاحظات: نسخة قيمة جدًا. صحيحة مضبوطة.	

المؤلف: الملاّ علي القاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي (ت١٠١٤هـ) الجامع للعلوم العقلية والنقلية ، والمتضلّع من السنة النبوية. ولد بهَراة ، ورحل إلى مكة . أخذ عن خاتمة المحققين العلاّمة ابن حجر الهيثمي ، وشرح « المشكاة » و « الشمائل الوترية » و« الجزَرية » ، وله شرح على « نخبة الفكر » ، وشَرْح على « الشفا » وشَرْح على « الشاطبية » ، ولخص « القاموس » وسماه « الناموس »

(١) فاضل من أهل القسطنطينية ، مفسر مشارك في العلوم. من كتبه : حديقة العلماء ، وسراج الأمة في مناقب الأئمة (هدية العارفين ٢/٢٠٨ ، والأعلام ٨/١١٨) .

(سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ٢/٤٩٢).

الكتاب: هو شرح لكتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » للقاضي الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى اليحصُبي المتوفى سنة ٥٤٤هـ ، وهو على أربعة أقسام: القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي المصطفى ﷺ قولاً وفعلاً . والقسم الثاني في ما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلاة والسلام . والقسم الثالث في ما يستحيل في حقّه وما يجوز وما يمتنع ويصحُّ . والقسم الرابع في تصرُّف وجوه الأحكام على مَن تنقّصه أو سبَّه (كشف الظنون ٢/١٠٥٤).

١٢ - جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير:

المكتبة	رقم المخطوط	الورقات	تاريخ النسخ
دار الكتب الخالدية	٢٨٠	٢٧٦و ج١	٦٣٥هـ
دار الكتب الخالدية	٢٤٧	٢٦٦ ج٩	٦٦٦هـ
دار الكتب الخالدية	٢٨٨	١٤٩و ج٥	٧٨٧هـ
قيمة المخطوط: الأول: كتب بخط أحد تلاميذ المؤلف. عليه سماعات وإجازات منها سنة ٦٦٤هـ. الخط جيد. مشكول. الثاني: عليه سماع لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت ٧٢٠هـ) صاحب « مختار الصحاح » على أبي المعالي صدر الدين القونوي (ت ٦٧٢هـ) سنة ٦٦٦هـ. وعليه تملّكات. وهو مشكول. الثالث: كتبه أحمد أبو الطيب الكازروني[1] (ت ١١٨٣هـ).			
ملاحظات: نسخة قيمة جدًّا. صحيحة مضبوطة.			

(١) أحمد بن أحمد بن محمد بن روزبة، الشهاب، أبو الطيب بن الصفي أبي العبَّاس الكازروني المدني، سمع مع أخيه، وابن عمهما ، علَى البدر إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن الخشَّاب القاضي، تُساعياته الأربعين، وسمع على الشمس الششتري، ويحيى بن موسى القسنطيني، وأجاز له الجمال الإسنوي، والعز ابن جماعة، وأبو اليمن بن الكويك، وآخرون (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١/٦٠).

المؤلف: أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الشيباني الجزَري المحدِّث اللُّغوي الأصولي (ت ٦٠٦هـ). من كتبه « النهاية في غريب الحديث » و « الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف » (الأعلام ٥/ ٢٧٢).

الكتاب: ذكر فيه مكانة علم الحديث، وانتشار علم الحديث ، ومبدأ جمعه والتأليف فيه، واختلاف أغراض المؤلفين فيه، واقتداء المتأخرين بالمتقدمين، وخلاصة غرضه من جمع هذا الكتاب. وذكر أنه قد جمع في كتابه بين كتاب رَزين الذي حوى الكتب الستة وبين ما لم يذكره في الأصول الستة، وأتبعه بشرح ما في الأحاديث من الغريب والإعراب والمعنى، وجعل كتابه مرتبًا على الحروف (كشف الظنون ١/ ٥٣٥، ٥٣٦).

جـــداول إحصـــائية

الجدول الأول - بيانات أساسية للمخطوطات المنتقاة

المخطوط والمؤلف	المكتبة	المصدر	لم يحقق	نوع التأليف
الأزهار للأردبيلي	الأقصى	أرزنجان	✓	شرح
الدرة البيضا من صدق فم محمد المصطفى لنجاتي	الأقصى		✓	أربعينات
شرعة الإسلام إلى دار السلام لإمام زاده	الأقصى	العلائية	✓	جزء
كشف أستار جواهر الحكم المستخرجة الموروثة من جوامع الكلم للقونوي	الأقصى		✓	أربعينات
لوامع الأنوار في نظم غريب الموطأ ومسلم لابن الموصلي	الأقصى		✓	غريب
الأحاديث المسلسلة الدمشقية للقيسي	الخالدية	الأزهر	✓	جزء
التنبيه بمن يبعثه الله سبحانه على رأس كل مائة للسيوطي	الخالدية		✓	جزء
ذم القضاء وتلي الأحكام للسيوطي	الخالدية		✓	جزء
رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ لابن شاهين	الخالدية		✓	طبقات
الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير للعلقمي	الخالدية	الخليل	✓	شرح
ما رواه السادة في الاتكاء على الوسادة للسيوطي	الخالدية		✓	جزء
مختصر الجامع الصغير للسيوطي	الخالدية		✓	مختصر
هداية الأحاديث النبوية إلى مكارم الأخلاق الحميدة الزكية ليوسف الحسني	الخالدية	القدس	✓	جزء

تعاليق على الخصائص النبوية لابن الهائم	الخالدية		✓	شرح
الأربعون الأبدال في تساعيات البخاري ومسلم للدمياطي	الخالدية	دمشق	✓	أربعينات
إيضاح الإشكال في من أبهم اسمه من النساء والرجال للمقدسي	الخالدية		✓	رجال
كتاب ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد للسخاوي	الخالدية		✓	جزء
حاشية على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لابن أبي شريف	الحسيني		✓	مصطلح
رسالة في أسانيد مشايخه للشرقاوي	الحسيني		✓	مشيخات
سند الطحطاوي (الطهطاوي)	الحسيني		✓	مشيخات
شرح حديث الصدقة ترد البلاء وتزيد العمر لخليل بن سليم بن إبراهيم	الحسيني		✓	شرح
الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للقاري	الأقصى			موضوعات
رسالة في أصول الحديث للبركلي	كلية الدعوة			مصطلح
سفر السعادة للفيروزابادي	الخالدية			جزء
السنن الصغرى (المجتبى) للنسائي	الخالدية			سنن
الفوائد الحسان المنتقاة للخلعي	الأقصى			فوائد
المورد المعين شرح الأربعين (النووية) للصرصري	الخالدية	طرابلس		شرح
التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للزبيدي	الخالدية			اختصار
كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح للمناوي	الخالدية			تخريج

شرح رسالة في أصول الحديث للقارصي	الخالدية	مصر		مصطلح
تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم للخطيب البغدادي	الأقصى	دمشق		جزء
شرح الشفا للقاري	الخالدية			شرح
جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير	الخالدية			جوامع

الجدول الثاني - أهمية المخطوطات المختارة

المخطوط والمؤلف	أقدم نسخة	نسخة موقعة	نسخة وحيدة
الأزهار للأردبيلي	✓	✓	
الدرة البيضا من صدق فم محمد المصطفى لنجاتي			✓
شرعة الإسلام إلى دار السلام لإمام زاده	✓		
كشف أستار جواهر الحكم المستخرجة الموروثة من جوامع الكلم للقونوي			
لوامع الأنوار في نظم غريب الموطأ ومسلم لابن الموصلي	✓	✓ بخطه	
الأحاديث المسلسلة الدمشقية للقيسي		✓ بخطه	✓
التنبيه بمن يبعثه الله سبحانه على رأس كل مائة للسيوطي			
ذم القضاء وتلي الأحكام للسيوطي			
رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ لابن شاهين	✓	✓ بخطه	
الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير للعلقمي		✓	
ما رواه السادة في الاتكاء على الوسادة للسيوطي	✓		
مختصر الجامع الصغير للسيوطي	✓		
هداية الأحاديث النبوية إلى مكارم الأخلاق الحميدة الزكية ليوسف الحسني			✓

تعاليق على الخصائص النبوية لابن الهائم		✓ بخطه	✓
الأربعون الأبدال في تساعيات البخاري ومسلم للدمياطي		✓	✓
إيضاح الإشكال في من أبهم اسمه من النساء والرجال للمقدسي			✓
كتاب ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد للسخاوي		✓	✓
حاشية على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لابن أبي شريف			
رسالة في أسانيد مشايخه للشرقاوي			✓
سند الطحطاوي (الطهطاوي)			
شرح حديث «الصدقة ترد البلاء وتزيد العمر» لخليل بن سليم بن إبراهيم			
الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للقاري	✓		
رسالة في أصول الحديث للبركلي	✓		
سفر السعادة للفيروزابادي	✓	✓	
السنن الصغرى (المجتبى) للنسائي	✓		
الفوائد الحسان المنتقاة للخلعي	✓		
المورد المعين شرح الأربعين (النووية) للصرصري	✓	✓	
التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للزبيدي	✓	✓	
كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح للمناوي	✓		
شرح رسالة في أصول الحديث للقارصي		✓	
تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم للخطيب البغدادي	✓		
شرح الشفا للقاري		✓	
جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير		✓	

خـاتـمـة

أُحصي في البحث ثلاثة وثلاثون مخطوطًا من نفائس مخطوطات الحديث الموجودة في مكتبات القدس ، وهي تتوزع على الشكل الآتي: عشرون في المكتبة الخالدية، وثماني مخطوطات في مكتبة المسجد الأقصى، وأربع مخطوطات في مكتبة الحسيني، ومخطوطة واحدة في مكتبة كلية الدعوة[١].

أما الموضوعات فقد تنوعت لتشمل : من الأجزاء والفوائد (ثمانية) ، ومن الشروح (ستة)، ومن الرجال والطبقات (خمسة)، ومن الأربعينات (ثلاثة)، ومن المصطلح (ثلاثة) ، ومن المختصرات (اثنان) ، ومخطوط واحد من كلٍ من السنن، والجوامع، والتخريج، والغريب، والموضوعات.

ومن اللَّافت للنظر أن قسمًا كبيرًا من هذه المخطوطات كان نَسْخُه خارج فلسطين، ولعل طلَّاب العلم الذين درسوا في أماكن متعددة، كانوا يأتون بالمخطوطات معهم من البلاد التي درسوا فيها ، فمن أصل عشرة مخطوطات عرف مكان نسخها ، كان ثلاثة منها من فلسطين فقط، واثنان من مصر، واثنان من سورية، وواحد من كل من لبنان والعراق وأرمينيا.

وقد بلغ عدد المخطوطات غير المنشورة من هذه المجموعات واحدًا وعشرين، أي إنه نُشر فقط اثنا عشر مخطوطًا منها.

ويبلغ عدد المخطوطات التي تعد أقدم نسخة موجودة في العالم من هذه المجموعات خمسة عشر، من أصل ثلاثة وثلاثين، وعدد المخطوطات التي تعد نسخة وحيدة ثمانية، وعدد المخطوطات الموقعة أربعة عشر[٢].

---

(١) لم نتمكن من الاطلاع على فهارس المكتبات الأخرى في القدس .

(٢) نعني بها المخطوطات المكتوبة بخط المؤلف ، أو بخط أحد العلماء ، أو عليها إجازات أو قراءات أو سماعات من العلماء.

وهكذا ، على الرغم من قلة عدد مخطوطات الحديث المتبقية في مكتبات القدس فإن فيها مجموعةً قيّمة تستحقُّ أن نوفّر لها الأمن والحفظ والترميم والنَّسْخ بمختلف الوسائل الحديثة المتيسرة ، وأن نخرجها في فهارس جديدة ، ونلفت أنظار الباحثين إلى المهم منها من أجل تحقيقه ودراسته .

* * *

أهمُّ المصادر والمراجع

- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٥م.
- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ١٩٩٣م.
- التراث العربي المخطوط في فلسطين ، ندوة قضايا المخطوطات (٤) ، تنسيق وتحرير فيصل الحفيان ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ٢٠٠١م.
- جامع الشروح والحواشي ، عبد الله محمد الحبشي ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، حيدر آباد ١٩٤٥ ، ١٩٥٠.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (الحديث الشريف) ، مؤسسة آل البيت ، المجمع الملكي ، عمان ١٩٩١م.
- فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية ، القدس ، ج١ ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ٢٠٠١م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- المخطوطات العربية في فلسطين ، صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٨٢م.
- المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ، محمد عيسى صالحية ، معهد المخطوطات العربية ١٩٩٢م.
- معجم المخطوطات المطبوعة ، صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٣٩٨هـ.
- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٥١م.
- الوافي بالوفيات ، الصفدي ، إستانبول ١٩٣١م.
- وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، مصر ١٣١٠هـ.

* * *

كتب الفضائل : نظرات تقويمية

(تاريخ بَيْت المقدس المنسوب إلى ابن الجوزي أنموذجًا)

د. عبد الحكيم الأنيس(*)

كثُرت المؤلفات التي وضعها العلماء في فضائل بيت المقدس وتاريخها ابتداءً من القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري . وقد كانت هناك جهود مشكورة مبرورة لرصد هذه المؤلفات والتعريف بها ، وبيان نُسَخها الخطيّة كجهود الدكتور كامل العسلي ، والدكتور محمود إبراهيم ، ثم الشيخ شهاب الله جنغ بهادر المدني.

والذي يلاحظ أن التوجُّه إلى إخراج هذه المؤلفات إلى عالم النور لم يزل دون المستوى المطلوب ، كما أن عددًا مما خرج لم يكن إخراجه يتناسب ومكانة موضوعه ، فكتاب « الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » - وهو من أهم المؤلفات في هذا الباب - لم يُخدم إلى اليوم الخدمة اللائقة به .

وهذا البحث يتناول كتابًا من هذه الكتب يرقد أصله المخطوط في المكتبة الوطنية بتونس منسوبًا إلى ابن الجوزي ، فيُظهر البحث أنه ليس له ، ويكشف عن مؤلفه الأصلي ، ويُعرِّف بالكتاب ، ويبيّن بعض ما في طبعته من أغلاط ، ولاسيما أن بعض المواقع على شبكة المعلومات الدولية - الإنترنت - كموقع مؤسسة فلسطين الثقافية ، تعرضه بهذه النسبة وهذه الأغلاط ، مما يضلل الباحثين والقراء !

ويدعو البحث إلى إيلاء هذه الكتب - كتب فضائل بيت المقدس وتاريخها - العناية التامة فهرسةً وتحقيقًا وتعليقًا ونشرًا ؛ لتبقى تلك المدينة في الذاكرة ، وتبقى كتبها أمام الباصرة ، وهو أضعف الإيمان .

(*) كبير باحثين بدار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي ، ولم يتمكن من الحضور ، لكنه حرص على إرسال بحثه ، فعُرض في المؤتمر .

توطئة :

كثُرت المؤلفات التي وضعها العلماء في فضائل بيت المقدس وتاريخها ابتداءً من القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري .

وقد كانت هناك جهود مشكورة مبرورة لرصد هذه المؤلفات والتعريف بها ، وبيان نُسَخها الخطيّة كجهود الدكتور كامل العسلي(١) ، والدكتور محمود إبراهيم(٢) ، ثم الشيخ شهاب الله جنغ بهادر المدني(٣) .

والذي يلاحظ أن التوجُّه إلى إخراج هذه المؤلفات إلى عالم النور لم يزل دون المستوى المطلوب ، وما زالت لدينا كتب مهمّة تنتظر همّة الباحثين المحققين الغيارى لتحقيقها وخدمتها ونشرها .

وأضرب لذلك مثالاً بكتاب « الروض المغرَّس في فضائل البيت المقدَّس » للشيخ الإمام قاضي القضاة أبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن عمر الحسيني الشافعي (المتوفى سنة ٨٧٥هـ) ، فهو من الكتب المهمّة في هذا الباب ، وعليه عوَّل محمد بن أحمد السيوطي المِنْهاجي (المتوفى سنة ٨٨٠هـ) في كتابه « إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى »(٤) ، وقد طُبع هذا الأخير(٥) ، ولم يزل الأول مخطوطاً(٦) .

---

(١) له : « مخطوطات فضائل بيت المقدس : دراسة وبيليوغرافيا » ، وهو من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م . وكانت الطبعة الأولى عام ١٩٨١م .

(٢) له : « فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة » ، نشره معهد المخطوطات العربية في الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

(٣) له : « مخطوطات فضائل المسجد الأقصى وبيت المقدس وتاريخ فلسطين ومدنها في مكتبات العالم » ، وما يزال مؤلفه يعمل فيه .

(٤) انظر : إتحاف الأخِصّا (١/ ٨٣) .

(٥) وعلى إخراجه ملحوظات لا يتسع المجال للإفاضة فيها الآن .

(٦) لم يعثر على هذا الكتاب الدكتور صلاح الدين المنجد إذ قال في « معجم المؤرخين الدمشقيين » ، ص٢٥٩ : « لم يصل إلينا هذا الكتاب » . =

كما يُلاحظ أن عددًا مما خرج من هذه الكتب لم يكن إخراجه يتناسب ومكانة موضوعه ، فكتاب « الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » - وهو من أهم المؤلفات في هذا المجال - لم يُخدم إلى اليوم - في ما أعلم - الخدمة اللائقة به(١) .

وإذا تولّى الأمر باحثٌ من غير أهل هذا التراث تشعَّبت الملاحظات ، وتنوعت الإيرادات(٢) .

أخلص من هذا إلى ذِكر الكتاب - موضوع هذا البحث - وهو « تاريخ بيت المقدس » فأقول :

وصف الكتاب :

هذا كتاب تحتفظ بنسخته الخطية المكتبة الوطنية بتونس ، ضمن مجموع رقمه (٧٥٣٨) ، ويقع في (١٧) لوحة من (١٤٥) إلى (١٦١)(٣) . وفي كل صفحة (١٩) سطرًا .

= والواقع أنه قد وصل ، وله ثلاث نسخ في مكتبة عارف حكمت ، والمكتبة الأزهرية ، ومكتبة الدولة ببرلين .

وقد حقق مقتطفات من الكتاب الدكتور محمود إبراهيم في كتابه « فضائل بيت المقدس » ص٤٤٣-٤٥٩. انظر : مخطوطات فضائل المسجد الأقصى ، ص٤٩.

ولديَّ صورة من نسخة عارف حكمت ، وهي نسخة جيدة تامّة مكتوبة في حياة المؤلف ، أما النسختان الأخريان ففي الثانية أكل أرضة وخرم ، وفي الثالثة نقص كثير ....

(١) يقول الدكتور كامل العسلي وهو يتحدث عن طبعات الكتاب وتراجمه : « غير أن طبعات كتاب الأُنس الجليل هذه تفتقر إلى الشروط العلمية التي ينبغي توافرها لتحقيق كتب التراث . ولهذا فإن الأمر يستدعي القيام بجهد لتحقيق الكتاب » . مخطوطات فضائل بيت المقدس ، ص ١٠٨ .

(٢) انظر ما كتبه الأستاذ عصام الشنطي في بحثه « فضائل بيت المقدس لأبي بكر الواسطي » عن محققه إسحاق حسون . مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٦ ، ج ١ و ٢ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ص٣٣-٣٧ .

(٣) الفهرس العام للمخطوطات (ج ٨ ق ٢ ص٢٤) وفيه : « حبسته المشيخة العلمية على المكتبة العبدلية الصادقية بالجامع الأعظم » .

وقد جاء عنوانه مطولاً ، وتخلّله نسبتُه إلى ابن الجوزي هكذا :

« كتاب تاريخ بيت المقدس ، وذكر بنائه وفضل الصلاة فيه ، من جمع الشيخ الإمام العالم الفاضل أبو الفرج [كذا] عبد الرحمن ابن الجوزي قدس الله سرّه العزيز ، وذكر دخوله وما ورد في ذلك من الأخبار النبويّة والآثار المحديّة [كذا] ، شرَّفه الله تعالى وعظَّمه وكرَّمه وحماه بمنّه وكرمِهِ ، آمين رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل »(١) .

ويقع الكتاب في ثلاثة عشر فصلاً .

وأوّله : « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي هدانا لمناهج السداد ، وساقنا إلى مدارج الرشاد ، وسلك بنا سبيل المحجَّة البيضاء ، وألهمنا وجه حجته الغرّاء ، نسأله الرضوان إلى رياض قُدسه ، والنزول على بساط أُنسه ، والنظر إلينا بعين الرضوان ، والإفاضة علينا بتمام الجود والإحسان ، إنّه ولي التوفيق ، وبيده أزمّة التحقيق .

و الصلاة والسلام على سيد المُرسلين ، وإمام المتّقين ، وسراج العالمين ، ولسان الحق المبين ، محمد المصطفى ، وعترته الطّاهرين ، وأصحابه أجمعين » .

ويعد هذه الديباجة تأتي مقدمة الكتاب التي تعرِّفُ به ، وهذا نصّها :

« أما بعد : فهذا منتخَب في فضائل بيت المقدس وقبر الخليل إبراهيم ﷺ ، غالبه من كتاب « المستقصى » للحافظ بهاء الدين ابن عساكر - رحمه الله تعالى - والقليل منه من كتاب أبي المعالي المشرَّف بن المُرَجّى المقدسي رحمه الله تعالى .

وما نقلته من كتاب أبي المعالي فهو مُبَيَّنٌ أنّه من كلامه ، والباقي من « المستقصى » .

---

(١) وكذلك جاء بهذا الاسم والنسبة في « فهرس المخطوطات المصوّرة : سيرة ، تاريخ ، تراجم بمعهد المخطوطات العربية بالكويت (١٦/١) برقم ٤٦٢ .

وقد حذفت الأسانيد من ذلك كله ، لِمَا اقتضته المصلحة في ذلك » .

ثم يثني المؤلف على كتابه ، ويدعو له فيقول :

« وهذا المنتخب يَنتفع به إن شاء الله تعالى مَنْ أنعم النظر وأحسنه ، واتبع من القول أحسنه ، وكشف حُجب العناد ، وجُلّيت له سبل العُبَّاد من العِباد ، ووفّق للمنهج السديد ، وكان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد . والله تعالى أسأل أنْ لا يخيب رجائي [في] حصول النَّفع به بمنّه وكرمه » .

ثم يذكر أنه رتّبه على ثلاثة عشر فصلاً ، ويسردها فيقول :

« الفصل الأول : في ابتداء بناء المسجد الأقصى .

الفصل الثاني : في شد الرحال ، وفضل إتيانه وإسراجه ، ومن أين يدخل مدينة بيت المقدس ، ومن أين يدخل مسجدها ، وفضل إتيان بيت لحم والصلاة فيها .

الفصل الثالث : في فضل الصلاة فيه ، وفضل الحج والصلاة في مسجد المدينة والمسجد الأقصى في عام واحد .

الفصل الرابع : في فضل الإحرام من بيت المقدس ، وفضل الأذان فيه .

الفصل الخامس : في فضل الصدقة والصيام في بيت المقدس ، وشهود الموسم .

الفصل السادس : في فضل الصخرة وأنها من الجنّة .

الفصل السابع : في فضل البلاطة السوداء ، ومن أين يدخل الصخرة .

الفصل الثامن : في قبة المعراج ، وقبة النبي ﷺ ، وباب الرحمة ، ومحراب زكريا ، [و] الصخور التي في مؤخر المسجد ، وباب السَّكينة ، وباب حطّة ، ومحراب عمر ﷺ ، وبقية المحاريب ، وباب النبي ﷺ ، وطور زيتا ، وقبة السلسلة ، وباب التوبة .

الفصل التاسع : في ماء بيت المقدس ، وعين سلوان ، وجب الورقة .

الفصل العاشر : في الساهرة ، وفضل مَنْ مات ببيت المقدس .

الفصل الحادي عشر : في من رأى أن يدور تلك المواضع ، ومَنْ لم يدُر .

الفصل الثاني عشر : في جامع الفضائل ببيت المقدس .

الفصل الثالث عشر : في فضل زيارة قبر الخليل إبراهيم ﷺ » .

ثم نقرأ في آخر الكتاب :

« آخر الكتاب ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه . وكان الفراغ منه يوم الأربعاء عاشر المحرم الحرام المبارك من شهور سنة خمسة وثمانين وثمانيمائه [كذا] من الهجرة النبوية على مشرّفها أفضل الصلاة وأتم الصلاة وأتم السلام ، بالقاهرة المحروسة ، حرسها الله تعالى آمين . وهذه صفة المسجد الأقصى الشريف شرَّفه الله تعالى » وهي صفة مرسومة . وكان الناسخ وضع قبل البداية صفة المسجد النبوي مرسومة أيضًا .

ملحوظات أولية :

حين نقرأ ما تقدَّم تتبادر إلينا الملحوظات الآتية :

١ - طولُ العنوان بما لم يعهد عن ابن الجوزي ، وتخلُّلُ اسم المؤلف ذلك العنوان ، والخطأ النحوي في كُنية ابن الجوزي .

وقد يُقال : إن هذا كله من النّاسخ .

٢ - تكرار لفظ « الرضوان » في الديباجة مرتين ، وقد يُقال أيضًا : إن هذا من النّاسخ ، ولعل صحة الكلمة في الموضع الأول : « الدخول » لتقابل « النزول » ويكون النص : « نسأله الدخول إلى رياض قدسه ، والنزول على بساط أُنسه ... » .

٣ - ذكرُ المؤلفِ أن كتابه منتخب من كتابين هما « المستقصى » للحافظ بهاء الدين ابن عساكر بالدرجة الأولى ، وكتاب أبي المعالي المشرَّف بن المُرَجَّى المقدسي بالدرجة الثانية - يثير التساؤل ، ذلك أن بهاء الدين بن عساكر معاصر لابن الجوزي وهو أصغر منه سنًّا فقد ولد سنة (٥٢٧هـ) وتوفي سنة (٦٠٠هـ)[١] ، بينما ولد ابن الجوزي سنة (٥١٠هـ) وتوفي سنة (٥٩٧هـ) ، ومن غير المعقول أن يلجأ عالِم مثل ابن الجوزي إلى الانتخاب من كتاب عالِم يصغره سنًّا ومكانة وشهرة .

أما الإفادة من كتاب المشرَّف بن المُرَجَّى فلا غبار عليها لأنَّ المشرَّف من رجال القرن الخامس الهجري[٢] .

٤ - قول المؤلف : « وقد حذفت الأسانيد من ذلك كله لِمَا اقتضته المصلحة في ذلك » ، يثير التساؤل أيضًا ، فابن الجوزي كان حريصًا على ذكر الإسناد حتى في كتب لا أهمية لذكر الإسناد فيها[٣] .

٥ - نحن نعلم أن لابن الجوزي كتابًا اسمه « فضائل القدس » وقد جعله سبعة وعشرين بابًا ، كما يأتي :

الباب الأول : في فضل الأرض المقدسة .

الباب الثاني : في ذكر الجبل الذي عليه بيت المقدس .

الباب الثالث : في وضع بيت المقدس وبداية أمره .

الباب الرابع : في ذكر العجائب التي كانت فيه .

الباب الخامس : في فضل بيت المقدس .

---

(١) ترجمته في الأعلام (١٧٨/٥) .

(٢) انظر : مخطوطات فضائل بيت المقدس ، ص٣٤-٣٦ ، والأعلام (٢٢٧/٧).

(٣) انظر : الإسناد من الدين وصفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين ، ص٣٥ و ٩٣-٩٥.

الباب السادس : في فضل زيارته .

الباب السابع : في ثواب الصلاة فيه .

الباب الثامن : في ذكر مضاعفة الحسنات والسيئات فيه .

الباب التاسع : في فضل السكنى فيه .

الباب العاشر : في أنه أحد المساجد التي تشد الرحال إليها .

الباب الحادي عشر : في ذكر ما هناك من قبور الأنبياء ، ومحراب داود ، وعين سلوان .

الباب الثاني عشر : في ذكر ما جرى على بيت المقدس من الخراب والنهب .

الباب الثالث عشر : في ذكر غَزاة موسى أرض بيت المقدس .

الباب الرابع عشر : في ذكر فتح يوشع بيت المقدس .

الباب الخامس عشر : في صلاة رسول الله ﷺ في بيت المقدس

الباب السادس عشر : في ذكر مَسْرى رسول الله عليه السلام إليه ، وما رأى هناك .

الباب السابع عشر : في ذكر فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس ، وصلاته فيه .

الباب الثامن عشر : في ذكر ما جرى على بيت المقدس أخيرًا .

الباب التاسع عشر : في ذكر مَنْ نزله من الأكابر وأقام به .

الباب العشرون : في ذكر مَنْ ينتابه من الملائكة والزُّهاد والعبَّاد .

الباب الحادي والعشرون : في ذكر أن الحشر هناك .

الباب الثاني والعشرون : في فضيلة الصخرة .

الباب الثالث والعشرون : في فضل الصلاة إلى جانبي الصخرة .

الباب الرابع والعشرون : في ذكر الصخرة التي قام عليها سليمان لَمّا فرغ من البناء .

الباب الخامس والعشرون : في أن الله(١) عرج إلى السماء من هناك(٢) .

الباب السادس والعشرون : في ثواب الإهلال من بيت المقدس .

الباب السابع والعشرون : في ذكر زيارة الكعبة الصخرةَ يوم القيامة(٣) .

أقول : وهناك تداخل واضح بين عناوين هذه الأبواب ، وفصول الكتاب المسمى « تاريخ بيت المقدس » الثلاثة عشر ، فما معنى أن يكون لمؤلف واحد كتابان في هذا ؟

قد يُقال : إنَّه ألَّف كتابًا مختصرًا ثم شاء أنْ يوسع القول فيه لأهمية الموضوع عنده ، وفي زمنه . ولكننا نقرأ في أوّل « فضائل القدس » : « سألني بعض المقدسيين أن أذكر له فضائل بيت المقدس ، فذكرته مبوبًا أبوابًا ... »(٤) . مما يوحي أنه وضع هذا الكتاب ابتداء .

وقد يُقال ، إنَّه ألَّف كتابًا مطولاً ثم شاء أن يختصره(٥) . وهنا نقول : إنّ المادة ، وطريقة العرض ، متفاوتة بين الكتابين كثيرًا ، فلا يصح القول بأنّ هذا مختصر من ذلك .

---

(١) في الأصل : نبي الله . وهو خطأ لا أدري من النّاسخ أو المحقق أو الطابع .

(٢) سقط من الأصل تتمة هذا الباب ، والبابان بعده . وقد اعتمد المحقق على نسخة واحدة ، وعُرف للكتاب الآن نسخ أخرى ، وهو بحاجة إلى إعادة التحقيق والنشر .

(٣) فضائل القدس لابن الجوزي ، ص٦٣-٦٥

(٤) ص٦٣ .

(٥) قال الصفدي بعد إيراده كتب ابن الجوزي في ترجمته : « وأكثر هذه التصانيف متداخل بعضه في بعض ، فإنه كان إذا جمع كتابًا كبيرًا اختصر منه كتابًا أوسط ، ثم اختصر من الأوسط كتابًا أصغر » . الوافي بالوفيات (١٨/ ١٩٠) .

٦ - وإذا قرأنا الفصل الأوّل من الكتاب وجدنا فيه نقلاً عن كتاب « المغني في غريب المهذب » ، وهـذا الكتاب لإسماعيل بن هبـة الله المعروف بابن باطيش ، وقـد وُلد سنة (٥٧٥هـ) وتوفي سنة (٦٥٥هـ)[١] ، أي كان له حين وفاة ابن الجوزي اثنتان وعشرون سنة . ولا يعقل أن ينقل ابن الجوزي عنه ! هذا إذا كان ألّف كتابه آنذاك .

٧ - وحين نقرأ الكتاب بتمامه نجد أن عنوانه « تاريخ بيت المقدس » لا ينطبق على مضمونه ، ولا يتناسب مع هدف الكتاب وسياقه ، فهو كتاب فضائل وليس بتاريخ ، حتى إننا لا نجد فيه ما وجدناه في « فضائل القدس » لابن الجوزي من أبواب يصدق عليها أنها من التاريخ أو قريبة منه كالأبواب : ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ . ومع ذلك فقد رأينا سبط ابن الجوزي يذكر هذا الكتاب « فضائل القُدس » في كتب « المناقب » ، ولا يذكره في كتب « التاريخ » ، كما سيأتي .

٨ - ونرجع بعد هذا إلى الكتب التي ترجمت لابن الجوزي فلا نرى فيها ذكرًا لكتابٍ بهذا العنوان[٢] ، إلا عند مؤرخ متأخر هو جميل العَظْم

(١) ترجمته في الأعلام (٣٢٨/١) .

(٢) رجعت في بحثي عن كتاب بهذا العنوان إلى الكتب التي ترجمت لابن الجوزي : خريدة القصر وجريدة العصر (ج٣ مج١ ص٢٩٠) ، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (٩٧/٢) ، والكامل في التاريخ (٤٥٢/٧) ، والتاريخ المظفري (الورقة ١٨٩ نسخة خدابخش ، الهند) ، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان (ج ٨ق ٢ص٤٨١) ، والتكملة لوفيات النقلة (٣٩٤/١) ، ومشيخة النعال البغدادي (ص١٤٠) ، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين (ص٤٨٩) ، والذيل على الروضتين (ص٢١) ، والجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير (٩٥/٩) ، ووفيات الأعيان (١٤٠/٣) ، وآثار البلاد وأخبار العباد (ص٣١٠) ، والمختصر في أخبار البشر (١٢٦/٣) ، ومشيخة قاضي القضاة ابن جماعة (٩١/١) ، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٢٨٧/٤٢) ، وسير أعلام النبلاء (٣٦٥/٢١) ، وتذكرة الحفاظ (١٣٤٢/٤) ، والعبر في خبر من غبر (١١٨/٣) ، والمختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي (ص٢٣٧) ، والمعين في طبقات المحدثين (ص١٨٢) ، ودول الإسلام (ص١٠٦)، والإعلام =

(ت : ١٣٥٢هـ)[١] ، وهذا ذكر متأخر جدًّا ، ولعله بلغه خبر وجود هذا الكتاب في المكتبة الوطنية بتونس ، ولم يره . وذكره كذلك العلوجي وصرح بذكر هذه النسخة[٢] .

أمّا « فضائل القدس » فقد ذكره سبط ابن الجوزي - ضمن كتب المناقب - وابن الفرات ، وبروكلمان ، والزركلي[٣] .

وهذا كلّه يقودنا إلى القول بأن هذا الكتاب ليس لابن الجوزي ، وإذا لم يكن له فلمَنْ هو ؟

نقلّب كتب فضائل بيت المقدس فيستوقفنا كتاب « باعث النفوس إلى زيارة

= بوفيات الأعلام (ص٢٤٦) ، والإشارة إلى وفيات الأعيان (ص٣١١) ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص١١٦) ، وتاريخ ابن الوردي (١٦٩/٢) ، والوافي بالوفيات (١٨٦/١٨) ، ومرآة الجنان (٤٨٩/٣) ، والبداية والنهاية (٢٨/١٣) ، والذيل على طبقات الحنابلة (٣٩٩/٣) ، وتاريخ ابن الفرات (مج٤ ج٢ ص٢١٠) ، والوفيات [لابن قنفذ] (ص٣٠١) ، وغاية النهاية في طبقات القراء (٣٧٥/١) ، والنجوم الزاهرة (١٧٤/٥) ، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (٩٣/٢) ، وطبقات المفسرين [للسيوطي] (ص٦١) ، وطبقات الحفاظ (ص٤٧٧) ، وتاريخ ابن سباط (٢٣٤/١) ، والمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد (١١/٤) ، والدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (٣٠٧/١) ، وطبقات المفسرين [للداودي] (٢٧٥/١) ، وإنباء الأمراء بأنباء الوزراء (ص١١١) ، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (٣٦٧/١) ، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة (٢٣٣/١) ، ونفح الطيب (٧/ ١٥٢) ، وكشف الظنون (مواضع كثيرة) ، وشذرات الذهب (٥٣٧/٦) ، وطبقات المفسرين [للأدنه وي] (ص٢٠٨) ، والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأوّل (ص٥٤) ، وروضات الجنات (٣٤/٥) ، وهدية العارفين (٥٢٠/١)، وإيضاح المكنون (مواضع كثيرة) ، والرسالة المستطرفة (ص٤٥ وغيرها) ، وتاريخ الأدب العربي (٣٣٥/٩) ، وفهرس الفهارس والأثبات (٣٠٨/١) ، والأعلام (٣١٦/٣) ، ومعجم المؤلفين (١٥٧/٥).

(١) ذكره في « عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفًا فمئة فأكثر » ، ص ٤.

(٢) مؤلفات ابن الجوزي ، ص١٦٦ ، وقد ظنه نسخة من « فضائل القدس » !

(٣) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (ج٨ ق١ ص٤١٦) ، وتاريخ ابن الفرات (مج٤ ج٢ ص٢١٥) وعنوانه عنده : « فضائل بيت المقدس » ، وتاريخ الأدب العربي (٣٥٨/٩) ، والأعلام (٣١٧/٣) .

القدس المحروس » لإبراهيم بن عبد الرحمن الفَزاري المعروف بابن الفِرْكاح المولود سنة (٦٦٠هـ) والمتوفى سنة (٧٢٩هـ).

ونرى مقدمة « تاريخ بيت المقدس » هي مقدمة « باعث النفوس » ولكن الديباجة مختلفة تمامًا.

ونقابل « التاريخ » بـ « الباعث » فنكتشف أنهما واحد ، إلا أنّ « التاريخ » قد أخلّ بعدد من الأحاديث والأخبار والآثار ، فما معنى هذا ؟

إن تفسير هذا عندي - والله أعلم - أنّ ناسخًا أتى بـ « باعث النفوس » وبدلاً من أن ينسخه كما هو ، أتى بديباجة من عنده ، وهو يبيِّت أمرًا ، وراح ينسخ الكتاب ، ولكنه ملّ فبدأ يتجاوز بعض الأحاديث والأخبار والآثار ، ويختصر بعض الكلام ، ويترك عمدًا أو سهوًا بعض الجمل[1] ، ثم نحله عنوانًا جديدًا أكثر أهمية من العنوان الأوّل ، ومؤلفًا أكثر شهرة كذلك من المؤلف الحقيقي[2] . فمَنْ يكون هذا الناسخ ؟ ومتى تمّ هذا ؟ لا نعلم اسم النّاسخ ، ولا

(١) ظهر لي هذا من مقابلته مقابلة تامّة بـ « باعث النفوس » الذي أخرجه مركز تحقيق التراث في دار الكتب والوثائق القومية ، بتحقيق أحمد عبد الباسط حامد ، وأحمد عبد الستار عبد الحليم . ولولا خشية التطويل لأوردت هنا الفروق بين النسختين ، وحسبي الآن هذا الإجمال .

(٢) لا يستبعد أن تكون بعض نسخ « باعث النفوس » لم يثبت عليها اسم المؤلف ، أو سقط بسبب من الأسباب ، فشجع هذا بعض الناسخين على نسبته إلى آخر .

ومن النسخ التي جهل اسم ابن الفِرْكاح فيها نسخة في المتحف البريطاني ، ولهذا نجد بروكلمان يقول بعد ذكر ابن عساكر وكتابه المستقصى : « أعاد مجهول كتابته وأضاف إليه مقتطفات من فضائل القدس والشام لأبي المعالي المشرَّف بن المُرَجَّى بن إبراهيم المقدسي » . تاريخ الأدب العربي (٣/٤٣٨) .

ونجد الدكتور نزيه كسيبي ينسب نسخة من « باعث النفوس » إلى ابن عساكر في « فهرس المخطوطات العربية في مكتبة ستراسبورغ الوطنية والجامعية بفرنسا » ص ١١٩ ، مع تصريحه أنه جاء على ظهر الورقة الأولى : « فهذا نسخته [كذا ، والصواب : منتخب] من فضائل بيت المقدس وقبر الخليل إبراهيم عليه السلام ، غالبه من كتاب المستقصى في فضائل الأقصى للحافظ بهاء الدين ابن عساكر - رحمه الله - والقليل منه من كتاب الشيخ أبي المعالي المشرقي [كذا ، والصواب : المشرَّف] رحمه الله تعالى » . =

ندري أهو من قام بهذا العمل أم نقل من نسخة عملها أحد من قبله ؟ إلا أنّ في كتابته أخطاء إملائية قد تدل على عاميته[1] .

أما متى تمّ هذا فإننا نقرأ في آخر الكتاب : « وكان الفراغ منه يوم الأربعاء عاشر المحرم الحرام المبارك من شهور سنة خمسة وثمانين وثمانيمائة [كذا] من الهجرة ... بالقاهرة » ، وربما كان هذا التاريخ تاريخًا لهذه العملية التزويرية ، ونحن لا نعلم نسخة ثانية من هذا الكتاب .

نعم ينقل الدكتور جبرائيل سليمان جبور محقق « فضائل القدس » لابن الجوزي في أول مقدمته عليه عن بروكلمان أن من « فضائل القدس » نسخة في مكتبة برلين[2] .

ثم يقول في آخر المقدمة : « بعد أن تمّ طبع الكتاب وصلت إليَّ صورة عن مخطوطة برلين المنسوبة لابن الجوزي كما أشرت في هذه المقدمة ، وقد تبيّن لي أن المخطوطة ليست مخطوطة فضائل القدس ، ولا هي لابن الجوزي ، وإنما هي كتاب باعث النفوس ... نسخ سنة ١١٣٢هـ » .

ثم يُعلّل الدكتور جبور سبب الخطأ فيقول : « ويظهر أن الصفحة التي كان عليها اسم المؤلف سقطت ، فظن أحد المتأخرين أنّ الكتاب لابن الجوزي وأضاف صفحة بدلها نَسب الكتاب فيها خطأً لابن الجوزي ، ونقل بروكلمان ما على الورقة الأولى دون أن يدرس متن الكتاب ، والنصوص التي تؤيد أنه كتاب

= ومن نسخه غير المنسوبة نسخة في الظاهرية بدمشق ، ونسخة في الخزانة الملكية بالرباط .

استفدت هذه الإحالات من كتاب « مخطوطات فضائل المسجد الأقصى ... » ص ١٦ و ٢٦ ، وقد ذكر له (٤٢) نسخة ، وهو بهذا يأتي في الدرجة الثالثة بعد « إتحاف الأخِصّا » فله (٦٥) نسخة ، و « الأُنس الجليل » وله (٦٤) نسخة .

(١) ككتابته : صل : صلى . وعليكِ : عليكي . وفيكِ : فيكى ، وقوله عن « سارة » : ستنا سارة .

(٢) فضائل القدس ص٧ ، وقد عزا إلى تاريخ الأدب العربي بالألمانية (برلين ١٩٠٢) ج١ ص ٥٦ والملحق (ليدن ، ١٩٣٧) ج١ ص ٩٢٠ .

«باعث النفوس» ، وقد وردت إليَّ مع المخطوطة نشرة تُفيد أن أُلْورد قد نبّه إلى خطأ بروكلمان[1] .

ويبدو لي هنا على هذا عدة أشياء :

١ - لم يذكر الدكتور جبور عنوان مخطوطة برلين بشكل قاطع ، لكن يظهر أن عنوانها « فضائل القدس » .

٢ - أن تاريخ نسخ هذه النسخة وهو (١١٣٢هـ) ، متأخر عن تاريخ نسخة تونس ، فهل هي منقولة عنها ؟

وإذا صح هذا فيكون الخطأ أقدم مما ظنّه الدكتور جبور ، ويكون عمل الذي أضاف صفحة العنوان من المتأخرين منحصرًا في تغيير العنوان من « تاريخ بيت المقدس » إلى « فضائل القدس » ، ولعلّه قام بهذا اعتمادًا على ورود كتاب بهذا العنوان في قائمة مؤلفات ابن الجوزي ، وعدم ورود كتاب بعنوان « تاريخ بيت المقدس » .

وإذا لم يصح هذا فنكون أمام عملية خطأ آخر في نسبة « باعث النفوس » إلى ابن الجوزي ، ويكون هذا من الاتفاقات الغريبة .

وعلى أية حال فإنَّ البتَّ في هذين الاحتمالين موقوف على رؤية هذه المخطوطة ، والاطلاع على ديباجتها لنرى أهي مثل ديباجة نسخة تونس أم مثل ديباجة « باعث النفوس » .

٣ - رجعت إلى « تاريخ الأدب العربي » فوجدت فيه ما يأتي :

« فضائل القدس ، مكتبة البارودي ، بيروت ، مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٣٤/٥ ، جاريت ٥٨٦ ، أفاد منه مخطوط برلين ٦٠٩٨ »[2] .

وليس في هذا ما أفاده كلام الدكتور جبور !

(١) فضائل القدس ص ١٥ .

(٢) تاريخ الأدب العربي (٣٥٨/٩) ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ ، أشرف على الترجمة العربية أ. د. محمود فهمي حجازي .

النتيجة :

نخلص مما سبق إلى أن المخطوط المعنون بـ « تاريخ بيت المقدس ... » المنسوب إلى ابن الجوزي البغدادي (٥١٠-٥٩٧هـ) ، المحفوظ في المكتبة الوطنية بتونس ، هو نسخة منتخبة من « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » لابن الفِرْكاح الدمشقي (٦٦٠-٧٢٩هـ) ، وهو منتخب من كتابين - كما سبق - هما المستقصى لابن عساكر (ت ٦٠٠) ، وكتاب المشرَّف بن المُرَجَّى (ق٥هـ).

القيمة العلمية لهذا الكتاب :

أما القيمة العلمية لهذا « المنتخب » من « المنتخب : باعث النفوس » ، فهي مرتبطة بأصله ، ولستُ هنا بصدد الكلام على هذا . إلا أنني أقول في عُجالة : إن « باعث النفوس كتاب يصح أن يُقال عنه : إنه موجَّه إلى العامّة ، وقد يدل على هذا قول مؤلفه في مقدمته : « وقد حذفت الأسانيد » ، ولا مصلحة للعامة في الأسانيد ، ولا فائدة لهم منها ، غير أنها أساسيّة لدى أهل العلم ، لّما يترتب عليها من قَبول الخبر أو ردّه ، ولا سيما في أمور تتعلّق بالإيمان والثواب والعقاب والعبادة المبنية على التوقيف .

ولقد كان ابن الفِرْكاح ممن لهم اشتغالٌ بالحديث النبوي تحمّلاً وأداءً[(١)] ، ولكنه لم يجر في كتابه هذا على طريقة المحدثين الناقدين[(٢)] .

---

(١) انظر ترجمته في : طبقات الشافعية الكبرى (٣١٢/٩) ، والوافي بالوفيات (٤٣/٦) ، والبداية والنهاية (١٨٣/١٤) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٤٠/٢) وغيرها .

(٢) ويقال هذا في آخرين ممّن كتبوا في فضائل بيت المقدس ، ولهذا مدح شهاب الدين أحمد بن محمد المقدسي الشافعي كتابه « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، فقال : « وجعلته في كتب الفضائل كلها المشارَ إليه والمعوّلَ عليه ، إذ بينت حال أحاديثه وآثاره - غالبًا - الصحيحة والحسان والضعيفة والموضوعة ، وليس كذلك مَنْ صنف في الفضائل ، بل أورد أحاديث مجملة دون بيان » اهـ . من «الروض المغرَّس» (الورقة ٣) .

ولعل بعض ما ورد في كتابه هذا من توجهات كان من المسائل التي يُخالف فيها الشيخ تقي الدين ابن تيمية .

وقد جاء في ترجمته : « وكان يخالف الشيخ تقي الدين في مسائل ، ومع ذلك فما تهاجرا ولا تقاطعا ، بل كان كل منهما يحترم الآخر ... »[1] .

ولابن تيمية « قاعدة في زيارة بيت المقدس » وهي تصبُّ في اتجاه آخر ...[2] .

كلمة في طباعة هذا الكتاب :

خرج « تاريخ بيت المقدس » إلى الناس سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م بتقديم وتعليق وتحقيق الدكتور محمد زينهم محمد عزب عن مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة في (٨٥) صفحة ، استغرقت مقدمة المحقق من (٥) إلى (١٥) ، ثم في ص (١٧) نقرأ « مخطوطات الكتاب » ، وهو تعبير غير صحيح ، إذ ليس للكتاب إلا مخطوطة واحدة ، وهو يريد : نماذج من الكتاب . ويبدأ نص الكتاب في ص (٣١) إلى ص (٨٠) . وفي النص أخطاء كثيرة وأسقاط - غير أخطاء النّاسخ وأسقاطه - وأذكر فيما يأتي التحريفات وأخطاء القراءة التي وقع فيها المحقق - وقد أترك بعضها - :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣١	٣	لحجة	المحجة
٣١	٣	والهناء	وألهمنا
٣١	٦	أرضه	أزمّة
٣١	١٦	العناد	العُبَّاد

(١) الوافي بالوفيات (٦/٤٤) .

(٢) انظر كلامه في هذا في مجموع الفتاوى (٢٧/٥-٣٤) .

٣٢	١	العناد	العبّاد
٣٢	١	وألقى	أو ألقى
٣٢	٥	فضل أبنائه وأبراجه	وفضل إتيانه وإسراجه
٣٢	١٣	شهور	شهود
٣٢	١٨	باب خطه	باب حطة
٣٣	٢	فيما بيت	في ماء بيت
٣٣	٤	رأى يدور	رأى أن يدور
٣٣	٧	قبل الخليل	قبر الخليل
٣٦	١	فضل	فَصَلٌ
٣٦	٣	بسند من	بسنده عن
٣٦	١٠	يروى	ثم روى
٣٧	١٣	ألف ومائة سنة	ألف ومائتا سنة
٣٧	١٥	بناء	بناه
٣٧	١٥	وزادا قبة	وزادا فيه
٣٧	١٦	فأضيفا	فأضيف
٣٩	٩	يهدى	أهدى
٣٩	١٠	لمن	كمن
٤٠	٩	لرجع	إلا رجع
٤٠	١١	دعوات	بدعوات
٤٠	١٢	أنما	أيما
٤٠	١٢	نايبا	تائباً
٤٠	١٨	لا ينتهين	لا ينتهزه
٤٠	٢٠	دعا نبي وجاء ني	دعاء نبي ورجاء نبي

٤١	٨	أحداً	أحد
٤١	١٢	صلاة الغمة	صلاة العتمة
٤١	١٤	فاستصحبني	فاستصعب
٤١	١٢	وحملني	ثم حملني
٤٠	١٣	طوقها	طرفها
٤٢	١٠	فأنا	فأتى
٤٢	١٢	وأخذ مني	وأخذني من
٤٢	١٥	عرفت به جيئتي	عرقت به جبيني
٤٢	١٥	شيخ شكي	شيخ متكئ
٤٢	١٩	أحلوا	أضلوا
٤٢	٢١	قبلة	قبل
٤٣	١	سبين	مسيرة شهر
٤٣	٢	ابنائه	أنبأته
٤٣	٤	ذهب إلى	أتى بيت
٤٣	٤-٥	إني سرابه	إن من آية
٤٥	٦	الصلاة	صلاة
٤٥	٧	حواله	سواه
٤٦	٦و٧	الصلاة	صلاة
٤٦	١٠	جاهزون ابط	وجاهد ورابط
٤٦	١٣	إلى	إلا
٤٦	١٧	ورفادة	وزاره
٤٦	١٨	وهبطوه	وغبطوه
٤٦	١٨	وإنما	وأيما

٤٧	١	ما بها	ما منها
٤٧	١٢	أنه	ائته
٤٧	١٣	بنائه مخلطة	بناه وبلطه
٤٧	١٤	شبرا	شبر
٤٧	١٤	له	فيه
٤٩	٢	الأثار	الأذان
٥١	٣	شهور	شهود
٥٣	٢	الصخر	الصخرة
٥٣	٨	بازاً عنه	بإزاء
٥٣	١٠	بازا	بإزاء
٥٣	١٢	دهب	وهب
٥٣	١٢	يقول الله تعالى : « الصخرة	يقول الله تعالى لصخرة ... «
٥٣	١٣	عن	لمن
٥٤	٨	الأولى ومت	الأدنى ومن
٥٤	١١	به	بي
٥٤	١١	أتاني	أتى بي
٥٥	١١	يصنعوها	تضعوها
٥٥	١٥	يستجب	يستحب
٥٦	٣	النبية وبيوت	النية ويتوب
٥٦	٨	منه	منعه
٥٦	١٤	استغيث	استغنيت
٥٩	٦	أربعة	أربعاً
٥٩	٦	أتي	إني

٥٩	١٢	يجئ	يحيى
٦١	٣	محراب الصخور	محراب زكريا
٦١	٩	متعبدة(١)	متعبد
٦١	١٣	سيناء	زيتا
٦١	١٥	وجبرائيل	وجبريل
٦١	١٦	فاضلاً له	فأضاء له
٦٢	٤	وكعبت (٢)	وكعبٌ
٦٢	٨	نوف لمفضل	نور لفضل
٦٢	٩	بجبال	بحيال
٦٢	١٤	لإحسان	لا حساب
٦٢	١٥	خطة ... بخط	حطة ... تحط
٦٣	٢	وبناء	وماء
٦٣	١١	بماء	يا ماء ، ماء
٦٣	١٣	ليشفي	يستقي
٦٦	١	زيبون	زيتون
٦٧	٢	رأى بدور تلك المواضع	يرى أن يدور في الموضوع
٦٩	٧	فنذبت بصيبه	فبذنب يصيبه
٦٩	٨	فرحمة	فبرحمة
٦٩	١٠	أذقك	أزفك
٦٩	١٠	كالعدوس	كالعروس
٦٩	١٢	لبيت	لبيته

(١) وضع النّاسخ دائرة في آخر السطر بعد « متعبد » فقرأها المحقق متعبدة !

(٢) في المخطوط : « وكعبٌ » فقرأ المحقق تنوين الرفع نقطتين وكتب : وكعبت !

٦٩	١٣	فترحمه	فبرحمة
٦٩	١٤	فسخط	فبسخط
٧٠	١و٤	جنات ... الجنات	جنان ... الجنان
٧٠	١١	السابقة	السابعة
٧٠	١٤	لا يعدان	لا يصران
٧١	١١	... رب	وتسورت
٧٣	٦	وشرد	وشدد
٧٣	١١	وتشجر	وتسجر
٧٣	١٤	هاجر	يهاجر
٧٤	٣	ممن	لمن
٧٤	٦	وكذلك	كله
٧٤	١٠	وصفر له	وصفوة
٧٥	٧	كوتا	كوثا
٧٥	٨	فلسطين والأردن	فلسطين الأردن
٧٥	١١	عن أبي هريرة	عن كعب
٧٥	١٥	حين	حيث
٧٥	١٦	يعطى لك	بعتكها
٧٦	٢	بجبال	بحيال
٧٦	٣و٦	ربعة	ربقة
٧٦	٤	أولاده	أولاد العيص
٧٦	٥	هوطن	حوطوا
٧٦	١٢	ورد وأخران	وردوا حرّان
٧٦	١٤	سنة	منه

٧٦	١٥	فأنزل	فأثرى
٧٧	١	زوج	روح
٧٧	١	أومى	أوحى
٧٧	٦	معلو بالك	فطوبى لك
٧٧	١٠	مخرج	فخرج
٧٧	١٣	جبل	حيل
٧٧	١٧	يحشر	حشر
٧٧	١٧	ووقار فتأتى	ووقي فتاني
٧٨	١	وربعة ولبقة	وربقة وليقة
٧٨	٦	حج الفقر أو درجات	حج الفقراء ودرجات
٧٨	١٥	وذكر	ويكره
٧٨	١٦	كان	كأنه
٧٨	١٧	أحدًا إلا إجابة	أحد إلا أجابَهُ
٧٨	١٩	عذر	عند
٧٩	١	سأل	سُئِل
٧٩	٤	ودعا	وكان
٧٩	٤	مع حبرى بأمرها	أقطع حبرى بأسرها
٧٩	٨	ويزيد بن ابي قيس	ويزيد بن قيس
٧٩	١١	فقلنا	فقمنا
٧٩	١١	يتشاور	نتشاور
٧٩	١٥	هل	هذا
٧٩	١٥	العربي	القرى
٧٩	١٨	فيزداد	فنزداد

٧٩	٢١	ذهب	وهب
٧٩	٢٢	المرطون	المرطوم
٨٠	١	وجهنم	وجهم
٨٠	٤	ما انظر محمد	ما أنظى محمد
٨٠	١٠	جاء	وولي
٨٠	١٣	الكلام	الفساد

أما الأسقاط فقد كانت في الصفحات الآتية : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ .

وهي ما بين حرف ، وكلمة ، وكلمات ، وسطر ، وأكثر !

وهذا غير متابعته لأخطاء النّاسخ .

ولا أسترسل أكثر فنقد ما لا قيمة له قد يجعل له قيمة .

كلمة أخيرة :

أغتنم هذه المناسبة لأقترح وأدعو إلى الاهتمام الجدِّي بتراث فضائل بيت المقدس وتاريخها ، ومن المناسب جدًّا أن تنبثق لجنة عن هذا المؤتمر تكون مهمتها جمع هذا التراث وتحقيقه تحقيقًا علميًّا متينًا ، ودراسته دراسة فاحصة متأنية ، وإصداره في موسوعة تحمل هذا العنوان : « موسوعة فضائل بيت المقدس » ، ولعل هذا من أقل حقوق هذه المدينة علينا .

* * *

المصـــادر[1] :

- إتحـاف الأخِصّا بفضـائل المسجد الأقصى لمحمد بن أحمـد السيوطي المنهاجي (ت : ٨٨٠ هـ) ، تح : د. أحمد رمضان أحمد ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) .
- الإسناد من الدين وصفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .
- الأعلام للزركلي (ت : ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، ط ١١ (١٩٩٩م) .
- باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس لابن الفِركاح (ت : ٧٢٩هـ) ، تح : أحمد عبد الباسط حامد ، وأحمد عبد الستار عبد الحليم ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) .
- البداية والنهاية لابن كثير (ت : ٧٧٤هـ) ، دار أبي حيان ، القاهرة ، ط ١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) .
- تاريخ ابن الفرات (ت : ٨٠٧هـ) ، تح : د. حسن محمد الشماع (د. ت. م).
- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (ت : ١٣٧٥م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٥م) .
- تاريخ بيت المقدس وذكر بنائه وفضل الصلاة فيه من جمع الشيخ الإمام العالم الفاضل أبو [كذا] الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ... مخطوط في المكتبة الوطنية بتونس ، ضمن مجموع برقم (٧٥٣٨) . وعنه نسخة مصورة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ، على الفيلم رقم (٣٧٦) .
- تاريخ بيت المقدس لابن الجوزي [كذا] ، تح : د. محمد زينهم عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) .
- الروض المغرّس في فضائل بيت المقدس لأبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن عمر الحسيني الشافعي (ت : ٨٧٥هـ) ، مخطوط في مكتبة عارف حكمت ، ضمن مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة برقم (٣٨٦٠) ورقم تصنيفه ٩٠٠/١١٤ .
- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ت : ٨٥١هـ) ، تح : د. الحافظ عبد العليم خان ، مصوّرة عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ت : ٧٧١هـ) ، تح : عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
- عقود الجوهر في تراجم مَنْ لهم خمسون تصنيفًا فمئة فأكثر لجميل العظم (ت : ١٣٥٢هـ) المطبعة الأهلية ، بيروت ، (١٣٢٦هـ).

(١) لم أذكر مراجع ترجمة ابن الجوزي لطولها ، وقد رجعت إليها ولم أنقل منها شيئًا عدا كتابين .

- فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة للدكتور محمود إبراهيم ، معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ط ١ (١٩٨٥م).
- فضائل البيت المقدس لأبي بكر الواسطي « بحث » للأستاذ عصام الشنطي ، منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٦ ، ج ١ و ٢ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .
- فضائل القدس لأبي الفرج ابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ، تح : د. جبرائيل سليمان جبور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .
- الفهرس العام للمخطوطات ، تونس (١٩٩٩م) .
- فهرس المخطوطات المصوّرة (التاريخ) ، للأستاذ عصام الشنطي ، معهد المخطوطات العربية ، ط ١ (١٤١٢هـ - ٢٠٠١م).
- مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي. (د. ت. م) .
- مخطوطات فضائل بيت المقدس : دراسة وببليوجرافيا ، للدكتور كامل جميل العسلي ، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، ط ٢ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .
- مخطوطات فضائل المسجد الأقصى وبيت المقدس وتاريخ فلسطين ومدنها في مكتبات العالم ، شهاب الله جنغ بهادر المدني ، (مخطوط).
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (ت : ٦٥٤هـ) ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) .
- مؤلفات ابن الجوزي لعبد الحميد العلوجي ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، الكويت ، ط ١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .
- الوافي بالوفيات للصفدي (ت : ٧٦٤هـ) ، تح : مجموعة من المحققين ، منشورات فرانز شتاينر شتوتكارت .

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ **د. محمد عدنان البخيت** :

أشكر د. محمود مصري على هذا التقصّي والتحليل الدقيق ، ومعالجة هذا الموضوع عن مخطوطات القدس الشريف . وسؤالي للدكتور محمود : أين وكيف حصلتَ على هذه المخطوطات ؟ هل اطّلعت عليها في شكلها الأصلي أم في شكل مصوّرات فيلميّة ، أم على أقراص مُدْمَجة ؟

وبعد إجابة د. محمود مصري نفتح باب التعقيبات والمداخلات .

■ **د. محمود مصري** :

اعتمدت على بيانات المخطوطات الموجودة في الفهارس ، ولا سيما الفهرس الشامل لمخطوطات الحديث النبوي الشريف في مكتبات العالَم ، الذي أصدرته « مؤسسة آل البيت » بعَمَّان ، والفهارس الخاصة بمكتبة المسجد الأقصى ، وفهرس المكتبة الخالديَّة .

■ **أحد الحاضرين** :

ذكر د. محمود مصري أن عدد المخطوطات تضاءل من خمسين ألفًا إلى ثمانية آلاف ، وأرجع ذلك إلى التدمير ، فهل التدمير وحده هو الذي كان السبب في فقدان تلك المخطوطات ؟

هناك دراسات أُديرت حول الحياة الثقافيَّة عند الصَّليبيين ، أو العلاقات الثقافيَّة بيننا وبين الصليبيين إبَّان الحملات التي شنُّوها على الشرق العربي

الإسلامي ، وأثبتت هذه الدراسات أن الصليبيين كانوا يدركون أهمية هذه الكتب ، وأنها ثروة ، فغالَوا في أسعارها ، ليس للمادة العلميَّة التي فيها (المحتوى) ، ولكن للمادة التي كتبت عليها أيضًا (الورق أو الكاغد أو الرق) ، ومن ثم وجدنا لدى كبار علمائهم كولْيم الصُّوري (وليم الطرابلسي) - مجموعات من الكتب العربيَّة بخطوط عربيَّة ، وعلى ذلك فقد استفاد الصليبيون من هذه الكتب العربيَّة المنسوخة بخطوط عربيَّة ، في كتاباتهم عن الشرق الأدنى بوجه عام ، وهذا يدلّنا أن بعضهم - وليس كلهم - قد أدرك قيمة هذه الكتب فاستولى عليها .

والدليل الثاني يقدّمه أسامة بن مُنْقِذ ، الذي كان معاصرًا للحروب الصَّليبيَّة. كان أسامة في مصر ورجع عائدًا إلى عكّا لينزل منها إلى المنطقة الإسلاميَّة ، وفي الطريق صادروا كُتبه ، ثم وجَد كُتبه - بعد ذلك - عند أحد أمراء طرابلس ، وقد ذكر ابن مُنْقِذ هذا القصة في كتابه « الاعتبار » . وهذا يدلُّنا على أن الصليبيين كانوا يأخذون الكتب بهدف غير التدمير .

■ **د. محمود مصري** :

السطو والتدمير حقيقة تاريخية ، إضافة إلى العوامل الأخرى التي أدت إلى فقدان عدد كبير من المخطوطات . ومن هذه العوامل سوء وسائل الحفظ ، والإهمال ، وعدم الوعي بأهمية هذا التراث .

■ **د. محمد عدنان البخيت** :

كان بودّنا جميعًا حضور د. نوفان رجا السوارية ، لأنه على صلة وثيقة ويوميَّة بكل ما يَتعلّق بالقدس ، وكان قد جمع مادة ضخمة وكبيرة عن القدس ،

وقام بتصوير أعداد من المجاميع والمخطوطات ، سواء من فلسطين أو من خارجها ، ولكن العارض الصحّي الذي ألمّ به منعه ، ونتمنى له الشفاء العاجل .

وهناك عدد من الإخوان منهم د. خضر سلامة قد عمل - وكان على صلة وثيقة - بمكتبة الشيخ الخليلي ، وأيضًا هناك جيلٌ تربّى على يد الشيخ الخليلي ، سواء في القدس أو الرَّملة أو نابلس ، أو حتى في مصر . والشيخ كان مدرسة ، وهذا التراث قد جُمع ودوّن ، ونجده يتجدد أيضًا من خلال رحلة الشيخ الزَّبيدي.

■ إحدى السيدات :

هناك بعض الكتب التي تتضمّن معلومات فيها الكثير من الإسرائيليات ، منها أن النبي داود ﷺ هو الذي بنى بيت المقدس ، فهل نحقق هذه الكتب الملأى بالإسرائيليات ، أم نتجنّب تحقيقها ؟ وإذا قمنا بتحقيقها فهل نستبعد هذه النصوص من هذه المتون ، أم نشير في الحواشي إلى عدم صحة ذلك ؟

■ أ. عصام الشنطي :

هل نحقق كتب الفضائل المليئة بالإسرائيليات أم لا ؟ وهل نحذف تلك الإسرائيليات من النص أم نعلق على ذلك في الحواشي ونترك النص كما هو ؟

أقول : لي تجربة في هذا : كتابٌ من أوائل الكتب ، بل أول الكتب التي وصلت إلينا في فضائل بيت المقدس ، لأبي بكر الواسطي ، الذي قرأ كتابه على تلاميذه بالمسجد الأقصى سنة ٤١٠هـ ، فعرفنا أنه كان حيًّا في تلك السنة ، لأننا لم نجد له ترجمة في كتب التراجم والتاريخ .

هذا الكتاب مملوء بالإسرائيليات ، وقد اهتم به يهودي إسرائيلي يعمل أستاذًا بالجامعة العِبْريَّة ، وأخذ نسخته الوحيدة التي كانت في مكتبة أحمد باشا الجزّار ووضعها بمكتبة الجامعة العبرية قَسْرًا ، ومكّن منها تلميذه حسّون ليحققها

ويدرسها ، وأنا كنت أحقّق هذا الكتاب بتكليف من إسحاق موسى الحسيني ، الذي أمدّني بنسختين : واحدة من الأصل ، وواحدة من دار الكتب المصرية ، وقلت له : إنها مملوءة بالإسرائيليات وكذا ، فقال : لا بأس ؛ شريطةَ أن نقدم بدراسة لهذا الكتاب ، ثم فوجئت بأن حسُّون قد طبع الكتاب وحصلتُ على صورة منه من صديقي المرحوم كامل العسلي ، فاكتفيت بدراسة دراسته ، وعرفت سرّ اهتمام الإسرائيليين بمثل هذه المخطوطات ، فإنهم لا يسيطرون على المخطوطات جزافًا ، وإنما كانوا يتخذون ما يخدمهم ؛ لأن المخطوطة ملأى بالإسرائيليات وبالقصص الشعبي ، وبالأحاديث الموضوعة عن قدسيَّة القدس ؛ لأنه لم يصحّ عن القدس إلا حديث « لا تُشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، ومسجد الأقصى » . أما الأحاديث الأخرى المرويَّة في فضائل المدينة فكان الوعّاظ يتساهلون في روايتها ، طالما أنها لا تمسُّ العقيدة ، ثم انتشر أيضًا القصص الشعبي .

وإجابة على السيدة الفاضلة ، فلسنا أقلّ مسامحةً من المؤلفين ، ولسنا أقرب للإسلام من أبي بكر الواسطي (ق٥هـ) أو غيره ، فعلينا أن نحقق هذه الكتب دون العبث بها ، ثم نقدم بدراسات موثّقة تكشف هذه الدسائس .

■ **د. محمد عدنان البخيت** :

الأمر بحاجة إلى مناقشة ، لكن يجب ألاّ نخشى من دخول الإسرائيليات إلى أدبيّاتنا ، بل يجب أن ننشر أولاً ، ثم ننخُل بعد ذلك ، فهذه الإسرائيليات نوع من الموروث الشعبي .

■ **د. شمس الدين الكيلاني** :

الإسلام ينطلق بالأساس من وجهة نظر هي تجديد تتويج ديانات الوحي ،

وخاصة ديانات الأسرة الإبراهيميَّة ، ومن هنا تأتي الرواية الإسلاميَّة لتضم كل المقدسات وتحتضن كل المرويّات التي تتعلّق بهذه الديانات ، وهذه المرويّات الإسرائيليات التي وردت في أحد كتب فضائل بيت المقدس موجودة ، ولا يخلو كتاب تاريخ عربي منها ، من الطبري ، مرورًا بالمسعودي ، إلى أبي الفداء ، ووجود مثل هذه الروايات الإسرائيليات يدل على أن الإسلام منفتحٌ على أديان أهل الكتاب .

واليهود ينكرون المسيحيَّة والإسلام ، والمسيحيون يعترفون باليهودية وينكرون الإسلام ، وهذه مسألة مرئيَّةٌ ومعروفة ، أما الإسلام فيحتضن اليهوديَّة والمسيحيَّة ، والنظرة الأولى أن الممارَس من هاتين الديانتين إنما هو انحراف ، الإسلام لا ينفيهما نفيًا مطلقًا . ولذلك عندما مارست الدولة الإسلاميَّة علاقتها بالقدس مارستها بنظرة انفتاحيَّة على الأديان الأخرى ، ومن هنا أتت وثيقة عمر ابن الخطاب ﷺ وكتاب صلاح الدين .

* * *

الجِلسة الخامسة :

صورة القدس في الرِّحلات والسِّجلَّات

قراءة في مخطوط « موانح الأنس برحلتي إلى وادي القدس »

لمصطفى أسعد اللُّقَيْمي الدمياطي (ت١١٧١هـ/١٧٥٠م)

د. محمد الحزماوي(*)

أ. عصام الشَّنْطي (رئيس الجلسة) :

كيف كانت القدس في القرنين العاشر والحادي عشر الهجري ، مدينة ورجالاً ؟ ذلك هو ما سيحدثنا عنه الباحثان في هذه الجلسة العلمية (الخامسة) .

المتحدّث الأول هو د. محمد الحزماوي أستاذ بقسم التاريخ بجامعة القدس ونائب عميد كلية الآداب بالجامعة نفسها ، وسوف يحدّثنا عن رحلة قام بها مصطفى أسعد اللُّقَيمي الدمياطي (ت ١١٧١هـ / ١٧٥٠م) ، هذه الرحلة أسماها صاحبها « موانح الأنس برحلتي إلى وادي القدس » .

والمتحدّث الثاني هو د. محمد هاشم غوشة عميد مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية . وبجانب وظيفة د. غوشة وأعماله في التراث ، فهو باحث متخصص في تاريخ القدس ، وصدر له خمسة عشر مؤلفًا عن القدس ، مركّزة على التاريخ والجانب المعماري الأثري في هذه المدينة المقدسة ، وسيحدثنا عن « أعيان القدس في القرن العاشر الهجري » ، والمقصود بالأعيان المشاهير في كل ميدان .

* * *

للتراث المخطوط أهميَّة بالغة في الحياة العلميَّة ، وقد ظل هذا التراث سندًا للحضارة الإسلاميَّة يكشف عن مكنوناتها العلمية الرائعة .

وقد اتجهت هِمَمُ كثير من الباحثين إلى إحياء هذا التراث وتعريف الأجيال اللاَّحقة بما سطرته الأجيال السابقة ، ليتم التواصل في مسيرة العطاء الإنساني .

موضوع بحثي هو قراءة في مخطوط « مَوانح الأُنس برحلتي لوادي القدس » ، للشيخ المتصوِّف مصطفى أسعد اللُّقَيْمي الدمياطي (ت ١١٧١هـ/١٧٥٠م) .

(*) أستاذ بقسم التاريخ بجامعة القدس ، نائب عميد كلية الآداب بالجامعة نفسها .

ولستُ مبالغًا إذا قلت : إن هذا المخطوط يعدُّ من أروع المخطوطات التاريخيَّة التي تناولت تاريخ بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ، فهو ليس مَسْردًا تاريخيًّا عن دُرّة المدائن ، مدينة السلام فحسب ، بل هو وصف حيّ لمشاهدات حيَّة رآها اللُّقَيْمي بعينه ، ووصفها بفكره وبيانه ، وسطَّرها بقلمه .

ولا شك - أيضًا - أن مدينة القدس كانت مقصدًا رئيسًا للرحّالة العرب والمسلمين طوال عصور التاريخ التي تلتِ الفتح الإسلامي للمدينة .

وغنيّ عن البيان - أيضًا - أن السبب الرئيس الذي حدا بالمسلمين وغير المسلمين إلى زيارة المدينة المقدسة هو مكانتها الدينيَّة الفريدة ، كما أنها كانت في بعض الحقب التاريخيَّة مركزًا علميًّا ذا شأن ، يؤمُّه العلماء المسلمون من جميع أنحاء العالم .

وتتبوّأ القدس - أيضًا - مكانة مهمة في العقيدة الإسلاميَّة ؛ فهي مدينة الأنبياء ، والقِبْلة الأولى للمسلمين ، وأرض الإسراء والمعراج ، وأرض المحشَر والمنْشَر .

واستنادًا إلى هذه المرتكزات انبثق أدب إسلامي عزيز يدعو إلى زيارتها والتبرُّك بمقدساتها ، وانبثق أدب « فضائل بيت المقدس » ، الذي وُضع فيه عدد كبير من الكتب التي حثت على القدوم إلى بيت المقدس والتبرُّك بما فيه من المَشاهد الدينيَّة ومواقع الأنبياء والصالحين والرجال العظام وأصحاب المآثر الدينيَّة .

وهكذا فقد غدت المدينة - كما أسلفنا - هدفًا رئيسًا للرِّحْلات ومقصدًا لعدد من الرَّحالة المتصوّفين ، نذكر منهم : عبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ) ، الذي زار المدينة مرّتين ، ودوّن الرحلة الأولى بعنوان « الحضرة الأُنسية في الرحلة المقدسيَّة » ، وهي منشورة محقّقة . أما الرحلة الثانية فقد ألف فيها كتابًا

عنونه بـ « الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز » ، وهي قيد التحقيق في الجامعة الإسلاميَّة بغزة .

وزارها - أيضًا - مصطفى البكري الصِّدِّيقي عام ١٧١٠م ، ووضع مؤلَّفًا بعنوان « الخَمْرة المحْسِيَة في الرحلة القدسيَّة » ، وقد حققه أحد الباحثين بجامعة النجاح الوطنية بفلسطين ، ونال عنه درجة الماجستير بقسم التاريخ .

وزارها الصِّدِّيقي مرة ثانية عام ١٧١٤م ، ودَوّن مشاهداته في كتاب عَنْونه بـ « الخَطْرة الثانية الأُنسيَّة للروضة الثانية القدسيَّة » .

وأما ثالث الرَّحَّالة المتصوفين ، فقد كان الشيخ مصطفى أسعد اللُّقَيْمي (ت١١٧١هـ/١٧٥٠م) .

ونسبة اللُّقَيْمي إلى قرية « لُقَيْم » في الطائف ، وقد وُلد بدمياط عام (١١١٤هـ/١٦٩٣م) ، وأجازه مصطفى البكري الصِّدِّيقي ، فهو من شيوخه .

ترك لنا اللُّقَيْمي - إضافة إلى هذا المؤلَّف - مجموعة من المؤلَّفات والآثار الدينية ، من أهمها : « لطائف أُنس الجليل في تحائف القدس والخليل » ، حققه قبل سنتين باحث في جامعة النجاح الوطنية بفلسطين، ونال عنه درجة الماجستير.

وهذا الكتاب في واقع الأمر هو تلخيص لكتابين هما : « إتحاف الأخِصّا في فضائل المسجد الأقصى » للسيوطي المِنْهاجي (ت ٨٨٠ هـ) ، وكتاب « الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلي (ت ٨٦٠ هـ) .

استغرقت رحلة اللُّقَيْمي ستة أشهر ؛ فقد بدأها في الثامن من ذي القعدة عام ١١٤٣هـ / ١٦ مايو (أيار) عام ١٧٣١م ، وانتهى منها في ١٠ جمادى الأولى عام ١١٤٤هـ / ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٧٣١م .

ويتألف المخطوط من ١٣٣ ورقة ، خصص منها ٧٧ ورقة لفلسطين بشكل

عام ، و ٣٣ ورقة لمدينة القدس . ومن أبرز المدن الفلسطينية التي زارها إلى جانب مدينة القدس : الخليل والرملة ويافا ونابلس .

قدّمت لنا رحلة اللُّقَيْمي موضوعات قيّمة وغنيّة عن العديد من المواقع الدينيَّة بمدينة القدس وغيرها من المناطق التي زارها ، مما يجعل من هذه الرحلة دليلاً للزيارات ووصفًا للمشاهد ؛ فقد زوّدتنا بمعلومات عن المدينة وتاريخها وتراثها ، ولاسيما المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، إضافة إلى المشاهد الأخرى والآثار . كما عرفتنا على طبوغرافيَّة المدينة وحاراتها وشوارعها وأبوابها ومرافقها العامّة من خانات وخوانق ورُبَط وزوايا وتكايا وحمامات ومنشآت مائية .

ولدى دخول اللُّقَيْمي المدينة وصف منظرها من الخارج بقوله : « وللمدينة سورٌ محكَم البنيان بديع الشكل في الصناعة والإتقان ، وله ستة أبواب منيعة غريبة الوصف بديعة ، وهي : باب الأسباط ، وباب الساهرة ، وباب العامود ، وباب الخليل ، وباب داود ، وباب المغاربة .

وقد عبّر عن ذلك شعرًا بقوله :

للقدس سورٌ سما بالحسن رَوْنقه ... أبوابُه ستةٌ فيها مقارَبةُ
أسباط ساهرة عامود ثالثها ... باب الخليل وداودٌ مغاربةُ

ووصف المدينة أيضًا بأنها مدينة عظيمة محكمة البناء ، وبعض هذا البناء مرتفع ، وبعضه الآخر منخفض . ثم بعد ذلك أخذ يسرد تاريخها وتطورها عبر مختلف العصور .

ولدى دخوله إلى المسجد الأقصى ذكر : « وللمسجد الأقصى أحد عشر بابًا وأربع منائر ، وبه سبعة وأربعون صهريجًا للماء ، وبركة كبيرة بوسطها كأس من المرمر تجاه باب الأقصى ، وبالمسجد عدة أشجار من الزيتون وغيره . ومظهر هذا المسجد مظهر جمال ، كما أن الحرم المكي والمدني مظهر جمال وكمال » .

أما المنائر التي أشار إليها ، فالأولى من جهة القبلة على المدرسة الفخريَّة ، والثانية على باب السلسلة على الجانب الغربي ، والثالثة من جهة الشمال وتسمى « مئذنة الغوانمة » ، والرابعة على الجهة الشمالية من المسجد بين باب الأسباط وباب حِطّة ، وكانت - على حد تعبيره - أظرفها شكلاً .

أسهب اللُّقَيْمي في وصف المسجد الأقصى وقبّة الصخرة ، فقد عدّد أبوابه ، وذكر حدود مساحته ، معتمدًا على مجير الدين الحنبلي ، وذكر ما يتضمنه أيضًا من قِبابٍ ، كالسلسلة والمعراج ... كما ذكر المحاريب في المسجد ، وهي محراب داود ومحراب عمر وزكريا ومحراب سوق المعرفة .

وعدّد المدارس الكائنة داخل أرْوِقة الحرم القدسي الشريف أو المطلّة عليه ، وذكر أن معظمها من بناء المماليك ، والقليل منها بُني في العصر العثماني .

كما أورد أسماء عدد من الزوايا والتّكايا داخل المدينة وخارجها ، منها الزاوية الجراحية والمهمازية والبسطامية واللؤلؤية والأدهميَّة ، والكرميَّة .

وأشار - أيضًا - إلى ثلاث أسواق فقط ، هي : سوق القطانين المجاور لباب المسجد من الجهة الغربيَّة ، قال عنه : إنه سوق في غاية الارتفاع لم يوجد مثله في كثير من البلدان . والسوق الثاني سوق العطارين ، والثالث سوق لبيع القماش لم يذكر اسمه . وذكر أن المسافرين ذكروا أنهم لم يروا مثل هذه الأسواق الثلاثة في الترتيب والبناء ، وذلك من محاسن بيت المقدس .

وعلى الرغم من عدم اهتمامه بالنواحي السياسيَّة فإنه رصد بعض الظواهر السياسيَّة في رحلته ، منها اضطراب حَبْل الأمن في بعض المناطق ، وانتشار اللُّصوص .

ومن الناحية الاجتماعية زودتنا رحلة اللُّقَيْمي بمعلومات مهمّة عن بعض العادات والتقاليد ، إضافة إلى التعرُّف على أسماء بعض الأعيان في المدينة

ورجال الطرق الصوفية والعلماء ، فقد ذكر ستة علماء من بيت المقدس ممن أخذ عنهم في أثناء إقامته بالمدينة ، وهم : مصطفى البكري الصِّدِّيقي ، ومحمد الخليلي إمام الشافعية ، وعبد المعطي الخليلي ، وأبو العلمي مفتي الحنفية ، وأحمد الموقت مفتي الحنفيّة في المسجد الأقصى ، وعلي الداغستاني .

وكان من بين الجوانب الاجتماعيَّة الأخرى التي ذكرها اللُّقَيْمي بعض الأخلاق الطيبة التي امتاز بها سكان المناطق التي زارها ، ومن أهمها الترحيب بالغرباء وإكرامهم .

وتعرّفنا رحلة اللُّقَيْمي - أيضًا - على العقلية السَّاذجة في ما يتعلّق ببعض الأعمال الخارقة التي تُروَى عن بعض الأولياء والصالحين ، ومن ذلك أن الصخرة معلّقة في الهواء ، ولا تزال كذلك منذ أن حاولت اللحاق بالنبي ﷺ عندما عرج إلى السماء .

وكذلك حكاية البلاطة السوداء القريبة من باب الجنة أحد أبواب قبّة الصخرة ، ففي هذه البلاطة مسامير فضّة ، يتناقص عدد هذه المسامير عامًا بعد عام ، فإذا اختفت كلها قامت الساعة ، وهذا كان اعتقاد عامة الناس في ذلك الوقت .

وأيضًا قصّة أحد الصالحين الذي كان يُعرف بأبي ثور ، وكان يقيم قُرب باب الخليل ، وسميت هذه القرية في ما بعد بـ « قرية الثوري » ، ومما يحكى أن الشيخ أبا ثور كان إذا قصد ابتياع شيء من المأكول ، كان يكتب ورقة بما يريد ويعلقها برقبة الثور ، ويحضر الثور إلى بيت المقدس إلى أن يأتي حانوت رجل كان يتعاطى حوائج الشيخ ، فيقف الثور عنده فيأخذ ذلك الرجل الورقة ويُحضِر مطلوب الشيخ ، ويحمله الثور مرة أخرى . وهذا من جملة كرامات الشيخ كما يذكر اللُّقَيْمي .

ومن القصص التي تُروَى قصّة خيالات الملائكة التي تظهر في مقام النبي موسى ﷺ ، يذكر اللُّقَيْمي - ومن قبله مصطفى البكري الصِّدِّيقي - أن هناك خيالات ملائكة تظهر بمنطقة مقام النبي موسى ﷺ ، وهي تظهر عندما يُرتكب فساد في المنطقة ، وتثور الرياح لتقتلع الخيام وتقلب أوانيَ الطعام .

المحور الأخير في كلامي عن هذه الرحلة ، خاص بأسلوب اللُّقَيْمي ؛ فقد تميّز أسلوبه بالسجع المنمّق في بعض الأحيان ، وبأسلوب نثري عادي في أحيان أخرى ، مُضمّنًا رحلته كثيرًا من المقاطع الشعرية له ولغيره من الشعراء ، وكانت قصائده ترجمة للأماكن التي زارها أو الشخصيات التي التقى بها ، وامتاز أسلوبه أحيانًا بترجمة حياة بعض الأولياء والصالحين ممّن كان يزور قبورهم وأضرحتهم .

ويلاحظ أنه عندما كان يريد ذكر قصّة خارجة عن نطاق الرحلة ، كان يذكر لفظة : تذييل ، أو استطراد ، أو تكميل ، أو تنصيص ، أو تلخيص ، أو فائدة ، معتمدًا في ذلك على الآيات والأحاديث وكتب التفاسير والتراجم .

* * *

أعيان القدس في القرن العاشر الهجري

د. محمد هاشم غوشة(*)

يكشف هذا البحث عن وجود سجلّ تركات شرعي يرقى إلى القرن العاشر الهجري ، وهو غير مصوّر وغير معروف لدى عوامِّ الباحثين ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٩٤٠هـ ويرصد حتى سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٤ - ١٥٣٩م .

تحتفظ مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلاميَّة بأصل هذا السجل الذي يبدو أنه نُقل سابقًا من المحكمة الشرعيَّة إلى أحد الأقبية الكائنة بالمسجد الأقصى المبارك قبل تأسيس المؤسسة ، وقبل تصوير السجلات الشرعيَّة على لفائف الميكروفيلم ، والتي كان للدكتور محمد عدنان البخيت الفضل في تصويرها .

اكتُشف وجود هذا السجل في أثناء أعمال الفهرسة اليدويَّة لقسم الوثائق العثمانية في مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ، وبعد أن شرعت المؤسسة بمرحلة التصوير الرقمي والفهرسة الإلكترونية ، قمنا بتصوير السجل ، تمهيدًا لدراسته وتحقيقه ؛ وذلك لما يحتويه من إضافات غير مسبوقة ، فالسجل غير مصوّر وغير معروف ، ولم يتناوله أحد من الباحثين قبل ذلك . وهناك إشارة إلى أن د. خضر سلامة كان قد علّق على وجود هذا السجل في مقال له في كتاب تضمّن مجموعة مقالات ، وتبيَّن أن هذا السجل يؤرّخ لوفَيات القدس في المدة من ٩٤٠ - ٩٤٥هـ . وهذا يعني أنه يصلح أن يكون كتابًا في التراجم لأعيان القدس في النصف الأول من القرن العاشر الهجري .

(*) عميد مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ، باحث متخصص في تاريخ القدس .

ويزيد من أهمية هذا السجل أن حجج التَّركات وحصْر الإرث لم تزخَر بها سجلات القرن العاشر لمدينة القدس ، بالقدر نفسه الذي زخرت به سجلات القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ، الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين .

يقع السجل في ١٢١ صفحة مقاس ١٢ × ٣٥ سم ، وهو موشّح بإمضاء عدد من قضاة القدس ، منهم القاضي السَّعدي المالكي ، والقاضي عبد الرحمن ابن القُدْوة إبراهيم الحنفي ، والقاضي محمد الحنبلي ، والقاضي شمس الدين الجوهري الحنفي ، وغيرهم ، وتجدر الإشارة إلى أن المذهب الفقهي الذي كان سائدًا في الدولة العثمانية هو المذهب الحنفي .

قدَّم سجل تركات القدس معلومات مهمة عن ديمغرافية هذه المدينة المقدسة على نحو لم تذكره سجلات المحاكم الشرعية للسنوات نفسها ، فهو يتخصص في توثيق أسماء الوفيات وحَصْر أملاكهم وتقييم مُقْتنياتهم ، وذكر أسماء مَنْ تُوفُّوا في القدس ، دون تمييز بين فئات المجتمع . وفي هذا إضافة ؛ لأن كتب التاريخ عادةً إذا تناولت وفَيَات فهي تتحدث عن وفيات المشاهير والأعيان ، وإذا قدَّمت كتب التراجم ترجمات لسكان مدينة أو بلد فهي تتحدث عن أعيانها وقُضاتها وعلمائها . أما هذا السجل فهو يتناول الأعيان والعوام من الناس ، والرجال والنساء ، المسلمين والنصارى واليهود . ففي السجل - كما قلت - تركات لرجال ونساء من مختلف الدِّيانات ، ومن مختلف الوظائف والمِهَن ؛ فمنها - على سبيل المثال - تركة القاضي عز الدين الجوهري ، التي لم يرد ذكرها في السجلات التي رُقمنت وجرى تصويرها . وتركة القاضي شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن الحنفي ، الذي كان قد أنشأ خلوة في المسجد الأقصى في الناحية الغربيَّة منه ، ووقفها فيه .

وهذا السجل يعطينا تأريخًا دقيقًا للمرحلة التي يمكن أن تعود إليها هذه الخلوة ، ولا سيما أنه لا يوجد عليها نقشٌ ولم يُعثر لها على كتاب وقف . وأيضًا تركة الحاج عمر أحد بَوَّابي المسجد الأقصى ، وأيضًا رئيس رُهْبان دير الأرمن ، وفي هذا إشارة إلى أن دير الأرمن كان حتى سنة ٩٤٠هـ ، أي في الفترة التي سبقت الانتهاء من سور القدس ، أي إنه كان خارج القدس ، وسوف آتي على هذه النقطة ، إضافة إلى تركة الشيخ شمس الدين الهندي شيخ الزاوية الهندية بالقدس .

إضافة إلى ذكر رجال ونساء من العوام والنُّخبة على حدٍّ سواء . ويبلغ عدد الوفيات خلال السنوات الستة ٤٠٣ حالة وفاة .

ويكشف السجل عن أدقّ التفاصيل الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة لأصحاب التركات ؛ ففيه معلومات عن ممتلكات المتوفَّى وما وُجد في خزائنه ، وديونه ، وأسماء زوجاته وأبنائه وبناته ، ووالدَيْه ... وكذلك تقدير أثمان مُقْتنياته ، تمهيدًا لبيعها أو تقسيمها على الورثة . وهـذه المعلومات لا تَرِد في أيٍّ من كتب التراجم التاريخيَّة التي نعرفها .

كما يعكس السجلُ كذلك الحياة الاجتماعيَّة والاقتصادية في القدس في القرن العاشر الهجري ، عندما يذكر تكاليف الدفن والتكفين و ثمان المقتنيات الأخرى المختلفة .

شرع كاتب السجل أو الذي قام بتدوين السجل في توثيق مَنْ تُوفِّي في القدس على نحو لا يتماشى مع سياق السجل ، فمثلاً بدأ بتوثيق مَنْ تُوفِّي بالقدس على عُجالة ، فقال : تُوفِّي الرجل فلان وتوفِّيت المرأة فلانة ، ولم يذكر التركات ، وكان ذلك يأتي على جانبي صفحات السجل ، وهذا يعطي ضخامة للكمّ الذي تُرجم لهم من الوفيات .

وبهذا مكّننا هذا السجل المهم من دراسة سكان القدس على وفق هذه العيّنة التي تمّ تسجيلها من الوفيات في هذه السنوات ، وذلك لمقابلتها بالإحصاء السُّكاني الذي أجرته السُّلْطة العثمانية في النّصْف الأوّل من القرن العاشر الهجري لسكان حارات المدينة المقدسة ، وتم توثيق ذلك في سجلات المحاكم الشرعيَّة .

إذن هنا يوجد إحصاء لعيّنة زمنيَّة من النصف الأول من القرن العاشر الهجري لسكان المدينة الذين تُوفوا ودُفنوا في القدس ، مقارنة بعيّنة الإحْصاء السُّكّاني الذي أجرته السُّلطة العثمانية لسكان الحارات ، وليس لسكان المدينة بشكل عام .

إن معلومات السجل تزوّدنا بتراجم افتراضيَّة لسكان القدس ممّن توقّفت كتب التراجم عن تأريخ حياتهم ؛ فهو بوضعه الحالي أشبه ما يكون بكتاب تراجم لوفيات النصف الأول من القرن العاشر الهجري ، إلا أنه يتميز - كما قلت - بتراجم النساء المقدسيّات ، وكذلك العوامّ من السُّكان كأصحاب الحِرف والمِهن ، والمجاورين بالمسجد الأقصى ، إضافة إلى النُّخبة من العلماء . ويزوّدنا السجل أيضًا بمعلومات عن السكان من غير المسلمين ؛ وفي السجل ذكْرٌ لعشرين حالة وفاة لنصارى من القدس ، وأربع حالات وفاة ليهود منها ، وبعض المعلومات التي تؤكّد وجود بعض المنشآت العامّة التي كانت خارج سور القدس، الذي تهدَّم سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م ، وقد امتدّ البنيان في المدينة في ما بعد على محيط السُّور المتهدّم بعد أن زاد عدد السكان . ومن ذلك نذكر دير الأرْمَن ، وهذه وثيقة تكشف حقيقةَ أن دير الأرمن كان يقع ظاهر (خارج) مدينة القدس ، أي خارج سورها . وكلمة « ظاهر » بمعنى « خارج » استعملها مجير الدين الحنبلي في كتابه « الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل » ، كما استعملها عددٌ من مؤرّخي حقبة أواخر العصر المملوكي .

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ **أ. عصام الشنطي** :

شكرًا للأستاذَيْن المحاضرَيْن : د. محمد الحزماوي على محاضرته القيّمة المركّزة التي ابتدأها باستعراض الرحلات التي قصدت بيت المقدس ، إلى أن وصل إلى الرحلة المقصودة بوضوح وحُسن عرض . و د. محمد هاشم غوشة على محاضرته التي كشف لنا فيها عن سجل مغمور ، وبيّن ما فيه من الفوائد الزاخرة من كل صِنْف ، وقد أمكننا أن نفهم منه أنه وسَّع معنى كلمة « عين » ومدلولها ، حتى ذكر أسماء العوام من المسلمين والمسيحيين . كما كشف لنا هذا السجل عن تفرُّد المؤلف فيه بذكره تركات غير مذكورة في سجلات أخرى فُهْرِست ونُشرت ، وكذلك ما فيه من إحصاءات مفيدة .

وقبل أن نفتح باب التعليقات والمداخلات أودُّ أن أذكر شيئًا في ما يخص القصص الشعبي ، كقصَّة البلاطة وغيرها ، أقول : هذا موجود في كتب الفضائل ، وقد دخلت إليها قديمًا إما من الإسرائيليات ، وإما من القصص الشعبي . وقد تضايق ابن تيمية من هذا فجاء زائرًا لبيت المقدس ، وصرخ بأعلى صوته أنْ لا حجَّ إلاّ إلى بيت الله ؛ لأنه أحس أن هناك تجاوزًا بين العوامّ في تقديس مدينة بيت المقدس .

على كل حال هذه الخرافات لا ينبغي أن نحذفها حين نحقّق مثل هذه النصوص ، لكن ينبغي أن يكون التحقيق أمينًا ومنهجيًّا ، ونترك هذا لمزيد من الدراسة لبيان هذه الظاهرة كيف دخلت ولِمَ دخلت ؟

والآن نفتح باب التعليقات والمداخلات .

■ **د. محمد عبد الرحمن الرُّبيِّع** :

الشكر للمحاضرَيْن الكريمَيْن على ما قدّماه ، وأبدأ بالدكتور محمد الحزماوي : عندما أتحدث عن كتب الرحلات ، فالرحلات من السجلات العلميّة التي يمكن أن يُستنتج منها أشياء كثيرة جدًّا ، وهناك رحلات مقدسيَّة ، لكن أكثر الرحلات الحجازيَّة نجد في ما تتضمنه أشياء كثيرة ومعلومات عن بيت المقدس ، لأن الرّحّالة الذين كانوا يأتون من المغرب كانوا يزورون المسجد الأقصى من باب الواجب الشرعي ، فالرحلات إلى الحجاز فيها معلومات عن بيت المقدس ، وقد كان الرّحّالة يُطيلون المُكْث في رحلاتهم ، والآن يكاد فنُّ الرحلة يختفي مع سرعة الذّهاب والعودة واستخدام الطائرة ، وكان د. عبد الهادي التّازي قد أعدّ رحلة نُشرت له في دارة الملك عبد العزيز تُسَمَّى « التحليق إلى البلد العتيق » ، يعني التحليق بالطائرة ، فالأمر الآن اختلف عنه قديمًا في هذا الفن ، ولاسيّما في المدة الزمنيَّة التي يمكثها الرّحّالة في البلد التي كان يرحل إليها .

وبالنسبة لموضوعات السجلات ، فالسجل الذي تحدث عنه د. غوشة يكشف لنا ليس عن قضيَّة تتعلّق بتسجيل القدس فحسب ، لكنه يعطينا معلومات ووصفًا لأشياء كثيرة . فالسجل بشكل عام يعد مصدرًا من المصادر العلميَّة التي لم يُلتَفَتْ إليها كثيرًا ، ربما التفت المؤرخون إليها ، لكنني أدعو علماء الاجتماع والسكان والجغرافيا للالتفات إليها ؛ لأن فيها معلومات قيمة .

■ **د. علي السيد علي** :

شكرًا للمتحدثَيْن ، وأخصّ د. غوشة باستفسار : بما أن هذا السجل قد احتوى كثيرًا من التراجم والمنشآت ، وربما بعض السِّير الذاتية ، ألم يلفت ذلك نظركم إلى مَعْلَم مهم جدًّا من معالم الحضارة الإسلاميَّة ، بخلاف الحضارة الغربيَّة ، وهو الرعاية الاجتماعيَّة للعبيد السُّود ، وهذه كانت ظاهرة واضحة ؟

***

الجِلسة السادسة :

صورة القدس في السِّجلّات والوقفيات

أوقاف القدس الإسلامية من خلال سجلات محكمة القدس الشّرعية (وَقْفيّة خاصّكي سُلْطان نموذجًا)

د. عبلة سعيد المهتدي (*)

د. محمد بن عبد الرحمن الرُّبَيِّع (رئيس الجلسة) :

يشرفني أن أكون بينكم اليوم في هذه الجلسة المباركة التي تستمعون فيها إلى بحثين مهمين ، إضافة إلى المناقشات والتعليقات والتعقيبات والمداخلات التي سوف تثري - دون شك - موضوع الجلسة .

أما البحث الأول فهو بحث د. عبلة المهتدي ، وموضوعه « أوقاف القدس الإسلامية من خلال سجلات محكمة القدس الشرعية - وقفية خاصّكي سلطان نموذجًا » .

وأما البحث الثاني فهو للدكتور خالد عزّب ، وموضوعه « أوقاف القدس ودلالاتها الحضارية » .

* * *

تتركز ورقتي المقدمة إلى مؤتمركم الكريم على المحور السادس من محاور المؤتمر ، وتعتمد على سجلاّت محكمة القدس الشرعية ، وهي مقسمة إلى جزأين :

الأول : موجز عن مشروع فهرسة سجلاّت محكمة القدس الشرعية المصورة التي يحتفظ بها مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، الذي بُوشر العمل به منذ مطلع عام ٢٠٠٦م.

الثاني: عن أوقاف القدس الإسلامية من خلال سجلاّت محكمة القدس الشرعية ، ووقفية خاصّكي سلطان على العمارة العامرة في القدس - أنموذجًا .

(*) مركز الوثائق والمخطوطات - الجامعة الأردنية .

أولاً - موجز عن مشروع فهرسة سجلات محكمة القدس الشرعية في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية :

تتعرض مدينة القدس الشريف - بما تحويه من كنوز وآثار إسلامية - إلى مخاطر التهديد والتهويد، نتيجة لوقوعها بأيدي المحتلين الصهاينة منذ عام ١٩٦٧م، ومن ثم أدرك د. محمد عدنان البخيت الضَّرورة الملحَّة في الحفاظ على سجلاَّت محكمة القدس الشرعية، وعلى محتوياتها من التَّلف والضياع، لذا سعى سعيا حثيثًا في سبيل الحصول على نسخة مصورة لها، وقد تمكن من تحقيق ذلك بمساعدة من قاضيَي القضاة في المملكة الأردنية الهاشمية: سماحة الشيخ المرحوم إبراهيم ياسين القَطَّان (ت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ومن بعده سماحة الشيخ محمد محيلان (ت ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) . وتم تصويرها على مراحل بدءًا من عام ١٩٨٤م، وتم إيداعها في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية.

ولم تتوقف جهود د. البخيت عند هذا الحد، وإنما كان شغله الشاغل - لعدة سنوات مضت - هو وضع أنموذج بطاقة فهرسة للتعريف بالمواضيع الأساسية في كل قضية ترد في هذه السجلات، حتى يتمكن الباحثون والدارسون من الاستفادة من هذه السجلات، إلى أن قرر في الربع الأخير من عام ٢٠٠٥م تكليفي شخصيًّا بالعمل على فهرسة هذه السجلات فهرسة تحليلية.

وصدر عن مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية أول كتاب في هذا المشروع بعنوان « سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣٨٨ - فهرسة تحليلية » ، وهو يضم فهرسين كاملين يتضمنان المعلومات الواردة في الأحكام الشرعية المدونة في السجل رقم (٣٨٨) لدى محكمة القدس الشرعية، بالإضافة إلى كشافات عامة للأعلام والمواقع والأماكن والأهالي والأسر والجماعات والطَّوائف والعُرْبان ، والمصطلحات . وبإذن الله سوف يصدر المركز تباعًا كتابًا مستقلاً لكل

سجل من سجلاّت محكمة القدس الشرعية ، مما سيمكّن الباحثين والدارسين من إجراء العديد من الدراسات والأبحاث عن مدينة القدس في مختلف المجالات ، سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية أو حتى السياسية وغيرها من الأمور ، من خلال ما ستشمله هذه الكتب من الفهارس التحليلية التي تيسّر الاستفادة دون الرجوع إلى السجلات الأصلية.

ثانيًا ـ أوقاف القدس الإسلامية من خلال سجلات محكمة القدس الشرعية (وقفية خاصّكي سلطان على العمارة العامرة في القدس ـ أنموذجًا) :

تعد سجلّات محكمة القدس الشرعية من أهم الوثائق الرسمية التي كانت معتمدة من قبل الدولة العثمانية والتي حكمت مدينة القدس وفلسطين لمدة أربعة قرون كاملة منذ عام ١٥١٧م-١٩١٧م[١]، فقد كان قاضي القدس الشرعي ينظر في القضايا الشخصية والمدنية على السواء، وكان يلقّب بنائب[٢] القدس وحاكمها.

هذه السجلات هي الذاكرة الحية والمهمة لتاريخ المدينة المقدسة ومجتمعها المدني، خلال تلك الحقبة، ذلك أنها تؤرخ للبشر والحجر والأرض والمال، بما تتضمنه ، على سبيل الذكر لا الحصر ، من حجج لقضايا مالية[٣]، وأسرية[٤] ،

(١) عبلة المهتدي، القدس تاريخ وحضارة، مؤسسة مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٠م، ص٣٩٩.

(٢) سجلات القدس الشرعية (سيشار إليها لاحقا س.ق.ش)، فيلم ٥٨، سجل ٣٨٩، صفحة ١-٤، عددا ١، تاريخ ٢٢ محرم الحرام سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦/٧/٤م) ، وفيلم ٥٧، سجل ٣٨٨، صفحة ٤٢، عدد ١٢٦، تاريخ ٣ ذي الحجة ١٣١٣هـ (١٨٩٦/٥/١٦م) .

(٣) عبلة سعيد المهتدي، سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣٨٨، منشورات مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان- ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٣٧. (سيشار إليه لاحقا: المهتدي، سجل القدس الشرعي/ ٣٨٨)

(٤) المهتدي، سجل القدس الشرعي/٣٨٨، ص٩٥.

ووقفيَّات[1] ، وحصر إرث[2] ، وتوكيلات عامَّة[3] وخاصة[4] ، وغيرها من الأمور التي تتعلق بحياة الإنسان المقدسي خلال عدة قرون مضت.

وعلى الرغم من تعاقب المحتلين على مدينة القدس على مدى قرون طويلة كان آخرها الاحتلال الصهيوني لها عام ١٩٤٨م، فإنها بقيت شامخة وصامدة عبر التاريخ بما تفاخر به الدنيا من تراث وحضارة عربية إسلامية، والأوقاف الإسلامية فيها من أهم العناصر التراثية وأبرزها ، والشواهد الحية على عروبة هذه المدينة وحضارتها الأصيلة التي توارثتها الأجيال عبر القرون.

وبما أن حبس الأوقاف الإسلامية لا يصبح صحيحًا وملزمًا إلا إذا اكتمل الركن الشرعي فيه، بوجوب صدور حكم القاضي الشرعي بصحته ولزومه، ومن ثم تدوينه في سجلاَّت المحاكم الشرعية[5] ، فإن سجلات محكمة القدس الشرعية ، من خلال ما تحتويه من حججٍ لأوقاف إسلامية محبوسة على القدس وأهلها، تُبين لنا أنواع أصول تلك الأوقاف ، سواء من الأراضي أو من العقارات، كما تبين لنا مواقعها بالتحديد، وتاريخ إنشائها ، وإلى أي عهد تعود، وإلى من يعود رِيعُها ؟

وبما أن الصراع الدامي الدائر بين العرب واليهود منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان يتمحور حول عروبة التراب الفلسطيني بشكل عام والمقدسي

(١) المرجع السابق، ص٤٣ و ١٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤، ٢٩، ٦٨، ١٩٧.

(٣) المرجع السابق، ص٥٣، ١١١.

(٤) المرجع السابق، ص٢٩، ٣٤.

(٥) مصطفى الزرقا ، أحكام الوقف ، الطبعة الثانية ، عمان - ١٩٤٧م ، ج١ ، ص٢٩. وانظر : س،ق،ش. فيلم ٦٤ ، سجل ٤٢٣ ، صفحة ٨٧ - ٨٩ ، عدد ٣ ، تاريخ ٣ جمادى الأولى ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢/١٢/٢م.

بشكل خاص، وبما أن أصول الأوقاف الإسلامية في القدس هي من الأراضي والعقارات، فإنه تأكد لنا أهمية سجلات محكمة القدس الشرعية ؛ فهي بحق إحدى الثروات المحفوظة في المدينة المقدسة التي تؤكد الحق العربي ، ليس في تراب القدس الشريف فحسب ، وإنما في كامل التراب الفلسطيني.

وقفية خاصّكي سلطان على العمارة العامرة في القدس ـ أنموذجًا :

تعدُّ وقفية خاصَّكي سلطان - زوجة السلطان العثماني سليمان القانوني - على العمارة العامرة أو كما اشتهرت باسم « تكية خاصَّكي سلطان » في مدينة القدس، من أهم الوقفيات الإسلامية التي أوقفت على القدس وأهلها ، وأكبرها .

وعلى الرغم من أن بعض آثار هذه التكية ما زالت ماثلة للعيان في القدس ، فإنَّ حجة الوقفية المدونة في أحد سجلات محكمة القدس الشرعية هي الأهم بالنسبة لتاريخ أراضي فلسطين وحاضرها ومستقبلها ؛ لما احتوته هذه الحجة من وثيقة تاريخية مهمة بالنسبة للتراب الفلسطيني.

مَنْ هي خاصَّكي سلطان ؟

خاصَّكي سلطان ، أو روكسيلانة ، أو روسلانة كما يسميها الغربيون ، هي سيدة من أصل روسي ، اختطفها التتار من بلدتها (روجاتينو) الروسية وباعوها بإستانبول، فاشتراها وكلاء السلطان سليمان القانوني، وبعد أن أصبحت جارية من جواري القصر، افتتن بها السلطان سليمان القانوني ، فأطلق عليها اسم (خاصَّكي سلطان) أي محبوبة السلطان، ثم تزوجها بعد أن أعتقها .

وعلى ضوء ما كانت تتمتع به خاصَّكي سلطان من نفوذ كبير لدى السلطان سليمان القانوني، أقامت العديد من المنشآت الخيرية باسمها في أنحاء مختلفة من

الدولـة العثمانية ، ومـنها « العمـارة العامـرة » أو « تكـية خاصَّـكي سـلطان » في القدس التي نحن بصدد الحديث عنها.

أوقاف العمارة العامرة « تكية خاصَّكي سلطان » في القدس :

شُرع في بناء عمارة خاصَّكي سلطان العامرة في القدس في عام ٩٥٩هـ / ١٥٥١م ، إذ تم إحضار البنائين والنجارين من دمشق خصيصًا للمشاركة في بنائها[١] ، وقد شيدت العمارة العامرة في منطقة تعرف بعقبة التكية داخل أسوار القدس. وكانت هذه العمارة العامرة تشتمل على :

- مسجد شيِّد في منطقة بالقدس تعرف بمحلة الست وهي الحارة المحيطة بعقبة التكية اليوم.
- العمارة « التكية » ، وتشتمل على عددٍ من المرافق منها مطبخ كبير ، وفرن وبيت للمؤونة ، وساحجة تحيط بالبناء ويحيط بها سور ، ومخازن للحنطة والحبوب ، وملحقات صحية ، ومكان لوضع الحطب .
- خمس وخمسين غرفة بنيت حول المسجد المذكور.
- خان (فندق) كبير وواسع ملحق بالعمارة العامرة.

وفي أواسط شهر شعبان من عام ٩٦٤هـ/١٥٥٦م[٢] أوقفت خاصَّكي سلطان وقفيتها الشهيرة على العمارة العامرة في القدس ، فكانت بحق أعظم مؤسسة وقفية خيرية أنشئت في القدس على الإطلاق.

---

(١) في عام ٩٥٩هـ/١٥٥١م صدر فرمان سلطاني إلى والي دمشق بإرسال معلمي بناء ونجارين وفنيين من دمشق لبناء العمارة العامرة في القدس. انظر : Heyd. Uriel, Ottoman Documents on Palestine (1552-1615). Oxford University, London-1960. p 132.

(٢) س.ق.ش ، فيلم رقم ٤٦ ، سجل ٢٧٠ ، ص ١٨-٢٤.

أوقفت خاصَّكي سلطان المسجد على المصلين كافة من المسلمين والمسلمات، وأوقفت العمارة العامرة بجميع مرافقها على الفقراء والمساكين وزُمْرة الضعفاء والمحتاجين، وأوقفت الغرف الخمسة والخمسين على المؤمنين المجاورين للحرم القدسي، والفقراء الأتقياء الموحِّدين والمتمسكين بالشريعة، والمعتكفين في المساجد ركعًا وسجودًا، كما أوقفت الخان على عامة أبناء السبيل.

هذا ولم تكتفِ خاصَّكي سلطان بإنشاء هذه المباني ووقفها، وإنما حرصت أيضًا على توفير ما يضمن لها البقاء والاستمرار في تقديم خدماتها المجانية، وذلك بأن أوقفت لمصالح أوقافها في القدس العديد من الأوقاف في أربعة سناجق (ألوية) في بلاد الشام (سورية وفلسطين) ، وهي سناجق طرابلس الشام والقدس وغزة ونابلس، واشتملت الأوقاف في السناجق الأربعة على ما يأتي :

أولاً - قرية ومزرعة وأرض في لواء طرابلس الشام :

- جميع (٢٤/٢٤ قيراطًا)[١] قرية أميون ومزرعة[٢] قيقبة في قضاء الكورة/ لواء طرابلس الشام.
- قطعة أرض خالية في محلة الشيخ طتماج /مدينة طرابلس الشام.

---

(١) قيراط وجمعها قراريط : ويقصد به الدلالة على قسم من أربعة وعشرين قسمًا تمثل وحدة كاملة. ودَخْل الوقف أو إيراد كل مصدر من مصادر الوقف كان يقسم إلى أربعة وعشرين قسمًا يسمى كل منها قيراطًا. وأحيانًا كان القيراط يقسم إلى أربعة وعشرين قسمًا آخر، فيقال ثُمن قيراط أو ربع قيراط ... إلخ. محمد إيشرلي ومحمد داود التميمي(تحقيق وتقديم)، أملاك أوقاف المسلمين في فلسطين، إستانبول- ١٩٨٢م، صفحة ث.

(٢) المزرعة: فسَّر وليد الخالدي مفهوم كلمة المزرعة بقوله : (يبدو على وجه الإجمال أن مفهومها مرتبط بالحجم.وكثير من المواضع الموصوفة بهذه الصفة، يقل عدد سكانه عن ٤٠٠ نسمة، إلا أن هذه الحال لا تَطَّرد دائمًا، إذ إن بعض المزارع كان أكبر بكثير من المواضع المصنفة قرى) . وليد الخالدي، كي لا ننسى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت- ١٩٩٧م، التمهيد، الهامش رقم ٦، صXXIII.

ثانيًا - قرى ومزرعة وأرض في قضاء القدس/ لواء القدس :

- جميع قرية بيت كسا (بيت إكسا اليوم).
- جميع قرية بقيع الضأن.
- جميع مزرعة الخروبة.
- أرض بقيع الفرس.

ثالثًا - قرية ومزارع في قضاء رام الله/ لواء القدس :

- جميع قرية بيت لَقْيا.
- جميع مزرعة بيت نوشف.
- جميع مزرعة أركوس.

رابعًا - قرى وأراضٍ في قضاء بيت لحم/لواء القدس :

- ١٨/ ٢٤ قيراطًا من قرية بيت لحم.
- ١٨/ ٢٤ قيراطًا من قرية بيت جالا.
- جميع أرض خلة الحور.
- جميع أرض رأس الحنية.

خامسًا - قرى ومزرعة في قضاء الرملة/لواء غزة :

- جميع قرية لُد وهي مدينة اللد اليوم.
- جميع قرية كفرعانا.
- جميع قرية الكنيسة.

- جميع قرية بيرماعين (بيرمعين).
- جميع قرية عنابة.
- جميع قرية خربتا (خربته).
- جميع قرية يازور.
- جميع قرية يهودية.
- جميع قرية بيت شنا.
- جميع قرية رنطيا (رنتيه).
- ٢٤/٢١ قيراطًا من قرية سافرية.
- $\frac{١}{٨}$ ١٨ قيراط من ٢٤ قيراطًا من قرية بيت دجن.
- ٢٤/١٨ قيراطًا من قرية كفرجنس.
- ٢٤/١٨ قيراطًا من قرية نعلين.
- ٢٤/١٢ قيراطًا من قرية سبتاره.
- ٢٤/٧ قيراطًا من قرية جنداس.
- جميع مزرعة كفر طاب.

سادسًا - قرى ومزارع في لواء نابلس :

- ٢٤/١٢ قيراطًا من قرية قاقون/ قضاء طولكرم.
- جميع مزرعة دير سلام/ قضاء طولكرم.
- ٤/١ من مزرعة حيثانة الجماسين/ قضاء بني صعب.

سابعًا - أعشار قرية :

- عُشر قرية الجيب البالغ حصتها (٢٥٠٠) درهم، من قضاء القدس/ لواء القدس.

ثامنًا - خانات ودكاكين وأسواق وطواحين في مدينة وقضاء طرابلس الشام :

- جميع الدكاكين والخانَيْن في محلة الشيخ طتماج/ مدينة طرابلس الشام.
- جميع القاسرية وهو عبارة عن سوق مسقوف ومقبب في محلة خان العديمي/ مدينة طرابلس الشام.
- ٤ طواحين معروفة بالطيطرية كائنة بأرض قرية رشحين/ قضاء طرابلس الشام.
- ٤ طواحين معروفة بالترابية كائنة بأرض قرية بشنين/ قضاء طرابلس الشام.

تاسعًا - حمامان في مدينة القدس الشريف .

وهكذا أوقفت خاصَّكي سلطان جملة ما لهذه الأوقاف من الحدود والمرافق والتوابع واللواحق والطرق والمسالك، سواء ذكر ذلك أو لم يذكر، وقفًا صحيحًا شرعيًا وحبسًا مرعيًا وتسبيلاً محكمًا مبرمًا مرضيًا ، لصالح العمارة العامرة في مدينة القدس الشريف.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه في زمن العثمانيين انتشرت كثيرًا عمليةُ حبس الأوقاف غير الصحيحة أو وقف التخصيصات، وهو الوقف الذي كان يتم من قبل السدة السلطانية لأراضٍ أميرية تعود ملكيتها لخزينة الدولة على وجوه الخير

المختلفة، ويتم تخصيص منافع هذه الأوقاف للجهة الموقوفة عليها[1]، مثلما فعلت خاصَّكي سلطان في وقفيتها، فقد أوقفت جميع هذه القرى والمزارع وسبَّلت ريعَها لصالح العمارة العامرة في القدس.

ومما لا بد من التأكيد عليه تميزُ الواقفة بين تسبيل ناتج القرى من المحاصيل، وبين تسبيل العُشْر المفروض على ناتج القرى من المحاصيل، كما ورد في البند سابعًا: « عُشر قرية الجيب البالغ حصتها (٢٥٠٠) درهم، من قضاء القدس/ لواء القدس ».

وبحسب ما يرد في دفاتر التحرير العثمانية[2]، فإن حصة السُّدَّة السلطانية أو خزينة الدولة من ناتج القرى والمزارع الوقفية وغيرها كانت تُجْبَى بعد حسم (خصم) حصة الفلاحين العاملين في تلك القرى والمزارع، وبعد أن يتم حسم حصة الفلاحين أولاً، ومن ثم حصة السدة السلطانية أو الخزينة من المحاصيل ثانيًا، كانت تُحسب الأعشار المفروضة على ما تبقّى من ناتج تلك القرى، وعليه فإنه عندما كانت ترد عبارة « جميع قرية كذا » في هذه الوقفية، فإنه يقصد بها جميع حصة السدة السلطانية في محاصيل تلك القرى.

من خلال ما تقدم نلحظ المساحات الشاسعة من القرى والمزارع والأراضي في فلسطين التي أوقفتها خاصَّكي سلطان لصالح العمارة العامرة أو « تكية خاصَّكي سلطان » في القدس.

---

(١) عبلة سعيد المهتدي، أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع والترجمة، عمان - ٢٠٠٥، ص٥٣.

(٢) تفضل مشكورًا رئيس لجنة تاريخ بلاد الشام في الجامعة الأردنية د. محمد عدنان البخيت بإطلاعي على هذه المعلومة التي توصل إليها من خلال أبحاثه عن تاريخ بلاد الشام زمن العثمانيين.

وضع أوقاف خاصَّكي سلطان في أواخر العهد العثماني :

على الرغم من عظم هذه الأوقاف التي حُبست لصالح العمارة العامرة في القدس ، فإنَّ أمورًا كثيرة طرأت عليها مع مرور الزمن ، وكان ذلك ناجمًا عن التراجع الكبير الذي شهدته الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

لقد تشكّلت أول نِظارة خاصة بالأوقاف في الدولة العثمانية في عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م لمتابعة أمور الأوقاف كافة في الدولة وبخاصة غير الصحيحة منها ، ولتحصيل إيراداتها ، لكن تلك النِّظارة مارست في ما بعد بعض المخالفات بحق الأوقاف عمومًا ، وذلك بأن تنازلت عن حق الأوقاف في كامل ناتج القرى والمزارع والأراضي الوقفية أو أعشارها للدوائر المالية في الدولة ، واكتفت بالاستعاضة عن ذلك الحق بالأعشار فقط[١].

إلا أن حق تكية خاصَّكي سلطان في هذه القرى الموقوفة لم يقف عند هذا الحدِّ من الاستبدال ، وإنما عمِلت الإدارة العثمانية ، في وقت لاحق ، على حلّ تلك الأوقاف وإعادة تخصيصاتها ومنافعها لصالح خزينة الدولة[٢].

وضع أوقاف خاصَّكي سلطان في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين:

بعد أن تمكنت قوات الاحتلال البريطانية من بسط سيطرتها على كامل سنجق (لواء) القدس في نهاية عام ١٩١٧م وإخراج القوات العثمانية منها ، فرضت الأحكام العسكرية على كامل المنطقة الجنوبية من فلسطين لحين استكمال فرض

(١) سجلات القدس الشرعية ، فيلم ٦٨ ، سجل ٤٦٤ ، العدد ١٩٣ ، التاريخ ١٩٣٤/٥/٢٣م. وانظر: المهتدي ، أوقاف القدس ، ملحق ١٢ ، ص٤٤٣-٤٥٤.

(٢) د.أمين مسعود أبو بكر ، ملكية الأراضي في متصرفية القدس (١٨٥٨-١٩١٨م) ، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان-١٩٩٦م ، ص٤٠١.

احتلالها لكامل الأراضي الفلسطينية، كما عملت تلك الإدارة على الاستمرار في فرض ضريبة العشر[1] التي كان معمولاً بها في البلاد قبل الاحتلال، وذلك بموجب القوانين العثمانية الصادرة في الأعوام ١٨٨٩ و ١٨٩١م[2].

وعلى الرغم من اتخاذ الإدارة العسكرية في فلسطين قرارها بإبقاء إدارة الأوقاف الإسلامية بأيدي المسلمين أنفسهم، إلا أنها أبقت لنفسها مهمة تحصيل إيرادات الأوقاف كافة من بدلات الإجارة والأعشار الوقفية بواسطة مندوبين رسميين لصالح مؤسسة الأوقاف[3].

واستمرّ الوضع على ما هو عليه في تحصيل الأعشار الوقفية بعد تشكيل المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في فلسطين بتاريخ ١٩٢٢/١/٩م برئاسة مفتي القدس الحاج محمد أمين الحسيني، ليتولى إدارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في كامل المناطق الفلسطينية، وذلك وفقًا للمادة (١٦) من نظام المجلس الموضوع سنة ١٩٢١ التي تنصّ على أنْ « تظل الحكومة تجبي باسم الأوقاف بدلات الأعشار الوقفية وتوردها لصناديق الأوقاف مقابل رسم التحصيل »[4].

---

(١) العُشر : أصله الشرعي زكاة المحصولات، وكانت نسبته ربع العُشر أو حصة من أصل أربعين حصة من ناتج الأرض وغلتها. انظر: س.ق.ش، فيلم ٢٧، سجل ٨، العدد ٣٥٤، الرقم: وقف /٤٥/٣٢٥، التاريخ ٢٢ /١٩٥٠/٤.لكن العُشر في زمن الدولة العثمانية كانت تحسب كضريبة على ناتج المحاصيل الزراعية، ونسبتها حصة واحدة من عشر حصص من مجمل ناتج الأرض الزراعية لصالح خزينة الدولة، وبعد أن تردت الأوضاع الاقتصادية في عموم الدولة العثمانية زيدت هذه النسبة حتى بلغت حصة من ثماني حصص، أو (١٢.٥٪) من ناتج الأرض، وكان الفلاحون يسددونها غلالا من المحصول. للمزيد انظر:

Palestine and Transjordan Administration Reports, (1918-1924), vol.1, p 207.

(٢) Palestine and Transjordan Administration Reports, (1918-1924), vol.1, p 207-209.

(٣) سجلات الأوقاف ، فيلم ٣٠، سجل ٤ ، العدد ٢٠٦٣، الرقم: وقف/٤٤/٣٢٥، التاريخ ١٦/ ٩/ ١٩٤٦م.

(٤) المهتدي، أوقاف القدس، ص١١٠.

لكن حكومة فلسطين قرَّرت في أواخر عام ١٩٢١ وأوائل عام ١٩٢٢م إعادة أوقاف خاصَّكي سلطان إلى سلطة المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، وقدرت إيراداتها السنوية بمبلغ (١٠٤٠٠) جنيه، في حين قدرت إجمالي إيرادات الأوقاف لسنة ١٩٢١-١٩٢٢ بمبلغ (٤٣,٢٩٧) جنيهًا مصريًا[١]، ومن هذه التقديرات الحكومية يتبين لنا أن حجم إيرادات أوقاف خاصَّكي سلطان كان يشكل تقريبًا ٢٥٪ من مجمل إيرادات الأوقاف، أضف إلى ذلك أنه في حقيقة الأمر لم تُعِدْ حكومة فلسطين في ذلك العام كامل أوقاف خاصَّكي سلطان إلى إدارة الأوقاف الإسلامية، كما تأكد ذلك للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في ما بعد.

وبمضي السنوات أخذت قيمة إيرادات الأعشار الوقفية في فلسطين في الهبوط شيئًا فشيئًا، حتى وصلت في عام ١٩٣١م إلى مبلغ (٥,١٠٧,٥) جنيه فلسطيني فقط، وقد أدى هذا الانخفاض الكبير في تلك الإيرادات إلى حدوث أزمة مالية خانقة بإدارة الأوقاف، ولم تقف الأوضاع عند هذا الحد وإنما وصل إلى مسامع هيئة المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى أن الحكومة تنوي إلغاء ضريبة العشر الزراعية في البلاد، مما اضطر هيئة المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى إلى التفاوض مع مدير الخزينة، على أمل الوصول إلى اتفاق يؤدي إلى استقرار الوضع المالي لمؤسسة الأوقاف، فتمَّ إبرام اتفاقيتين مع مدير المالية لحكومة فلسطين عُرفتا باتفاقيتي عامي ١٩٣٢و ١٩٣٤، وليس هنا مجال للحديث عن بنود هاتين الاتفاقيتين، وما أدتا إليه من عواقب وخيمة على مؤسسة الأوقاف الإسلامية، لكن المجلس، ومن خلال اتفاقية عام ١٩٣٢، تمكن من تحقيق بعض مطالبه المتعلقة بزيادة بدلات الأعشار[٢].

---

(١) Palestine and Transjordan Administration Reports, (1918-1924), vol.1, p 220.

(٢) نص البند السادس من اتفاقية عام ١٩٣٢م على أن « يقدم المجلس لمدير الخزينة أو اللجنة التي تعينها الحكومة كل الوثائق والبيانات الموجودة عنده بشأن طلب المجلس بخصوص أعشار =

وقد أوفد المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى أحد أعضائه السيد أمين بك التميمي إلى إستانبول للبحث واستخراج قيود ووثائق القرى والأراضي الوقفية في فلسطين، وتمكن السيد التميمي بالفعل من استخراج عدد كبير من تلك القيود من الدفتر خاقاني (دائرة الأراضي) العثمانية وجلبها إلى القدس.

وتم مطابقة قيود القرى والمزارع والأراضي الموقوفة لصالح خاصَّكي سلطان المدونة والمثبتة في الدفتر خاقاني العثماني مع حجة الوقفيَّة المسجَّلة لدى سجلَّات محكمة القدس الشرعية من جهة ، ومع الجدول المقدم من الحكومة بأسماء القرى والأراضي الوقفية التي تحصِّل الحكومة أعشارها ، وتدفع عنها دفعة سنوية للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى من جهة أخرى، فتبين أن هناك (١٥) قرية ومزرعة من أوقاف خاصَّكي سلطان لم تكن تُستوفى غلتها أو أعشارها من قبل مؤسسة الأوقاف في فلسطين[1]، وقدمت للحكومة وأقرَّتها، وفي ما يأتي أسماء تلك القرى والمزارع والأراضي:

الرقم	اسم القرية/المزرعة	المنطقة	عدد القراريط الموقوفة
١	قرية كنيسة	يافا	٢٤
٢	قرية قاقون	نابلس	١٢
٣	قرية العيساوية	القدس	٢٤
٤	قرية الجديرة	القدس	٢٤
٥	قرية الجيب	القدس	٢٤

= الأوقاف، سواء حصلت هذه الأعشار في الماضي أو ستحصل في المستقبل من القرى الجديدة، لدرسها وتقرير حق الوقف فيها ». للمزيد انظر: سجلات أوقاف القدس، فيلم ٣١، سجل ١٣، (مذكرة بالنقاط المتفق عليها بين المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى ومدير المالية سنة ١٩٣٢) ، عدد الصفحات ٤.

(١) المهتدي، أوقاف القدس، ص١٢٢-١٢٣.

٦	قرية سبتارة	يافا	٢٤
٧	قرية كفر جنس	يافا	٢٤
٨	قرية كفر طاب	يافا	٢٤
٩	قرية بقيع الضأن مع أرض بير الصفا	تابع أراضي الطور والعيساوية/ قضاء القدس	٢٤
١٠	مزرعة رأس الحنية	-	٢٤
١١	مزرعة بيت نوشف (يوشف)	عند قرية بيت لقيا/ قضاء رام الله	٢٤
١٢	مزرعة أركوس	عند قرية بيت لقيا / قضاء رام الله	٢٤
١٣	مزرعة خرنوبة	عند قرية بيت إكسا/ قضاء القدس	٢٤
١٤	مزرعة خلة الحور	القدس	٢٤
١٥	أرض بقيع الفرس	عند قرية بقيع الضأن ومن ضمن أراضي الطور/ قضاء القدس	٢٤

وهكذا يتبين لنا الدور الذي لعبته سجلات محكمة القدس الشرعية في زمن الحكم البريطاني لفلسطين (١٩١٧-١٩٤٨م)، في تأكيد الحق العربي الإسلامي في أراضي هذه الوقفية، ولولا هذه السجلات لما تمكن المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في فلسطين في حينها من السعي لإثبات ذلك الحق والمطالبة به واستعادته والتشبث به، ومن هنا نؤكد مدى أهمية هذه السجلات وضرورة الحفاظ عليها ، لأن في حفظها وصونها ، وفي حفظ مصورات عنها ، حفظًا للحق العربي في تراثه وحضارته وترابه .

* * *

المصادر والمراجع العربية

الوثائق الرسمية:

أولاً - سجلات القدس الشرعية:

- فيلم ٢٧ ، سجل ٨ ، فيلم ٤٦ ، سجل ٢٧٠ ، فيلم ٥٧ ، سجل ٣٨٨ ، فيلم ٥٨ ، سجل ٣٨٩.
- فيلم ٦٤ ، سجل ٤٢٣ ، فيلم ٦٨ ، سجل ٤٦٤.

ثانيًا - سجلات أوقاف القدس:

- فيلم ٣٠، سجل ٤ ، فيلم ٣١، سجل ١٣.

المراجع العربية:

* أمين مسعود أبو بكر :
- ملكية الأراضي في متصرفية القدس (١٨٥٨-١٩١٨م) ، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان-١٩٩٦م.

* عبلة سعيد المهتدي :
- أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع والترجمة ، عمان-٢٠٠٥.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣٨٨ ، منشورات مركز الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الأردنية ، عمان- ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ،
- القدس تاريخ وحضارة ، مؤسسة مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان-٢٠٠٠م.

* محمد إبشرلي ومحمد داود التميمي (تحقيق وتقديم) :
- أملاك أوقاف المسلمين في فلسطين ، إستانبول-١٩٨٢م.

* مصطفى الزرقا :
- أحكام الوقف ، ج١ ، الطبعة الثانية ، عمان- ١٩٤٧م.

* وليد الخالدي :
- كي لا ننسى ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت- ١٩٩٧م.

المصادر والمراجع الأجنبية

- *Palestine and Transjordan Administration Reports*, (1918-1948), 16 Vol. Archive Edition 1995.
- Heyd.Uriel, *Ottoman Documents on Palestine* (1552-1615). Oxford University, London-1960.

* * *

أوقاف القدس ودلالاتها الحضارية

د. خالد عزب(*)

تكشف لنا وقفيات القدس التي يعود جُلّ ما وصل إلينا منها إلى العصرين المملوكي والعثماني - عن الكثير من الجوانب المجهولة في التاريخ العمراني للمدينة ، فالأوقاف ترسم لنا العديد من ملامح المدينة :

- نستطيع أن نرسم تخطيطًا عمرانيًّا للمدينة منذ العصر الفاطمي حتى القرن التاسع عشر ، وقد أنجز برنامج بحثي في جامعة هارفارد رسمَ مخططًا للمدينة في العصرين المملوكي والعثماني على سلسلة خرائط تعد الأولى من نوعها ، واعتمد رسم هذا المخطّط وهذه الخرائط على الوقفيات .
- تعطينا الوقفيات وصفًا دقيقًا للعمائر التي أُنشئت في المدينة عبر العصور المختلفة ، وهو ما سنلقي عليه المزيد من الضوء .
- تكشف الوقفيات عن العلاقة الوطيدة بين الرعاية الاجتماعية والازدهار الاقتصادي وقدرة المجتمع ، من خلال مؤسسات الأوقاف ، على إنماء المدينة بصورة مستديمة .

وليست القدس مجرد مدينة من عشرات الألوف من مدن الأرض ، ولكنها رمزٌ دار حوله الصراع على مدى أجيال في تاريخ المنطقة ، وهي اليوم رمز في صراع جديد قديم . وهي في ماضينا القريب رمز لصراع بين العرب والقوى الصليبية التي وفدت إلى المنطقة تزرع فيها كيانًا دخيلاً ، فما أشبه اليوم بالبارحة !

(*) مدير إدارة الإعلام بمكتبة الإسكندرية .

ولعله ليس من بين بلدان الدنيا بلد يحق لها أن تفاخر غيرها بما حوته من مقدسات كمدينة بيت المقدس ؛ فهي موطن كثير من الأنبياء والمرسلين، يقول عنها « القزويني » : « وهى المدينة المشهورة التي كانت محل الأنبياء وقِبْلة الرسل ومهبط الوحي ... وما فيه من موضع شبر إلا وصلى فيه نبي أو قام فيه ملَك ... » . ويروي ابن الجوزي أن الكثير من المحدثين يجمعون على أن الله عزَّ وجلّ منذ أنزل آدم إلى الدنيا لا يبعث نبيًّا إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس ، وقد صلى إليها نبيُّنا ﷺ . لذا فهي مَهْوى أفئدة المسلمين وقرَّة أعينهم .

يقول أحد المؤرخين المعاصرين : « إن استخدام المنهج العلمي في دراسة المدن يستوجب على المؤرخ أن يبحث عن شهادة ميلاد مدينته التي يكتب تاريخها ، فإذا ما استطاع أن يقدم تلك الوثيقة ، فإنه ينتقل إلى طفولتها وبقية عهودها الزاهرة وأحداثها الكبرى ومعالمها الرئيسية » .

كيف جاء اسم القدس ؟

اشتُق اسم القدس كما جاء في « لسان العرب » من مادة « قدس » ، و (القدس) : تنزيه الله تعالى ، وهو المتقدِّس القدوس المقدَّس . « والقدس تعني الطاهر المنزَّه عن العيوب والنقائص ، والقُدوس والقدْسُ اسم مصدر ، ومنه قيل للجنّة حضيرة القدس . والتقدس يعني التطهير والتبريك » . وفي التنزيل ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وأطلق على المدينة « أور سالم » . وتعود التسمية إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وتتكون هذه اللفظة من شِقّين (أور) ، وهي كلمة كنعانية معناها « مدينة » ، (وسالم) من السلام أي مدينة السلام ، ومن ذلك اشتق العبرانيون اسم (أورشاليم) .

أما قدسية المدينة في القرآن الكريم فتتمثل في قول الله تعالى في سورة الإسراء :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾

[الإسراء : ١] .

المدينة القديمة :

تبلغ مساحة القدس ضمن الأسوار كيلو مترًا مربعًا واحدًا ... ويشغل الحرم الأقصى الشريف ما يقارب ٥٠٠ × ٣٠٠ متر مربع في الناحية الجنوبية الشرقية ، وهذه المساحة هي البؤرة الرئيسة للمدينة ... ويحيط بالمدينة سور حجري مرتفع يشتمل على خمسة أبواب مفتوحة هي : باب الزاهرة ، وباب الأسباط ، وباب العامود ، والباب الجديد ، وباب الخليل ، وباب النبي داود عليه السلام . وأربعة أبواب مقفلة هي : الباب المفرد ، والباب المزدوج ، والباب الثلاثي ، والباب الذهبي .

ويتصل الحرم الشريف بباقي أجزاء المدينة بطرق تتفرع من أبواب الحرم الشريف التسعة ، وتمتد بين أجزاء المدينة المختلفة ذات الوظائف المتعددة ، ولم يقف اختلاف المناسيب الطبوغرافية في المدينة حائلاً أمام المخطط والمصمم ، فقد تمَّ التغلب على هذه العقبة باستعمال أدراج حجرية عريضة ومريحة لتنقُّل الشخص من مستوى إلى آخر .

تمتاز طرق المدينة المقدسة بأنها ضيقة ومخصَّصة للمارة ، وبعضها مغطى ببائكات[١] معقودة ، ونجد بعضها الآخر مفتوحًا ، وبنيت المدارس والمساكن ، والزوايا ، والسُّبل للسقاية على جانبي الطريق ، ومثل هذه النوعية من الطرق توفر الظلال المريحة للمشاة ، وتخفف من حدة حرارة الجو ، وتمنع سقوط أشعة الشمس مباشرة على المارة ، وخصوصًا في الصيف .

---

(١) البائكات : مفردها بائكة ، وهي سلسلة من العقود المتتالية التي ترتكز على دعامات أو أعمدة .

والطرق المخصصة للأسواق بالمدينة مفتوحة على بعضها بعضًا لتسهيل الاتصال من سوق إلى آخر . أما الحارات السكنية فينتهي بعضها إلى نهايات مسدودة لتوفر للحارة الواحدة الشعور بالاستقلالية ، وبإمكان الإنسان أن يقطع جميع طرق القدس الشريف في وقت قصير ، وأن يقضي جميع احتياجاته سيرًا على الأقدام دون تعب أو ملل ، وذلك راجع إلى فلسفة تخطيط المدينة ، وإلى اتباع الأسس السليمة في العمارة الإسلامية ، وإلى التقيد بالمعايير الإنسانية Human Scale .

خصائص العمارة الإسلامية بالقدس :

جميع أبنية القدس الشريف من الحجر ، استعمل في بنائها مونة الجير ، فلم يكن الأسمنت معروفًا ، والعقود الحاملة للأسقف بُنيت من الحجر أيضًا ، وشبابيك الأبنية صغيرة المساحة ومفتوحة في جدران سميكة لتؤمن التهوية والإضاءة ، وتمنع دخول الأشعة المباشرة في الوقت نفسه ، وتطلُّ بعض الأبنية على الطريق من خلال مشربيات خشبية جميلة الصنع تساعد في تهوية البيت ، وتستعمل أيضًا للجلوس والاستراحة ومشاهدة الطريق دون أن تُعرِّض أهل البيت لِنَظر المارة ، وتتلاصق الأبنية بعضها مع بعض ، وكأن القدس عبارة عن مبنى واحد متشابك الأجزاء ، منه يتكوَّن نسيج المدينة الجميل الهادئ المتعاضد .

تتجلَّى بساطة التصميم في المساكن بتوفير الساحات الداخلية المكشوفة - الصحن أو الفناء ، كما تعرف أحيانًا - وتعدّ من أهم مميزات العمارة الإسلامية ، كما أن النقاء الهندسي والبساطة ، وتأدية الوظيفة ، واستعمال المواد الإنشائية المحلية ، والتهوية الجيدة ، والتجانس بين الأبنية في المدينة المقدسة - كل ذلك يعد من الأسس المهمة في تطبيق فن العمارة الإسلامية ، وتعد مدينة القدس مدرسة للفن المعماري الإسلامي ، في مرحلة ليست قصيرة من العصور الإسلامية ابتداء من الأمويين ، حتى العثمانيين .

بين آثار القدس :

سوف نعرّف هنا بهذه المدينة الخالدة وبآثارها ، ونبدأ بأعظم هذه الآثار المعمارية :

المسجد الأقصى :

يقع المسجد الأقصى في الجهة الجنوبية من الحرم الشريف . وقد بناه الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٦٩٣م ، وأتمه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥م . وتبلغ مساحته نحو ٤٤٠٠ متر مربع ، طوله ٨٠م وعرضه ٢٢م ، ويقوم على ٥٣ عمودًا من الرخام و ٤٩ دعامة ، وكانت أبوابه زمن الأمويين مصفّحة بالذهب والفضة ، ولكنَّ أبا جعفر المنصور أمر بخلعها وصرفها دنانير على المسجد .

وعندما احتلَّ الصليبيون القدس جعلوا قسمًا منه كنيسة ، واتخذوا القسم الآخر مسكنًا لفرسان الهيكل ، ومستودعًا لذخائرهم .

وعندما استردَّ صلاح الدين الأيوبي القدس الشريف منهم ، أمر بإصلاح المسجد ، وجدَّد محرابه ، وكسا قبّته بالفسيفساء ، وأتى بالمنبر المرصّع بالعاج والأَبَنُوس ، الذي أمر بصنعه السلطان نور الدين محمود بحلب ، ونذر أن يضعه في المسجد الأقصى بعد فتح المدينة ، ووضع صلاح الدين المنبر بالمسجد ليكون رمزًا لانتصار المسلمين . وبقي المنبر على يمين المحراب إلى أن أحرقه اليهود في ١١ أغسطس سنة ١٩٦٩م .

اعتنى بالمسجد ملوك بني أيوب والمماليك وسلاطين بني عثمان . وأُنشئت فيه أروقة ، وعُمر وفُرشت أرضه بالسجاد العجمي ، وطرأ على المسجد الأقصى خَلَلٌ سنة ١٩٢٧ فاستنهض المجلسُ الإسلامي الأقطارَ الإسلامية التي ساهمت في إعماره . ويوجد تحت المسجد الأقصى دهليز واحد يسمى « الأقصى القديم » يتألف من سلسلة من عقود أعمدة ضخمة .

وجاء في الخبر أن عبد الملك بن مروان أرسل إلى الولاة في الأقاليم يستشيرهم في بناء قبة ومسجد في الحرم الشريف ، وجاءت الرسل مؤيدة لرأيه . وقد أتى الخليفة بالصُّنّاع من مختلف أرجاء البلاد وأمرهم بإقامة بناء لخزانة الدولة في الجانب الشرقي للصخرة ، يسمى حاليًا « قبة السلسلة » ، وأشرف على هذا العمل رجاء بن حَيْوة ويزيد بن سلام ، كذلك أورد صاحب « مثير الغرام » الاستعدادات التي عُملت لتنفيذ بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى أيام عبد الملك بن مروان ، وأنه استخدمت في البناء ستة آلاف كتلة من خشب الأسقف ، إلى جانب الكتل الخاصة بالأعمدة ، وبلغ عدد الأبواب ٥٠ بابًا و٦٠٠ عمود من الرخام وسبعة محاريب ، وكان يوجد ٣٨٥ سلسلة لتعليق وسائل الإنارة ، منها ٢٣٠ في المسجد الأقصى ، و ١٥٥ في القبة الشريفة ، ويبلغ طول هذه السلاسل أربعة آلاف ذراع ، ووزنها ٤٣ رطلاً سوريًّا ، كان يعلق فيها خمسة آلاف مصباح بالإضافة إلى إضاءة ألفي شمعة في ليالي الجمعة ، وفي أواسط ليالي شهر رجب وشعبان ورمضان ، وليالي عيد الفطر وعيد الأضحى . وكان يوجد بالحرم الشريف ١٥ قبة صغيرة ، إلى جانب قبة الصخرة ، وعلى سطح المسجد ٧٧٠٠ صفيحة من الرَّصاص ، تزن كل واحدة منها ٧٠ رطلاً سوريًّا ، ولا يدخل في هذا العدد ما كان يغطي القبة . كل ذلك تم أيام عبد الملك بن مروان ، الذي خصص لخدمة الحرم الشريف ٣٠٠ خادم كانوا يتقاضون رواتبهم من الخزانة العامة للدولة .

قبة الصخرة :

هذه القبة أقدم مَعْلَم من معالم العمارة الإسلامية ، وهي تشكل أعلى بقعة في الحرم الشريف ، وما زال أثر رسول الله ﷺ على الصخرة منذ ليلة عُروجه إلى السماء .

يتكون مبنى قبة الصخرة المشرفة من قبة خشبية قطرها ٢٢,٤٠ م ، متكئة

على أسطوانة تشتمل على ١٦ نافذة ، وترتكز على ٤ دعامات و١٢ عمودًا منظمة في شكل دائري بحيث يوجد ٣ أعمدة بين كل دعامتين .

تقع القبة في مركز على شكل ثُماني يبلغ طول ضلعه ٢٠,٥٩ م وارتفاعه ٩,٥٠ م ، ويوجد في الجزء العلوي من كل جدار نوافذ . وما زال نص تأسيس القبة ، التي يرجع بناؤها إلى عبد الملك بن مروان ، باقيًا فوق ممر الرّواق الُمثمن ، وقد كتب بالخط الكوفي ولُوِّن باللون الأصفر على قرميد أزرق ، وهذه الكتابات مؤرخة بعام ٧٢ هـ . ومن المؤسف أن تنزع بعض هذه القراميد بعد ذلك بمائة وخمسين سنة تقريبًا ، أيام الخليفة المأمون ، عند ترميمه القبة ، ويُجعل مكانها قراميد زرقاء داكن لونها ، تحمل اسم المأمون مكان عبد الملك بن مروان، ولكن يشاء الله أن ينسى الصناع أن يغيروا التاريخ الأصلي !

القصور الأموية :

نشطت حركة العمران في القدس في عهد الأمويين . ومن ذلك بناء القصور الأموية (دار الإمارة) ، وتعرف منها ثلاثة قصور الآن . وقد اكتشفت حديثًا عن طريق الحفريات التي قامت بها الجامعة العبرية .

وكشفت تلك الحفريات عن ثلاثة قصور تتطابق إلى حدّ ما مع القصور الأموية التي اكتشفت في الأردن وفلسطين ، في تخطيطها المعماري ، وفي أسلوب بنائها ، ما عدا إعادة استخدام الأحجار الضخمة التي تنسب إلى هيردوس ، وهذه القصور تحت إشراف دائرة الآثار الإسرائيلية حاليًا . وهي في منطقة حفريات وتنقيب عن الآثار .

البيمارستان الصّلاحي :

أقامه السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٨٣ هـ /١١٨٧ م ، بعد فتحه للقدس ، وقد رحل صلاح الدين عن القدس تاركًا فيها القاضي ابن شدّاد ،

ليعتني بعمارة البيمارستان (المستشفى الخيري) وقد وقَفه صلاح الدين ووقف عليه أوقافًا كثيرة ، وعَيَّن له كبار الأطباء لتدريس الطب فيه إلى جانب ممارسته عمليًّا ، وقد أشرف على هذا البيمارستان بعد إنشائه الطبيب يعقوب بن صقلان الملكي المقدسي الذي توفي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٧ م ، ويتكون هذا البيمارستان من مجموعة دعامات حجرية تعلوها ، وقد قُسمت مساحته إلى عدد من القاعات المغطاة بسقوف ذات أقبية متقاطعة أو برميلية ، وكانت كل قاعة من تلك القاعات مخصصة لأمراض مختلفة ، وقد تعرض هذا البيمارستان لزلزال وقع في القرن ٩هـ/١٥م ، وأدَّى إلى هدم أجزاء كبيرة منه ، ولم يبق من البناء الأصلي للبيمارستان إلا جزءٌ صغير ، وهو يستخدم حاليًا بازارًا .

دار الحديث :

تُنسب إلى واقفها الأمير شريف الدين عيسى بن محمد بن أبي القاسم الهَكَّاري ، وقد أنشأها ووقفها في سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م - ١٢٦٨ م ، وتسمى « دار الحديث الهَكَّاريَّة » .

قامت هذه الدار بدور ملموس في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، وركَّزت على الحديث وما يتصل به من العلوم . وتولى مشيختها والتدريس فيها عدد من أشهر علماء الحديث . واستمرت تؤدي دورها الفكري عدة قرون . وتتكون هذه الدار من طابقين ، وساحة مكشوفة ، فيها عدد من الغرف الكبيرة والصغيرة ، وكانت تستعمل للتدريس والسكن .

المدرسة الكريمية :

تُنسب إلى واقفها الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس ، شيَّدها سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م ، ولها كتاب وَقف ذكره مجير الدين العليمي الحنبلي ، وكان كريم الدين محبًّا للعلم والعلماء ، مهتمًّا بهما . وقد قامت هذه المدرسة بدورها في

الحركة الفكرية في القدس ، وتولّى مشيختها والتدريس فيها عددٌ من العلماء ، واستمر التدريس فيها حتى القرن ١٢ هـ / ١٨ م . وتتكون هذه المدرسة من عدد من الغرف المتباينة الحجم والمساحة ، وكانت تستعمل للتدريس ، وسكنى للمدرّسين وطالبي العلم .

المدرسة الأشرفية :

تقع داخل الحرم الشريف ، بين بابي السلسلة والمطهرة ، وتحدها من الشمال المدرسة العثمانية ، ومن الغرب المدرسة البلدية ؛ كما أن المدرسة الأشرفية تواجه قبة الصخرة المشرفة من جهة الغرب .

وتعدُّ من أعظم المعالم التي بناها المماليك في بيت المقدس ، وقد اكتمل إنشاؤها في عهد السلطان المملوكي قايتباي سنة ٨٧٧ هـ /١٤٨٢م ، وظلت مزدهرة متألقة حتى داهمتها هِزة أرضية عام ٩٥٢هـ/١٥٤٥م دمرت معظم الطابق الأول منها ، على أنَّ الجزء القليل الذي بقي يشي بالعناصر المعمارية والزخرفية التي كانت تتحلى بها ، وتدلُّنا على مدى التنوع المعماري الذي كان يزين هذا المَعْلَم الفريد ، وقد وصفها المؤرخ مجير الدين الحنبلي بالجوهرة الثالثة في بيت المقدس ، يقول :

« كانوا يقولون قديمًا إن مسجد بيت المقدس به جوهرتان هما الجامع الأقصى وقبة الصخرة الشريفة ، وهذه المدرسة صارت جوهرة ثالثة ، فإنها من العجائب في حسن المنظر ولطف الهيئة » .

وقد تم بناء هذه المدرسة مرتين خلال مدة زمنية لا تقل عن سبعة عشر عامًا ، ابتداء من عام ٨٧٠ هـ إلى عام ٨٨٧ هـ ، المرّة الأولى خلال أعوام ٨٧٠ هـ و ٨٧٢ هـ ، في عهد السلطان خشقدم ، على يد ناظر الحرمين الشريفين الأمير

حسن الشريف ، وكانت مدرسة متواضعة صغيرة الحجم ، تقوم فوق الرّواق الغربي للحرم الشريف .

وانتقلت الملكية الشرفية للمدرسة بعد وفاة السلطان خشقدم عام ٨٧٢ هـ إلى السلطان قايتباي الذي زار القدس عام ٨٨٠ هـ ، ولم يعجبه منظرها القديم ، فأمر بهدم البناء القديم وأقام مكانه مبنىً جديدًا يليق بمستواه السلطاني .

وبدئ ببناء أساسات المدرسة الجديدة في عام ٨٨٥ هـ ، فقام المعماريون ببناء قاعة الاستقبال (القاعة الشمالية) ، تحت الرّواق ، على حين استمروا في إزالة المدرسة القديمة الواقعة فوق الرّواق .

وفي عام ٨٨٦ هـ تم استدعاء فريق من المعماريين والنحّاتين ، والحجّارين المهَرة ، المختصين في أعمال العمارة والزخارف الإسلامية من مصر للمساهمة في بناء المدرسة . وقد اكتمل بناء المدرسة الأشرفية في عام ٨٨٧ هـ حسب ما يشير إليه النصُّ التذكاري الموجود على المدخل الرئيس للمدرسة ، وأمر السلطان قايتباي بزيادة الأوقاف الموقوفة على المدرسة نتيجة لعملية توسيعها وتجديدها . ولقد كثرت المدارس في مدينة القدس حتى صارت قبلة للعلماء ، وتعددت معارف هؤلاء العلماء و مؤلّفاتهم ، ومنهم على سبيل المثال عالِم الرياضيات شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد المشهور بـ « ابن الهائم » - توفي ٨١٥ هـ / ١٤١٢م - ولهذا العالِم العديد من المؤلّفات في علوم الحساب والجبر والمقابلة والهيئة وغيرها من العلوم ، لكن أبرز مؤلفاته « نزهة النفوس في بيان التعامل بالفلوس » ، وقد أمدنا هذا المؤلّف بكثير من المعلومات عن الحياة الاقتصادية في القدس ، وبخاصة المعاملات المالية المختلفة التي كانت مستخدمة في المدينة آنذاك ، وقد قام بتأليفه في القدس عام ٨٠٣ هـ ، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٨٧١ ، وتقع في إحدى وستين صفحة من القطع المتوسط ، وقد قسمها إلى خمسة أبواب .

جامع عمر بن الخطاب :

أقيم هذا الجامع في المكان الذي صلى فيه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في القدس ، بعد الفتح الإسلامي ، وكان خليفة المسلمين قد رفض الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يقيم المسلمون مسجدًا في المكان الذي يصلي فيه خليفتهم .

عُني المسلمون بهذا الجامع منذ إنشائه ، فجدَّدوا بناءه سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م ، في العصر الأيوبي ، وأعادوا بناء مئذنته سنة ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م ، في العصر المملوكي ، وهي مئذنة مربعة الشكل جميلة التكوين .

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ **د. محمد الرُّبيِّع :**

أشكر الباحثين على ما قدّماه . وأقول : لابد من إحياء سُنَّة الوقف في الوقت المعاصر ، ومثلما كانت هناك أوقاف على الحرمين والقدس والأزهر وغيرها ، يجب أن تكون هناك أوقاف للصالح العام في التعليم والتنمية .

■ **أحد الحاضرين :**

منبر صلاح الدين الأيوبي ، تاريخيًّا هو منبر نور الدين زنكي ، الذي حمله من حلب إلى القدس ، وأُعيد في عهد صلاح الدين بعد الانتصار على الصَّليبيين ، وسمّي بـ « منبر صلاح الدين » .

وهو تحفة لا مثيل لها ، يتكون من ثلاثة آلاف قطعة فنيَّة متداخلة بطريقة التعشيق ، أي بدون مسامير أو غِراء . وقد أحرقت قوات الاحتلال الإسرائيلي هذا المنبر في الحادي والعشرين من أغسطس عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

أثير موضوع ترميمه في أكثر من جلسة خاصة في المؤتمر الإسلامي لبيت المقدس ، وفي وزارة الأوقاف ، وفي لجنة إعمار القدس بالأردن . وأخيرًا أُعدت مخططات لتنفيذ هذا المشروع ، وتبرَّع الملك حسين بن طلال لإنجاز ترميم المنبر ، وتم استقدام مجموعة من الطّلبة بمدرسة الفنون المغربيَّة ، ودُرِّبوا ، وأقاموا بجامعة البَلْقاء التطبيقيّة ، ودَرَّبوا أردنيين ، واستمرَّ العمل فيه من سبع إلى ثماني سنوات .

والآن أصبح المنبر جاهزًا ، وكان مقررًا أن ينتقل إلى بيت المقدس في الحادي

والعشرين من أغسطس الحالي ، لكن الأحداث التي قامت في لبنان وفلسطين حالت دون ذلك ، وأُجّل الموضوع حتى يتم الاحتفال بطريقة مناسبة من خلال تَظاهُرة حاشدة ، والآن يتم إنشاء منبر شبيه يطوف العالم الإسلامي .

■ د. محمد الرُّبيِّع :

شكرًا على هذه الإضافة العلمية التي أفدنا منها ، والأمل موجود في أن يتم نقل المنبر للمسجد الأقصى المبارك ، وقضيَّة النسخة الثانية من المنبر قضيَّة تحرك المشاعر تجاه القضيَّة الفلسطينيَّة .

■ د. محمد عدنان البخيت :

أضم صوتي إلى صوت د. خالد عزب ، فالفضل راجع في تجميعه إلى د. جمال بدران صاحب المشغل الكبير في رام الله ، فهو الذي وضع المخططات ونقلها إلى عَمّان ، وأراها للملك حسين ، وبعد أن توفي الملك ، طلبت الجمعية المَلَكيَّة عمل د. جمال بدران ، ولم تستطع فكّ المنبر ، فاستقدموا خبراء من المغرب وتركيا وإيران ، لكن دون جدوى ، فاستُقدم مهندس عراقي اسمه منوّر المِهيد ، وكان يعد رسالته للدكتوراه في إنجلترا حول المنبر ، ودرس على الحاسوب الرسومات الفنيَّة ... واستطاع فك الرموز ، وجمع المنبر ، وتم الاستعداد لنقله ، لكن ظروف الاحتلال ، والنصيحة السياسية التي أسديت ، والتي تفيد بأن هذا الوقت ليس مناسبًا ، كانتا وراء تأجيل الأمر .

وأحبّ أن أذكر هنا نقطتين :

الأولى : أن الفضل الأول لجمال بدران . **والثانية** : أن الفضل النهائي لمنوّر المِهيد ، الذي حُوكِم على عمله ، وغُرِّم مبلغًا ضخمًا .

■ د. علي السيد علي :

د. عبلة تكلّمت عن السجلات ، وسؤالي هنا هو : كيف نحصل على نسخة منها ؟ وأنا أتكلم هنا بالنيابة عن جامعتي ، وعن الجمعية المصرية للدراسات التاريخيَّة ، ولقد خاطبتُ الجامعة الأردنيَّة ولم يردوا ، فليتك تعطينا فكرة عن كيفيّة الحصول على نسخة من هذه السجلات .

■ د. عبلة المهتدي :

بالنسبة للدكتور علي السيد علي ، أشكر اهتمامه الكبير بمحاولة اقتنائه مصورة من سجلات محكمة القدس الشرعيَّة ، لكن - كما أسلفت - كانت هناك جهود مُضْنية جدًّا من قِبَل د. البخيت في تصوير هذه الوثائق وحفظها في المركز ، ومن سياسة المركز عدم إخراج هذه الوثائق خارج المركز ، ومن هنا حاولنا الشروع في عمل فهارس تحليلية لهذه السجلات ليَسهُل للباحثين الاطلاع عليها .

■ د. خالد عزب :

في تقديري أن السجلات - في محتواها - ملك عام ، فلا يجوز حجبها عن الباحثين ، أعني أنه إذا كانت كل جامعة أو مؤسسة ستحجب ما لديها من وثائق فإن الحركة العلمية ستتوقف .

والحل - في تقديري أيضًا - يكمن في الرقمنة ، ولنترك الأصول في أماكنها .

والمعلومات القيمة التي ذكرها الأستاذ الفاضل عن المنبر أشكره عليها ، وفي الحقيقة إنني لم أكن أعلمها ، ونتمنى أن تنشر دراسة د. منوّر المهيد ولو بالإنجليزية ، ثم نترجمها في ما بعد .

وأما بخصوص الدلالات الحضارية لوثيقة الوقف فأقول : هناك في وثيقة

الوقف دلالات اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، فأرض السفارة الأمريكية بالقدس - مثلاً - أرض أوقاف . وثائق الوقف تفيد في دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية ... إلخ ، ويجب أن تحظى باهتمام الجميع على مختلف المستويات .

■ د. محمد الرُّبيِّع :

أعتقد أن البحوث التي تثير تساؤلاً وجدلاً وإضافة هي بحوث جيدة . والرسائل المتعلقة بتراث القدس بشكل عام، وكذلك المخطوطات والوثائق، يجب أن يكون هناك تعاونٌ قوي من أجلها ، ولا بدَّ أن نخرج من هذه الندوة بشيء من التوصيات في هذا الصَّدد .

■ د. محمد عدنان البخيت :

في ما يتعلق بسجلات المحاكم الشرعيَّة للقدس وبعض المدن الفلسطينية :

أولاً : لا يوجد لدينا في الأردن منها ورقة واحدة ، لكن لدينا صورة ميكروفيلمية ، والنُّسخ الأصليَّة محفوظة في أماكنها في فلسطين ، وعندما بدأ الزملاء بإنشاء مركز إحياء التراث بالقدس ، بدأوا بجمع بعضها أو تصوير بعضها ؛ ولأن المحكمة الشرعيَّة في القدس تابعة للمحكمة الشرعيَّة في عَمّان ، فلم تسمح لهم إلا بالتصوير .

ثانيًا : السجلات المحفوظة صورتها الميكروفيلمية بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنيَّة ، ليست حكرًا على الباحثين الأردنيين ، بل هي متاحة لجميع الباحثين في جميع أنحاء العالم .

ثالثًا : هذه السجلات في وضع مادّي يَصْعُب معه الاستنساخ منها ، لأن

عمرها الافتراضي انتهى . أما النسخ الموجودة في جامعة كولومبيا وجامعة هارفارد فليست من عمّان .

وهناك توأمة منذ عشرين عامًا بين مشروع هارفارد - ونسخته في عَمّان بالجمعية العلميَّة الملَكيَّة التي تشرف عليها السيدة المصرية دوريس أبو سيف - وبين الجامعة الأردنية ، لكن ما وصل إلى جامعتي هارفارد وكولومبيا ، وصل عن طريق حازم نسيبة وليس من عَمّان .

■ **د. محمد الرُّبيِّع :**

أعتقد أن الوثائق المصوَّرة إذا اشترطت جهتها ألاّ يصوّر منها ، فيجب أن يكون هناك التزام شرفي ، لكن يمكن إعادة التصوير من جديد ، أو معالجة هذه الوثائق إليكترونيًّا .

* * *

الجِلْسة السابعة :

القدس : المكان والمكانة

القدس في الرؤية التاريخية والجغرافية العربية والإسلامية

د. شمس الدين الكيلاني(*)

د. يوسف زيدان (رئيس الجلسة) :

عنوان هذه الجلسة « القدس : المكان المكانة » . وبين اللفظين فارق « تاء التأنيث » ، لكن الفرق في المعنى كبير . والشيخ الصوفيّة الأكبر محيي الدّين بن عربي (ت ٦٣٨هـ) رسالةٌ لطيفةٌ عنوانها « ما لا يعوَّل عليه » ، جاء فيها : « المكان الذي لا يؤنث لا يعـوَّل عليه » . ولهذا الأمـر قراءتان : الأولى بسيطة ، وهي أن المكان الذي لا يصير مكانة فلا معنى له . والمعنى الثاني الأعمق أن المكان الذي يخلو من الحس الأنثوي المجدّد للأشياء لا يعوَّل عليه . فماذا عن القدس المكان والمكانة ؟

في هذه الجلسة بحثان : الأول بحث د. شمس الدين الكيلاني ، وهو باحث من حلب معروف انشغل بالقدس وتراثها . وكتب في ما كتب : « رمزيَّة القدس الروحيَّة : قداسة المكان » ، وله « الطريق إلى القدس » . وله اهتمام - أيضًا - بالصورة الذهنية ، فقد نشر كتابين : « صورة أوروبا عند العرب » ، و « صورة الشعوب السوداء والثقافة العربيَّة الوسيطة » .

والبحث الثاني للدكتور محمد عبد الوهاب جلال أستاذ الرياضيَّات الفلكيَّة ، وهو باحث بتاريخ العلوم بمركز السيّداج ، وله بحوث متخصصة في « تاريخ الرياضيَّات في مصر في القرن التاسع عشر » ، وله أيضًا « تعميمٌ لنظرية أينشتين » . كتب د. جلال عن تألُّق كثير من العلوم العربيَّة ، وتلمذ للدكتور رشدي راشد .

* * *

يقع الوعي التاريخي العربي - الإسلامي بالقدس في إطار التاريخانية الإسلامية العامة التي ترى في الجماعة الإسلامية تجسيدًا ختاميًا وكاملاً للوحي في التاريخ ، ومن هنا قام هذا الوعي على تقسيم التاريخ العالمي إلى ما قبل الإسلام وما بعده . وإذا كانت طريقة المؤرخ قد أخذت تستقل نسبيًا عن طريقة المحدِّث في مرحلة نضج التدوين التاريخي العربي ، فإن هذا لم ينفِ أن الوعي الإسلامي التاريخي قد تعامل

(*) باحث تراثي - سوري .

مع تاريخ القدس باعتباره ركامًا من أحداث ذات أهمية مقدسة ، ورثته الجماعة/ الأمة المسلمة، بحكم استخلافها على النبوة، بعد أن نُزعت من بني إسرائيل الذين انحرفوا عنها . بهذا المعنى يرى الوعي الإسلامي أن الله قد استبدل أمة النبي ﷺ بالأمم السالفة ، ولذلك فإن هذه الأمة هي آخر أمم الوحي قبل يوم القيامة[1] .

لذا كان لا بد لهذا الوعي أن يدوِّن سرديَّته لتاريخ القدس في إطار سرديَّة أشمل للتاريخ الكوني ، إذ دمج الإسلامُ القدسَ في صلب منظومته الجغرافية المقدسية المكوَّنة من (البيت الحرام في مكة ، والمسجد النبوي في المدينة ، والمسجد الأقصى في القدس) . بل إن فتح المسلمين للقدس يحضر في تلك السَّردية على أنه تصديقٌ لوعدٍ نبوي مسبقٍ بفتح الشام ، وإقامة المسلمين في القدس ، وتناسلهم فيها . وحين فتح المسلمون القدس كانت صورتها المسبقة الراسخة في وعيهم تقوم على أنها أولى القِبْلتين ، وثالثُ الحرمين ، ومَسْرى النبي ﷺ ومعراجه إلى سدرة المنتهى في السماء ، وأرض المنشَر والمحشَر في نهاية العالم .

ولعل هذا ما يفسر أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب حين فتح القدس وزحف بين أكوام « الزبالة » المتراكمة على جبل الحرم ليحدد بناء المسجد الأقصى ، فإنه كان يسلِّم بالقِدم الإلهي لهذا المكان المقدس « المبارك حوله » ، فهذا القدم أسبق من البناء نفسه ، ويشترك في ذلك مع الأصل السماوي لمكة ، بل إنه - على وفق السَّردية الإسلامية - بنته الملائكة بعد أربعين عامًا من بناء مكة قبل أن يخلق الله شيئًا من الأرض ، ووصل الله مكة بالمدينة ، والمدينة ببيت المقدس ، ثم خلق الأرض كلها بعد ألف عام خلقًا واحدًا[2] .

---

(١) رضوان السيد ، الجماعة والمجتمع والدولة ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧، ص٢٥ .

(٢) ضياء الدين المقدسي ، فضائل بيت المقدس ، تحقيق : مطيع الحافظ، دمشق ١٩٨٥ ، ص٤٨ . قارن مع شهاب الدين أبي محمود بن تميم المقدسي ، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام ، تحقيق أحمد الخطيبي ،دار الجيل ، بيروت ، دون تاريخ ، ص١٣٢ .

إن قداسة المكان هنا قديمة وليست محدَثة ، وليس البناء إلا إشارة أو تجسيد لهذه القداسة التي تغمره وتشمله .

لقد حكم هذا الوعي التدوينَ التاريخي العربي - الإسلامي منذ العهد الراشدي ، وتبلور شكله في أواخر القرن الثالث الهجري ، إلا أننا نجد جذوره في كتب السيرة والطبقات ، كما نستطيع أن نجد فيه نويَّات فكرة التواريخ العامة ، والتواريخ على السنين (الحوليات) ، وتاريخ البلدان والمدن في إطار التاريخ العام للأمة الإسلامية ، وموقعها في مركز التاريخ العالمي(1) . ومن هنا ليس ممكنًا أن نجد أي مؤلف من مؤلفات هذا التدوين ولا سيما مؤلفات السيرة والغزوات والفتوح خاليًا من ذكر القدس ، بشكلٍ يمكن فيه القول تقريبًا إنه ما من شيء في الإيستوغرافيا الإسلامية يخلو من القدس .

لقد اندمج التاريخ المقدس الشعري لهذه المدينة مع التاريخ الزماني النثري ، فإذا دخلنا إلى هذا التاريخ من جانبه الشعري المقدس الأول ، فإننا ندخل محراب المسجد الأقصى لنطل عبره على تاريخ بنائه ومراحله ، وعلى الأنبياء والصالحين الذين التصق تاريخهم بتاريخ هذا الصعيد المقدس على جبل الحرم ، والذي تجسد بناءً ثم تقوض ثم جُدِّد بناؤه ، إلا أنه بقي حقيقة مقدسة ترتسم قدسيتها على صدر الحرم وفي « الصخرة الشريفة » ، في قيام البنيان أو مع اندثاره .

أما إذا دخلنا إلى هذا التاريخ من جانبه الزماني النثري على وفق ما كان يعرفه المؤرخ العربي في زمنه عنه ، فإننا نجد أن هذا المؤرخ يحقِّب هذا الجانب بالرجوع إلى الأمم التي ارتبط تاريخها بالقدس ، سواء كان هذا الارتباط من زاوية رعايتها لقداسة المسجد الأقصى أم تنكُّرها له وتراجعها عن خدمته . ويبدأ التاريخ البشري للمدينة المقدسة هنا ، على وفق رؤية المؤرخ العربي ، باستقرار العرب الكنعانيين

(1) شاكر مصطفى ، ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج1 ، بيروت ، 1978 ، ص89 .

فيها ثم تاريخ العائلة الإبراهيمية التي تفرع منها العرب ، مذكرًا بالأدوار البابلية والفارسية واليونانية والرومية التي مرّت بها المدينة ، وصولاً إلى الفتح العربي ، الذي تنتقل عنده دورة الزمن الإسلامي للقدس الوارث لزمنها المقدس كله لتمتد إلى يوم القيامة .

إن هذين الجانبين متكاملان في الرؤية التاريخية العربية للقدس ؛ فالتاريخ القدسي المؤسس على وحدة أطراف المنظومة الجغرافية المقدسة (مكة ، المدينة ، القدس) يمثل الشكل القدسي لوحدة الجغرافية البشرية الأقوامية ما بين منطقة الجزيرة العربية والشام . وسنحاول هنا - لغايات البحث - التمييز - ما أمكن - إجرائيًا بين هذين التاريخين القدسي والزماني ، كما يظهران في وعي المؤرخ القديم ، وسنبدأ أولاً بتاريخ القدس الماورائي العام ما قبل الإسلام ، لنطل بعدها على الرؤية الإسلامية لموقع القدس في التاريخ الأقوامي والجغرافي العربي .

أولاً - إعادة بناء تاريخ القدس الماورائي ما قبل الإسلام :

كي نفهم منهج المؤرخ الإسلامي في إعادة بناء تاريخ القدس ، لا بد من الإشارة إلى أنه دأب على ربط حوليات التارخ العربي الإسلامي بتارخ الأمم السابقة التي تتسق مع سيرة الرسل والملوك ، من هنا أتى تأريخه للقدس قبل الإسلام محمَّلاً برهانات إعادة بنائه للتاريخ الكوني من منظور إسلامي . ويتداخل البشري في عملية إعادة البناء تلك مع لحظات النبوي ، فهناك في هذه العملية عمومًا ثلاث حلقات كبرى في سلسلة النبوة ، هي حلقة نبوة آدم وأبنائه ؛ وحلقة نبوة نوح وأولاده سام وحام ويافث ؛ حيث تتفرع العرب العاربة والبائدة عن سام ، أما الحلقة الثالثة الكبرى فتتمركز حول إبراهيم الخليل الذي يرى فيه المسلمون « أبا الأنبياء » وجدَّ العرب ، وجد النبي ﷺ . وقد تفرعت عنه سلالتان ،

تتعلق الأولى بابنه إسماعيل « أبو العرب » ، وتصْدُر الثانية عن ابنه إسحاق ومن بعده يعقوب (إسرائيل) ويوسف ثم موسى ، وفي النهاية سليمان وداود ثم المسيح . ويرى الوعي الإسلامي أن الوحي قد تجسد في هؤلاء الأنبياء بصور مختلفة قبل أن يكتمل في نبوة محمد خاتم الأنبياء .

وقد اعتمد المؤرخ الإسلامي في هذه السَّردية على إعادة بناء ما يسميه ابن إسحاق في سيرته بـ « أهل العلم الأول » أي « أهل الكتاب » من توراة وإنجيل بشكلٍ تتَّسق فيه مع معطيات النص القرآني عمومًا و « قصص القرآن » خصوصًا ، ولا يخفى هنا التداخل ما بين مفهوم « القصص » القرآني وبين مفهوم « التاريخ » منظورًا له باعتباره ركامًا من أحداث ذات صفة غائية مقدسة .

وقد جعل ذلك المؤرخَ الإسلامي يدمج « الإسرائيليات » انتقائيًّا في سرديته ، فكان وَهْبُ بن مُنَبِّه (ت ١١٤هـ) أولَ من قام بذلك ، إلاّ أن محمد بن إسحاق (ت ١٥٢هـ) الذي أوصل في بداية العهد العباسي « علم السيرة والمغازي » إلى شكله المكتمل ، كان أول من نقل عن التوراة والإنجيل اللذين يُعدّهما الإسلام من الكتب السماوية ، لكن التي طرأ عليها التحريف ، ووصفهم بـ « أهل العلم الأول »[1] ، وغدا هذا النقل عن « أهل الكتاب » بمثابة تقليد للمؤرخين الكلاسيكيين العرب .

وقد أتاح لهم امتصاص معطيات ذلك « العلم » وتحويلها إسلاميًّا في سردية إسلامية مميزة للتاريخ العام ما قبل الإسلام ، يتسق مع مفهوم الأمة / الجماعة عن نفسها تجسيدًا للوحي في التاريخ منذ ظهوره واكتماله مع النبي ﷺ وانقطاعه بعده .

(١) عمر رضا كحالة ، التاريخ والجغرافية في العصور الوسطى الإسلامية ، المطبعة التعاونية ، دمشق ، ص ٢٤ - ٢٥ .

يرى بعض المؤرخين الإسلاميين أن سام بن نوح (الذي تفرع عنه العرب العاربة والبائدة) هو أول من بنى القدس ، فيرى مجير الدين الحنبلي أن دعوى تأسيس سام بن نوح للقدس ومسجدها ، هو أمر « ظاهر » ؛ « لأن سام بن نوح هو الذي اختطّ مدينة القدس وبناها ، وكان ملكًا عليها ، فلا يبعد أن يكون أسَّس المسجدَ من حين بناء المدينة »[1] . والملفِتُ في هذه الرؤية هو المطابقة ما بين سام بن نوح (أصل العرب العاربة والبائدة) وبين ملكي صادق اليبوسي / الكنعاني ، إذ ترى أنه أول من بنى القدس واختطّها ، وكان ملكًا عليها تحت اسم « ملكي صادق » بعد أن كانت خاوية من أي بناء .

وأشار مجير الدين إلى « أن ملكي صادق نزل بأرض بيت المقدس ، وقطَن بكَهْف من جبالها يتعبد فيها ، واشتُهر أمرُه حتى بلغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من أرض بيت المقدس ، بالشام وسدوم وغيرها ، وعدَّتهم اثنا عشر ملكًا ، فحضروا إليه ، فلما رأوه وسمعوا كلامه ، اعتقدوه وأحبوه حبًّا شديدًا ، ودفعوا له مالاً ليعمر به مدينة القدس ، فاختطّها وعمَّرها ، وسميت بـ « روشليم » ، ومعناها « بيت السلام » ، فلما انتهت عمارتها اتفقت الملوك كلها أن يكون ملكي صادق ملكًا عليها ، وكَنَوْه بأبي الملوك ... ولما بنيت مدينة بيت المقدس كان محل المسجد في وسطها ، وهو صعيد واحد ، والصخرة الشريفة قائمة في وسطه »[2] ، ويعني ذلك أن الكنعانيين ، أي أمة ملكي صادق ، هم الذين أسسوا القدس وليس اليهود ، حتى إن تسميتها « أورشليم » أتت من الكنعانيين وليس من العبرانيين ، وهو ما سنتوقف عنده لاحقًا .

---

(١) القاضي مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج١ ، (نسخة مصورة في المكتبة الوطنية بحلب) ص٧ - ٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص٩ .

(أ) موقع السيرة الإبراهيمية في هذه السَّردية : الحدث المؤسس نبويًّا وأقواميًّا :

يعتقد المسلمون - في ضوء ما تقدم - أن بناء العائلة الإبراهيمية للمسجد الأقصى قد قام على أساس قديم ، أي إنه كان ابتناءً وليس ابتداءً . ومن ثم فهم يعدّونه بمثابة إعادة تجديد لبناء المسجد الأقصى ، الذي بني وفق السَّردية الإسلامية قبل خلق العالم . من هنا حرص المسلمون - فوق ذلك ، نتاجًا لاندراجهم الطبيعي والأصلي في العائلة الإبراهيمية - على التذكير بالسيرة الإبراهيمية ، وبخروج إبراهيم مع ابن أخيه لوط « إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين » ، وعلاقته مع مدينة القدس ، باعتبار أن اقترابه من القدس هو جزء من سردية الإسلام لها .

ومن هنا في إطار تبلور المنظومة الجغرافية الإسلامية المقدسة (مكة ، المدينة ، القدس) ضمُّوا السيرة الإبراهيمية لتشمل القدس والشام والجزيرة العربية من خلال اعتقاد المسلمين أن إبراهيم الخليل هو الذي بنى مع إسماعيل « أبي العرب » الكعبة في مكة .

ومن الملفت هنا في الوعي الإسلامي - الذي شكّل العرب المسلمون في الجزيرة العربية بالنسبة له الحاملَ البشري للوحي وتجسيده في آنٍ واحد - أن الحدث التأسيسي الإبراهيمي هو مؤسس هنا للعرب نبويًّا وأقواميًّا في آنٍ واحد ، فكما أن إبراهيم هو أبو العائلة الإبراهيمية التوحيدية بدوراتها اليهودية والمسيحية والإسلامية الخاتمة ، فإنه جدُّ العرب الذين تقول السَّردية العربية - الإسلامية : إن العربَ وُلدت من صلب ابنه إسماعيل .

وإذا كانت المعرفة الدينية بطبيعتها معرفة فوق تاريخية ، فإن المعرفة التاريخية بطبيعتها معرفة حدثية ووثائقية ، ويدمج المؤرخ الإسلامي هنا بين المعرفتين في

إعادة بنائه لسردية الأصل الإبراهيمي المؤسس ؛ فالتاريخانية الإسلامية مثل كل تاريخانية أخرى ، لا بد لها من أصل مؤسس يحكم حبكة تتالي الحوادث ، أي عبرتها أو غايتها الثاوية . ولعل تسليم المؤرخين الإسلاميين بأن إبراهيم الخليل هو « أبو الأنبياء » و « أول المسلمين » ، يجعل منه شخصية تخترق حياة الأمة / الجماعة وفهمها لنفسها ، إنه الجذر المؤسس .

وعلى الرغم من أن الحلقة الإبراهيمية في السَّردية الإسلامية للتاريخ العام هي الحلقة الثالثة ، فإن اعتقاد المسلمين بمرجعيتها التأسيسية له ، قد دفعت المؤرخين الإسلاميين الذين كانت وظيفة تاريخانيتهم تتمثل ببناء وعي الجماعة/ الأمة بتاريخها ، إلى اعتباره محطة تحديد فاصلة في التاريخ نفسه ، فذهبوا إلى تحديدهم لعُمْر نوح وطوفانه بالقياس إلى عُمْر إبراهيم . ويذكر الطبري أن « جملة السنين من الطوفان إلى ولادة إبراهيم مائتان وسبع وتسعون سنة »[1] . وبذلك كرَّس المؤرخون المسلمون إبراهيم الخليل على أنه علامة دالة على المبدأ المؤسس للأمة منذ تكونها الأول ، بقدر ما كانت إعادة تصور إبراهيم بهذه الطريقة قد كفلت لهؤلاء المؤرخين اتساق سرديتهم حول وحدة الأمة .

ومن هنا فإن منهج هؤلاء المؤرخين في السَّردية ما قبل الإسلام يقوم بشكل متواتر على وضع إبراهيم علامة فارقة في ترتيب توالي الأحداث السابقة واللاحقة . ونجد ذلك واضحًا في عناوين بعض فصولهم ، كما فعل المسعودي في « مروج الذهب » حين عَنْون أحد فصوله « قصة إبراهيم ومن تلا عصره من الأنبياء والملوك من بني إسرائيل وغيرهم »[2] ، وكما عنون الطبري أحد فصول

(١) الطبري ، أبو جعفر بن جرير ،تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعارف، مصر ١٩٦٠ ، ص٢٣٣ .

(٢)المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ ، ط٤ ، مطبعة دار السعادة ، مصر ١٩٦٤ ، ص٤٤ .

كتابه « ذكر إبراهيم ومن كان في عصره من ملوك العجم »[1] .

ويكشف ابن كثير الرؤية الإسلامية لأصلها الإبراهيمي بـ « جعل (الله) في ذريته (إبراهيم) النبوة والكتاب ، فكل نبي بعث بعده ، هو من ذريته ، وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء بعده ، أحد نسله وعَقِبه »[2] . ويسوق الطبري في قصة إبراهيم : « وقال عامة السلف من أهل العلم : كان مولد إبراهيم عليه السلام في عهد نمرود بن كوش »[3] ، ثم يورد : « خرج إبراهيم مهاجرًا إلى ربه وخرج معه لوط (ابن أخيه) مهاجرًا ، وتزوج سارة ابنة عمه ، فخرج بها معه يتلمس الفرار بدينه حتى نزل حرَّانَ ، فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجرًا حتى قدم مصر ، وبها فرعون... »[4] . كما يذكر الطبري رواية نصّها : « خرج إبراهيم من مصر إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ، وهي بريّة الشام... »[5] .

وما يهمُّنا هنا من صلة الوعي التاريخي الإسلامي بسردية العلاقة الأصلية مع إبراهيم ، هو الصلة ما بينها وبين القدس ؛ ففي هذا النص ينظر الطبري - كما ينظر المؤرخون المسلمون الآخرون - إلى الشام وحدةً جغرافية تضم القدس وفلسطين في كنفها . ومن هنا يذكر أبو الفداء « أن إبراهيم سار من مصر إلى الشام ، وأقام بين الرملة وإيلياء (القدس) »[6] . ويتم تأويل الآية ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ص٢٢٤ - ٢١٠ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، مكتبة العارف ، والنصر بيروت - الرياض ١٩٦٦ ، ص١٤٩ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ص٢٣٣ .

(٤) نفسه ، ص٢٤٤ . قارن مع المسعودي ، أخبار الزمان ، ط٢ ، بيروت ١٩٦٦ ، ص١٠٣ .

(٥) الطبري ، نفسه ، ص٢٤٧ .

(٦) عماد الدين إسماعيل أبو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ، تحقيق أحمد الخطيبي ، دار الجيل - بيروت ، دون تاريخ ، ص١٣ .

﴿ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١] مع هذا الفهم ، ولذلك يقول ابن كثير : « هاجر (إبراهيم) إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه ، والأرض التي قصدها بالهجرة ، أرض الشام ، وهي التي قال الله عز وجل فيها : ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ »[1] . ويذكر ابن كثير أن إبراهيم لما هاجر من بابل خرج بسارةَ مهاجرًا من بلاده . وذكر أهل الكتاب أنه لما قدم الشام أوحى الله إليه : إني جاعل هذه الأرض لخَلَفك من بعدك . فابتنى إبراهيم مذبحًا لله شكرًا على هذه النعمة ، وضرب قبَّته شرقيَّ بيت المقدس... ثم ارتحل إلى مصر ... ثم أخرجهم فرعون منها ، فرجعوا إلى بلاد التيمن ، يعني بيت المقدس »[2] .

يذهب المسلمون في إطار اعتقادهم أنهم الأمة الوارثة للتوحيد الإبراهيمي ، إلى أن الوعد الإلهي بامتلاك هذه الأرض ، إنما أعطي لذريته من إسماعيل ، أي للعرب . فيروي المؤرخون المسلمون أن فرعون أهدى سارةَ بسبب فضيلتها جاريةً اسمها هاجر ، وكانت سارة قد منعت الولد ، فلا تلد لإبراهيم حتى أسنَّت ، فوهبت هاجر له ، وقالت له : « فخُذْها لعل الله يرزقك منها ولدًا ، فوقع إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل »[3] . إلا أن هاجر لما حملت أخذت تخاف غيرة سارة منها ، فهربت ونزلت عند عين في بلاد الشام ، فنزل عليها ملَك من الملائكة ، فقال لها : « لا تخافي فإن الله جعل هذا الغلام ، الذي حملت خيرًا ، وأمرها بالرجوع ، وبشّرها أنها ستلد ابنًا وتسميه إسماعيل ، تكون يده على الكل ، ويد الكل به ، ويملك جميع بلاد إخوته ، وشكرت الله » .

(١) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص١٥٠ .

(٢) نفسه ، ص١٥٠ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ص٤٧ . قارن مع أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج١ ، . دار العراق، بيروت ١٩٥٥ ، ص٢٨ . ومع أبي الفداء ، المصدر السابق ، ص١٣ .

وكي نفهم آلياتِ الوعي التاريخي الإسلامي هنا في العلاقة الأصلية مع إسماعيل والبشارة الإلهية به ، فإن ابن كثير يعلّق على هذا الوعد : « هذه البشرى إنما انطبقت على ولده محمد ﷺ، فإنه الذي سادت به العرب وملكت جميع البلاد غربًا وشرقًا ، وآتاها الله (لأمة محمد) من العلم النافع والعمل الصالح ، ما لم تؤتَ أمة من الأمم قبلهم ، وما ذاك إلا بمشرق رسولها على سائر الرسل ، وبركة رسالته ، ويمن بشارته ، وكماله في ما جاء به ، وعموم بعثته لجميع أهل الأرض »[1] .

ثم يتجه إبراهيم وفق السَّردية الإسلامية مرة أخرى برحلته الثانية (إسرائه الأرضي من حول القدس إلى مكة) بعدما وُلد له إسماعيل من هاجر وإسحاق من سارة ، تنفيذًا لأمر الله ببناء بيت له يعبد فيه . فبعث الله السكينة (وهي ريح تسير بأمر الله) لتدلّه على موضع البيت . ومضت السكينة ، ومع إبراهيم هاجر زوجته وابنه إسماعيل ، حتى أتت به مكة .. وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقرُّ السكينة ، وهناك بنى البيت العتيق ، وبعد أن بنى البيت خرج إلى أهله بالشام[2] .

(ب) الفرعان الإبراهيميان : الإسماعيلي والإسحاقي :

يرى الوعي الإسلامي أن المسلمين ورِثوا جميع الصِّلات التي ربطت الأنبياء بالقدس ، استنادًا إلى أن النبي ﷺ هو وَريثُهم جميعًا ، والذي ينحدر من نُبوَّات العائلة الإبراهيمية التي كثفت المعانيَ السابقة للرسالات في التوحيد ، مثلما أنه ابن إسماعيل بالمعنى السُّلالي والقدسي للكلمة . إن موروثات العائلة الإبراهيمية التي انحدرت منها اليهودية والمسيحية تعود هنا - على وفق الوعد

(١) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص١٥٣ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ص١٥٤ .

الإلهي - إلى أبناء إسماعيل . وهو ما فصَّله تاريخ النص القرآني للوحي على وفق منهجه . فيكون الوعد الإلهي بامتلاك بيت المقدس وما حوله (الشام) وعدًا لنسل إسماعيل من إبراهيم ، أي وعدًا للعرب ، وتروي السَّردية الإسلامية أن إبراهيم قام برحلتين من موقعه قرب بيت المقدس إلى مكة . وقد ابتغى في الرحلة الأولى إسكان إسماعيل وأمه هاجر في مكة ، في حين ابتغى في الرحلة الثانية تنفيذ أمر الله ببناء المسجد الحرام في مكة .

تمثل هاتان الرحلتان إسراءً أرضيًّا إبراهيميًّا لـ « أبي الأنبياء » ، في اتجاه معاكس لرحلة الحفيد محمد . فتمَّ بهاتين الرحلتين الوصلُ روحيًّا بين القدس ومكة قبل الإسراء المحمدي الذي وصل بينهما ، ثم ربط ما بينهما بعُروجه إلى السماء ، إذ لما اشتدَّت غيرةُ سارة من هاجر بعد ولادتها إسماعيل ، طلبت من إبراهيم أن يغيب وجه هاجر عنها ، فوضعها إبراهيم مع رضيعها في دوحة فوق زمزمَ عند البيت العتيق ، وليس بمكة يومئذ أحدٌ ولا ماء ، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر ، وسقاءً فيه ماء[1] . ورجع إلى سارة في الشام ، في حين ظلت هاجر وحيدة مع إسماعيل في وادٍ غير ذي زرع تواجه الجوع والعطش ، وإذا هي بالملَك عند موضع زمزم « فبحث بعقبِه ، أو قام بجناحه حتى أظهر الماء ، فجعلت تخوضه »[2] ، ثم أتت قبيلة جُرْهُم اليمانية فنزلت مكة ، وتزوج إسماعيل منها ، وتعلم العربية منها ، فكانت من أولاده العرب ، نابت وقيدر - بحسب الطبري - ومنهما نشر الله العرب[3] .

أما اليعقوبي فيقول : « إن الله ختم بإسماعيل وولده النبوة ، واتَّصل خبرُهم بخبر رسول الله ﷺ ، والخلفاء ، وذكرت الروايات والعلماء ، أن إسماعيل بن

(١) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص١٥٤ .

(٢) نفسه ، ص١٥٥ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ص٣١٤ .

إبراهيم أول من نطق بالعربية ، وعمّر البيت الحرام ، وقام بالمناسك ، وأن إسماعيل أول من شق الله فاه باللّسان العربي »[١] .

ويقول ابن كثير : « وعرب الحجاز كلُّهم ينتسب إلى ولديه (إسماعيل) نابت وقيدار »[٢] ، كما يشير أيضًا إلى أن إسماعيل هو « أول مَنْ تكلم بالعربية الفصيحة البليغة ، فقد أخذ كلام العرب من جرهم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم »[٣] .

لقد فصَّل المؤرخون العرب المسلمون تفرعات السُّلالة الإبراهيمية النبوية نبيًّا نبيًّا ، وأشكال علاقتها بالقدس ، واعتبروا هذه العلاقة جزءًا من تاريخهم ، بوصفهم كمالَ تلك السُّلالة وورثتَها . وتتألَّف تلك التفرُّعات من فرعين أساسيين : الأول يرتبط بإسماعيل ثم ينتهي نسبه إلى محمد مرورًا بعدنان ، أما الفرع الثاني فيبدأ بإسحاق ابن سارة . ويذكر بعضُهم حلْقة أخرى من سُلالة إبراهيم ، إذ يروون أن إبراهيم تزوج بعد موت سارة امرأتين من العرب ، إحداهما قَنطورة بنت يقطان التي ولدت له ستة بنين[٤] . لكن العائلة النبوية الإبراهيمية تقتصر في السَّردية الإسلامية على ذريتي إسحاق وإسماعيل . ويحرص المؤرخون المسلمون على تتبع ذرية إسحاق النبوية التي تنتهي عند داود وسليمان ، إذ تتوالى - على وَفْق تلك السَّردية - النكباتُ على اليهود حين يبدأ انحرافهم عن الدين الإبراهيمي الذي هو الإسلام ، وهو ما سيؤثر في مصير القدس ، إلى أن يحتضنها العرب المسلمون ، ليستعيدوا السيرة الإبراهيمية ويكملوها .

(١) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص٢٥١ .

(٢) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص١٩٣ .

(٣) نفسه ، ص١٢١ .

(٤) الطبري ، المصدر السابق ، ص٣١١ .

وفي إطار ذلك الحرص نقرأ عند المسعودي : « تزوج إسحاق بعد إبراهيم برفقا ابنة بتوايل ، فولدت له العيصَ ويعقوبَ في بطن واحد ، وذهب بَصَرُ إسحاق ، فدعا يعقوب بالرياسة على أخويه ، والنبوة في ولده ، ودعا للعيص بالمُلْك في ولده . وقد أمر ولده يعقوب بالمسير إلى أرض الشام ، وبشَّره بالنبوة ، ونبوة أولاده الاثني عشر »[1] . ثم تُتابع السَّردية الإسلامية هذه السُّلالة النبوية ، إلى رحلة موسى من مصر ، ثم داود وسليمان عبر ارتباطهما بتاريخ القدس ومصيرها ، هذا المصير ، الذي سيفترق على وفق السَّردية الإسلامية عن تاريخ اليهود طردًا مع انحرافهم عن التوراة وعن الدين الإبراهيمي الذي هو الإسلام .

(جـ) تجديد بناء المسجد الأقصى : الابتناء لا الابتداء :

يرى المؤرخون المسلمون أن داود وسليمان (وهما من السُّلالة الإبراهيمية النبوية) قد جدَّدا بناء المسجد الأقصى على أرض الحرم ، وكان أول من بناه من البشر بعد الملائكة هو سام بن نوح أو(ملكي صادق الكنعاني لدى بعضهم) ، ويشير الطبري إلى أنه « لما اجتمعت بنو إسرائيل على داود ، أنزل الله عليه الزَّبور ، وكان إذا قرأ الزَّبور تَرْنو له الوحوش »[2] . أما مجير الدين الحنبلي فيورد حديثًا عن رافع بن عُمير ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قال تعالى لداود: يا داود ابنِ لي بيتًا في الأرض ، فبنى داود بيتًا لنفسه قبل البيتِ الذي أمره الله به ، فأوحى الله إليه: يا داود ، بنيتَ بيتَكَ قبل بيتي ، قال: أي ربِّ ، هكذا نلت في ما قضيت من ملك استأثر ، ثم أخذ في بناء المسجد ، يعني بيت المقدس »[3] .

وتدل السَّردية التاريخية الإسلامية أن الله هو الذي دلَّ داود على مكان المسجد ،

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، المصدر السابق ، ص٤٧ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ص٤٧٨ .

(٣) الحنبلي ، المصدر السابق ، ص١٠٣ .

مما يعني أن قداسته قديمة أو إلهية ، فقد « روي أن الله تعالى لما أمر داود عليه السلام أن يبني مسجد بيت المقدس ، قال : يا ربِّ أين أبنيه ؟ قال : حين ترى الملك شاهرًا سيفه . قال : فرآه داود في ذلك المكان ، فأسَّس قواعده ورفع حائطه ، فلما ارتفع انهدم ، فقال داود : يا ربِّ أمرتني أن أبنيَ لك بيتًا ، فلما ارتفع هدمته . فقال : يا داود إنما جعلتك خليفتي في خلقي فلِمَ أخذتَ المكان من صاحبه بغير ثمن ، إنه سيبنيه رجل من ولدك »[1] .

أما الطبري فيذكر الرواية الآتية : « لما طلب داود من الله العفو عن بني إسرائيل ، استجاب الله له ، ورفع عنهم الموت (أي الطاعون) ، فرأى داود الملائكة سالِّين سيوفَهم ، ويرتقون في سلَّم من الصخرة إلى السماء ، فقال داود : هذا مكان ينبغي أن يبنى فيه مسجد . فأراد داود أن يأخذ في بنائه ، فأوحى إليه أن هذا بيتٌ مقدَّس ، وأنَّك قد صبغتَ يديك في الدِّماء ، فلست ببانيه ، ولكن ابنٌ لك أملِّكه من بعدك اسمه سليمان ، فلما ملك سليمان بناه »[2] .

غير أن المؤرخين المسلمين يجمعون على أن بناء سليمان للمسجد الأقصى هو تجديدٌ لبنائه القديم وليس تأسيسًا له ، أي هو ابتناء وليس ابتداء ، يقول ابن كثير : « وقد قدَّمنا أنه (سليمان) جدَّده »[3] ، مدلِّلاً على ذلك بحديث أبي ذر عن النبي ﷺ ، أن بين بناء المسجدين (الحرام والأقصى) أربعين عامًا . « ومعلومٌ أن بين إبراهيم الذي بنى المسجد الحرام وبين سليمان أزيدُ من ألف سنة وأربعين سنة »[4] . من هنا يؤكد مجير الدين الحنبلي هذه الرؤية بقوله : « فعمارة داود وسليمان عليهما السلام لمدينة القدس إنما هي تجديدُ البناء القديم ، فأولُ مَنْ بنى المدينة

(١) الحنبلي ، المصدر السابق ، ص١٥٤ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ص٢٤٥ .

(٣) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٤) نفسه ، ص٢٦ .

وعمَّرها واختطَّها سامُ بن نوح »[1] . بل حاولت السَّردية الإسلامية أن تفصِّل في وصف تجديد النبي سليمان ﷺ لبنائه ، كما فعل مجير الدين الحنبلي .

وتتَّسق سرديَّتهم التفصيلية لإعادة بناء المسجد الأقصى مع رؤية النبي ﷺ لعلاقته الأصلية والأولية مع العائلة الإبراهيمية النبوية ، وأن الإسلام ما هو إلا عودةٌ بالديانات التوحيدية إلى منبعها الأصلي الإبراهيمي قبل أن يطرأ عليها الانحراف . من هنا سجّل المؤرخون المسلمون في مدوناتهم التاريخية العامة تاريخ الافتراق ما بين بني إسرائيل وبين التوراة والزبور ، وفي موازاة ذلك غربة القدس عنهم بعد أن « انحرفوا » و « ضلُّوا » ، فكان تخريب بيت المقدس ونفي اليهود عنه هنا عقابًا إلهيًّا ، ولم يُستَعد الاتحاد ما بين الإيمان والقدس إلا مع دخول المسلمين إليها ، وانغمارها في تاريخ أمة المسلمين .

واعتمد هؤلاء المؤرخون على ما جاء في القرآن من قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ [الإسراء : ٤ - ٥] . فيروي ابن كثير عن وَهْبِ بن مُنَبِّه : « أوصى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له (أرْمِيا) حين ظهرت فيهم المعاصي ، أنْ قمْ بين ظهراني قومك فأخبرهم أن لهم قلوبًا لا يفقهون ، وأعينًا لا يبصرون ، وآذانًا لا يسمعون ... إن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه آباءهم ، والتمسوا الكرامة من غير وجهها ، أما أحبارهم فأنكروا حقّي ، وأما قراؤهم فعبدوا غيري ... فيا ويل إيلياء (القدس) وسكانها ، أذلّلهم للقتل ، وأسلّط عليهم السِّباء ، وأعيد بعد جلب الأعراس صراخًا ،

---

(١) الحنبلي ، المصدر السابق ، ص١٠٦ .

وبعد صهيل الخيل عواء الذئب »[1]. كما يروي أيضًا أن (بُخْتَ نَصَّر) قدِم بيت المقدس ، فصالحه مَلِكها ، وأخذ منه بخت نصر رهائن ورجع ، ولما بلغ طبريَّة بلغه أن بني إسرائيل ثاروا على مَلِكهم فقتلوه لأجل أنه صالحه .. فرجع إليهم وأخذ المدينة (بيت المقدس) عنوة ، وقتل المقاتلة ، وسبى الذرية[2] .

وأما الطبري فيروي « أن بُخْتَنصَّر وجد في سجن بني إسرائيل أرْمِيا النبي ، وكان الله بعثه نبيًّا - في ما بلغنا - إلى بني إسرائيل يحذرهم ما حلَّ بهم من بُخْتَنصَّر ، ويعلمهم أن الله سلط عليهم من يقتل مقاتليهم ، ويسبي ذراريهم ، إن لم يتوبوا وينزِعوا عن سيئ أعمالهم . فقال له بُخْتَنصَّر : ما خَطْبُك ؟ فأخبره أن الله بعثه إلى قومه ليحذرهم الذي حلّ بهم ، فكذبوه وحبسوه . فقال بُخْتَنصَّر : بئس القوم قومٌ عصوا رسول ربهم ! وخلّى سبيله وأحسن إليه ، وفي ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل »[3] . وهو أمر أشار إليه المؤرخ أبو الفداء الذي اعتمد على هذه السَّردية ، وأخذ معه (بُخْتَنصَّر) « جملة كثيرة من بني إسرائيل ، وأحرق القدس ، وهدم البيت الذي بناه سليمان ، وأحرق وأباد بني إسرائيل »[4] .

ثم عمَّر « البيت » أو المسجد الأقصى مجدَّدًا « بعضُ ملوك الفرس واسمه عند اليهود كيرش »[5] ، « فيكون ابتداء عمارته الثانية لمضي ألفٍ وسبع وستين سنة لوفاة موسى ، ولمضي تسع وثمانين سنة من ابتداء مُلْك بُخْتَنصَّر ... ثم غلبت اليونانُ الفرسَ ، وصارت بنو إسرائيل تحت حكمهم ... حتى قتلوا زكريا بعد ولادة المسيح »[6] .

---

(١) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٤ .
(٢) نفسه ، ص٣٩ .
(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ص٥٣٩ .
(٤) أبو الفداء ، المصدر السابق ، ص٣١ .
(٥) نفسه ، ص٣١ .
(٦) نفسه ، ص٣٧ .

ويسجّل المؤرخون المسلمون في إطار التاريخانية الإسلامية - التي ترى في « العبرة » حبكة « الحوادث » وغايتها - أن « سبي » اليهود ودمارهم على يد نبوخَذْ نصر ليس إلا عقابًا إلهيًّا لهم ، من جراء انحرافهم عن الوحي وتنكُّرهم للأنبياء الذين يحملونه . وليس نبوخَذْ نصر في هذه التاريخانية إلا أداة لا واعية لما أراد الله من عقاب بـ «اليهود».

(د) إعادة بناء السَّردية الماورائية للقدس :

ترى السَّردية التاريخية الإسلامية أن الله قد بعث ، في إطار تصحيح انحراف بني إسرائيل عن العقيدة الإبراهيمية الحقَّة ، عيسى ابن مريم نبيًّا فيهم . وتعيد هذه السَّردية بناء السَّردية الماورائية للقدس ، ومن هنا تشغل حادثة قتل حاكم القدس اليهودي هيرودوس ليحيى بن زكريا (يوحَنّا المَعْمدان) حيزًا بارزًا في تلك الاستعادة . وعلى وفق هذه الاستعادة فإن زكريا وعمران كانا متزوجين من أختين ، ووُلد لزكريا ابنه يحيى (يوحَنّا المَعْمدان) ، في حين وُلد لعمران من زوجته (حنة) ابنته مريم ، وعندما مات عمران تكفّل زكريا بمريم . إلا أن هيرودوس قطع رأس يحيى (يوحَنّا) نزولاً عند رغبة ابنة امرأة له - بحسب الطبري - أو ابنة أخيه - بحسب ابن الأثير - بعد أن نهى يحيى هيرودوس عن هذا الزواج ، وأعلمه أنها لا تحل له .

ويقف الطبري عند هذا الحدث الجلَل ، ويصوره تراجيديًّا فيقول : « فأتى هيرودوس برأسه ، والرأس يتكلّم ، ويقول : لا تحل لك ، فلما أصبح ، إذ دمه (دم يحيى) يغلي ، فأمر (هيرود) بتراب فألقي عليه ، فرقَى الدمُ فوق التراب يغلي ، فألقى عليه التراب أيضًا ، فارتفع الدم فوقه ، فلم يزلْ يلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة »[1] . وتتحدد وظيفة هذه الصورة التّراجيديَّة في التدليل على

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ص٥٨٧ .

غضب الله على ما فعله حاكم القدس اليهودي بنبيِّه يحيى وسخطه على بني إسرائيل .

ثم يروي الطبري قصة مريم بنت عمران استنادًا إلى النص القرآني ، من خلال الملاك جبريل الذي يُعْلِم مريم العذراء بولادتها القدسية للمسيح ، وإرساله في بني إسرائيل ، ويستخدم الطبري الصورة الرمزية الكبرى هنا ، مستندًا على الرواية القرآنية ، في سرد لجوء مريم إلى النخلة حين اشتد بها المخاض : « فأصبحت الأصنام حين وُلدت بكل الأرض مقلوبة منكوسة على رؤوسها ، وفزِعت الشياطين وراءها ، فلم يدروا ما سبب ذلك » . وتنكيس الأصنام هنا طردًا مع ولادة السيد المسيح هو ترميزٌ لرسالة المسيح التوحيدية أو الإسلامية ، إذ ترى هذه السَّردية أن الإسلام هو الدين الذي بشّر به السيد المسيح ودعا إليه .

ومن هنا تذهب السَّردية الإسلامية في وصفها لولادة السيد المسيح ، فتؤول « الربوة » ، مكان الولادة ، بـ « بيت المقدس » في آية ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون : ٥٠][1] ، ويفصل مجير الدين الحنبلي ذلك بأن « مريم أوتيتْ فاكهةَ الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ببيت المقدس ، وولد فيه عيسى عليه السلام كما تعلّم في المهد هناك ، وأنزلت عليه المائدة في أرض بيت المقدس ، وماتت مريم ودفنت فيها »[2] . إلا أن بني إسرائيل أنكروا نبوّة المسيح الذي كلّمهم بالمهد ، ورموا زكريا أبا يحيى (يوحنا الذي سبق لهم أن قتلوه) الذي تكفّل بمريم بعد موت أبيها عمران بذلك، « فأدركوه وقتلوه »[3] ، وبذلك قتلوا زكريا بعد أن قتلوا ابنه يحيى .

(١) شهاب الدين المقدسي ، المصدر السابق ، ص٧٤ .

(٢) الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٢١٢ .

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص١٧٧ .

وروى ابن الأثير رحلة عيسى وأمه إلى مصر ، ثم عودته وأمه « إلى الشام » حيث « نزلوا بقرية يقال لها « الناصرة » ، وبها سميت النصارى ، فأقام إلى أن بلغ ثلاثين سنة ، فأوحى الله إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله تعالى ، ويداويَ الأكمهَ والأبرصَ وغيرهم من المرضى » كما يتوقف عند اضطهاد اليهود له ، ورميه بالسحر ، واجتماع كلمتهم على قتله : « فأمر رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه نطليانوس أن يدخل إليه فيقتله ، فدخل فلم يرَ أحدًا (بعد أن حجزوه في موضع) ، وألقى الله عليه شبهَ المسيح ، فخرج إليهم ، فظنوه عيسى وصلَبوه »[1] .

ويشير الطبري إلى « أن أمه (أم عيسى) والمرأة التي كان عيسى يداويها فأبرأها الله من الجنون ، جاءتا تبكيان .. فقال : إني قد رفعني الله إليه ، ولم يصبني إلاّ خير ، وإن هذا شُبِّه لهم ، وأمر الحواريين أن يلقوه »[2] وهم الذين يشهدون ، على وفق سيرة ابن هشام النبوية ، استنادًا للنص القرآني ، أنهم « مسلمون »[3] .

ويذكر الطبري أنه « بعد أربعين سنة من وقت رفع المسيح ﷺ ، وجَّه إسيانوس ابنه طيطوس إلى بيت المقدس حتى هدمه وقتل من قتل من بني إسرائيل غضبًا للمسيح »[4] ، وكأنه يرى ، على نحو ما في إطار تاريخانية العبرة الإلهية التي تكشف عنها « الحوادث » ، أن ذلك لم يكن إلا عقابًا إلهيًّا على إنكار بني إسرائيل للمسيح واضطهادهم إياه .

---

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص١٨١ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ص٦٠٢ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، القسم الأول ، ص٢٤ . قارن مع ابن كثير ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١١٨ .

(٤) الطبري ، المصدر السابق ، ص٦٠٦ .

ثانيًا ـ التاريخ الجامع : والوعد الإلهي المسبق بفتح القدس :

يصبُّ الفكر التاريخي الكلاسيكي العربي - الإسلامي في امتصاصه لتاريخ « العلم الأول » عند « أهل الكتاب » الذي يقدم نفسه بوصفه تاريخًا عامًّا للعالَم ، وتحويل هذا التاريخ على وفق المنظور الإسلامي في إطار ما يمكننا تسميته بـ « التاريخ الإسلامي الجامع » ، وينبني ذلك على حقيقة أن النص القرآني الذي مثَّل مرجعية هذا الفكر في إعادة بناء تاريخ « العلم الأول » ، يقدم الإسلام بوصفه ديانة جامعة لا ديانة مانعة ، أي ديانة تقبل التعايش مع غيرها من الديانات[١] التي تعترف بها ، وهي - هنا بشكل أساسي - ديانات «أهل الكتاب». فقد انفصل بنو إسرائيل بانحرافهم ، على وفق هذا التاريخ الجامع ، عن الدين الإبراهيمي : دين الإسلام ، دين إسحاق ويعقوب وموسى وداود وسليمان ؛ وهو ما جعل الله يفرض العقاب عليهم بالقضاء على وجودهم في بيت المقدس ، فكان لا بد للعرب المسلمين أصحاب النبوة الخاتمة ، والأمة الخاتمة المستخلَفة في الأرض من أن يصلوا القدس بتاريخهم ، ويجددوه على أساس ما يربطهم من إيمان بقدسيتها ، وقد عززت ذلك الوحدةُ الأقواميةُ والجغرافيةُ التي تربط القدس وأهلها بالأَرُومة العربية ، كما نوَّه مفسرون كُثُرْ مسلمون بأن اليهود أفسدوا بقتلهم أنبياءهم ، وأن نبوخَذْ نصر البابلي هو الذي قضى على علوهم وإفسادهم الأول ، ثم أفسدوا ثانيةً بقتلهم زكريا ويحيى ، فقضى الرومان على علوهم لإفسادهم الثاني[٢] .

ولم تكن مفارقة - تبعًا لهذه الرؤية - أن تكون القدس في بداية الدعوة الإسلامية هي القبلة الأولى للمسلمين في صلاتهم التي كانوا يؤدونها في شعاب

(١) ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ط٢ ، ترجمة السيد الباز العريني ، بيروت ١٩٨١ ، ص٣٠ .

(٢) حسن مصطفى الباش ، القدس بين الرؤيتين ، دار قتيبة ، دمشق - بيروت ١٩٩٧ ، ص١١٧ .

الجبال ، ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين قبل غروبها على ملّة إبراهيم مستقبلين الكعبة(١) . وقد كان النبي ﷺ يجمع في صلاته قبل الهجرة إلى يثرب ، بين القبلتين ، فيروى عن ابن عباس قوله : « كان رسول الله ﷺ يصلي وهو بمكة ، نحو بيت المقـدس والكعبة بين يديه . وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرًا ، ثم صرف إلى الكعبة »(٢) في شعبان بعد سبعة عشر شهرًا من مقدَم النبي ﷺ إلى المدينة ، التزامًا بالآية ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة : ١٤٤](٣) .

إلا أن تغير اتجاه القبلة لم يُغلق الذاكرة الإسلامية المقدسية ، إذ روى اللَّيْث عن يونس عن الزُّهْري ، قال : لم يبعث الله منذ هبط آدم إلى الأرض نبيًّا إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس(٤) ، كما أن مآل الكعبة والمسجد النبوي في نهاية العالم مع جميع مساجد الأرض سيكون إلى بيت المقدس(٥) .

لقد أتت رحلة الإسراء والمعراج لترسّخ في الوعي التاريخي الإسلامي ما يراه هذا الوعي من علاقة قديمة بالمعنى الإلهي للقِدم ما بين البيت الحرام (مكة) وبيت المقدس (القدس) . وقد تم الإسراء إبان الطّور المكي للدعوة الإسلامية أي قبل الهجرة النبوية إلى المدينة ، وأشارت إليه الآية ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [الإسراء : ١] . وتشير رواية الصَّحابي

(١) محمد الحبش ، سيرة رسول الله ، دار النور ، دمشق ١٩٩٣ ، ص٤٣ .

(٢) المقدسي (ضياء الدين) ، المصدر السابق ، ص٥٤ . قارن مع ابن كثير ، المصدر السابق ، ص٢٥٣ .

(٣) ابن هشام ، المصدر السابق ، ص٥٥٠ .

(٤) المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ص٢٢٠ . قارن مع الحنبلي (مجير الدين) ، المصدر السابق ، ص١٧١ - ١٧٢ .

(٥) الحموي (ياقوت) ، المصدر السابق ، ص٣٧٧ - ٣٧٨ .

شدَّاد بن أوس إلى أن الطريق الذي ذكر النبي ﷺ أنه سلكه في إسرائه من مكة إلى القدس ، على ظهر البُراق ، هو طريق نبوي ، إذ يصلي بيثرب ثم بطيبة ثم بمدينَ ثم عند شجرة موسى ، ثم ببيت لَحْم حيث ولد المسيح ابن مريم ، ثم في المسجد الأقصى[1] . ويبدو إسراء النبي ﷺ هنا استعادة لرحلة جده إبراهيم الأرضية بين القدس ومكة ، فتم الربط ما بين أنبياء العائلة الإبراهيمية ، كما تم ربط الحجاز (مكة) مع الشام (القدس ، بيت لحم) في وحدة قدسية .

ولقد سجلت هذه الرحلة عُروجَ النبي ﷺ إلى السماء من فوق صخرة بيت المقدس ، كما صلى النبي ﷺ بجانب الصخرة على أرض المسجد الأقصى ، وأمَّ الأنبياء جميعًا ، وهو ما يشير إليه الحديث المرويُّ عن النبي ﷺ « ... فأخذ بيدي جبريل فقدمني ، فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل : يا محمد أتدري مَنْ صلى خلفك ؟ قلت : لا . قال : صلى خلفك كل نبي بعثه الله »[2] ، مؤكدًا بذلك استمرارية التكامل مع الديانات التوحيدية التي سبقته ، ووراثته لتلك النُّبوَّات ، وإتمامه لها ، وإمامتها[3] .

ومن هنا انتشرت عدة أحاديث نبوية ترى في بيت المقدس أرض المحشَر والمنشَر ، فمنه ينفخ في الصور يوم القيامة ، ومن صخرته ينادي المنادي[4] ، بل هناك أحاديث تشير إلى أن المسلمين سيجتمعون في نهاية الزمان في القدس ، وسيكون خَلاصُهم من « الدَّجال » ، الذي يظهر ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سلاح وسيف في القدس ، على يد عيسى المسيح الذي يذوب الدجال أمامه « كما يذوب الرَّصاص في النار ، وكما يذوب الملح في الماء » ، ثم يدركه المسيح

---

(١) المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ص٢٦٧ .

(٢) محمد حسن شراب ، بيت المقدس والمسجد الأقصى ، دمشق ١٩٩٤ ، ص٣٢٩ .

(٣) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١١٦ .

(٤) الحموي (ياقوت) ، معجم البلدان ، جمعه عبد الله النبهان ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ج١ ، ص٣٧٨ .

عند باب اللد ويقتله[1] .

لقد تجذَّر فتحُ القدس مسبقًا في الوعي الإسلامي ، وعدًا إلهيًا نبويًا ، إذ فسرت الآية ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] على أنها الأرض المقدسة ، ترثها أمة محمد[2] ، وهو ما يفسّر الأحاديث النبوية المبشّرة بفتح الشام ، أي فتح الأرض التي بارك الله بها حول المسجد الأقصى على وفق الآية ﴿ ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١]. ويروى عن ذي الأصابع الجُهَني أنه قال: يا رسول الله إنِ ابتُلينا بعدك فما تأمرنا ؟ فقال : « عليك ببيت المقدس لعل الله يرزقك ذرية تغدو إليه وتروح »[3] ، كما روي عن شداد بن أوس الخزرجي (ت ٥٨هـ) أنه قال : « لما دنت وفاة رسول الله ﷺ قام شدادُ بن أوس ثم جلس ، ثم قام ، ثم جلس ، فقال رسول الله ﷺ : « ما قلقك يا شداد ؟ » فقال : يا رسول الله ضاقت بي الأرض ، فقال : « ألا إن الشام سيفتح إن شاء الله ، وبيت المقدس سيفتح إن شاء الله ، وتكون أنت وولدُك من بعدك أئمة بها إن شاء الله »[4] .

وذهب بعض المؤرخين العرب المسلمين إلى أن فتح الشام كان تبعًا لذلك ضمن الاهتمامات العملية للنبي ﷺ ، وأن « غزواته » الشامية كانت إشارة واضحة للسير بهذا الاتجاه . ومن هنا يذكر الواقدي أنه عندما « وصل كتاب عمر (ابن الخطاب) إلى قادة المسلمين يأمرهم بالتوجه إلى القدس ، فرحوا بمسيرهم

(١) عبد القادر بن بدران ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ج١ ، دار المسيرة ، بيروت ١٩٧٩ ، ص١٩٢ - ١٩٣ . قارن مع المقدسي (ضياء الدين) ، المصدر السابق ، ص٦٥ - ٦٦ .

(٢) المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ص٧٣ .

(٣) الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج٤ ، القاهرة ١٣١١هـ ، ص٦٧ . قارن مع المقدسي (ضياء الدين) ، المصدر السابق ، ص٧٠ .

(٤) المقدسي (ضياء الدين) ، المصدر السابق ، ص٦٩ - ٧٠ .

إلى بيت المقدس »[1] ، إذ استقرت القدس نهائيًّا وبشكل مسبق في المخيال الإسلامي بوصفها طرفًا من أطراف المنظومة الجغرافية الإسلامية المقدسة : مكة ، المدينة ، القدس .

ويشير الواقدي في « فتوح الشام » إلى قوة هذا المخيال وحيويته حين وقف الفاتحون المسلمون على أسوار المدينة المقدسة ، يقول : ما نزل أحد منهم « إلا كبَّر وصلى » ، « وكل أمير يريد أن يُفتح (بيت المقدس) على يديه ، فيتمتع بالصلاة فيه ، والنظر إلى آثار الأنبياء ، ولما أضاء الفجر أذن ، وصلّت الناس صلاة الفجر ، فقرأ يزيد لأصحابه ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ ﴾ [المائدة : ٢١] ، فيقال : إن الأمراء أجرى الله على ألسنتهم في تلك الصلاة أن قرأوا هذه الآية ، كأنهم على ميعاد واحد »[2] .

إن تفحُّص المدوَّنات التاريخية العامة (التاريخ العام) بما فيها كتب الفتوح ، يبيّن أن المؤرخ العربي الإسلامي قد أظهر عملية فتح القدس على أنها تلبية لوعد إلهي مسبق يشكل المسلمون حامله أو أداته ، ولعلَّ تفحُّص السَّردية التاريخية العربية لفتح القدس يوضح ذلك ، إذ يروي ابن كثير رواية متناقَلة على نطاق واسع تفيد « أن عمر بن الخطاب عندما كان شابًّا ، قدم في تجارة إلى دمشق ، فجاء ديرًا لراهب جلس عنده ، وأدخله الراهب الدير ، وأطعمه وأسقاه ، وجعل يحقق النظر فيه ، ويتوسَّمه ، ثم قال لعمر : هل لك أن تكتب لي كتاب أمان على ديري هذا ؟ ولم يزل (أي استمر بإلحاحه) حتى كتب له صحيفة بما طلب منه ، فلما قدم (عمر) لفتح بيت المقدس أتاه ذلك الراهب ، وهو بالجابية ، بتلك الصحيفة ، فأمضاها له عمر »[3] .

(١) أبو عبد الله الواقدي ، فتوح الشام ، ج١ ، دار الجيل بيروت ، دون تاريخ ، ص٢٢٩ .

(٢) نفسه ، ص٢٣٠ - ٢٣١ .

(٣) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص٥٩ .

وتشير هذه الرواية إلى أن أصحاب « العلم الأول » وهم هنا رجال الدين المسيحيون في القدس البيزنطية ، كانوا يترقبون - على وفق ما جاء في كُتبهم - هذا الفتح ، حيث يقول الواقدي : إن البطريرك الأرثوذكسي للمدينة صفرونيوس قال لأصحابه المحاصَرين عندما اشتد الحصار على بيت المقدس : « إننا نجد في العلم الذي وَرِثْناه عن المتقدِّمين أن الذي يفتح الأرض في الطُّول والعَرْض ، هو الرجل الأسمر الأحور المسمى عمر صاحب نبيهم محمد ، فإن كان إياه عمدت إليه وصالحته ، وإن كان غيره ، فلا تسلّم إليه قطُّ ، لأن مدينتنا لا تفتح إلاّ على يد من ذكرته » .

وعندما أطلَّ البطريرك من السور ليتعرّف على قائد المسلمين ، ووجد أبا عبيدة ، وكان قائد رجال الفتح آنئذ ، نظر البطريرك إليه ، فقال : « ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا »(1) . ودخل في حوار مع أبي عبيدة بن الجراح قائلاً : « ماذا تريدون منا في هذه البلدة المقدسة ؟ أجابه أبو عبيدة : نعم إنها شريفة ومنها أسرى نبيُّنا إلى السماء ، ودنا من ربه - قاب قوسين أو أدنى - وأنها مدينة الأنبياء وقبورهم فيها ، ونحن أحقُّ منكم بها » . فيختم البطريرك الحوار بقوله لأبي عبيدة : « أنا أقسم بالمسيح أنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة ما فتحتموها أبدًا ، وإنما يفتح هذه البلدة صاحب محمد اسمه عمر يُعرف بالفاروق ، وهو رجل شديد لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولسنا نرى صفته » . ونظرًا لوجود شبه كبير بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ، رضي الله عنهما ، ارتأى أمراء المسلمين تقديم خالد للبطريرك على أنه عمر ، وعندما رآه البطريرك قال : « وحقِّ المسيح فإنه هو ولكن باقي العلامات ما هي فيه » ، وعندها قرر المسلمون الكتابة إلى عمر يطلبون منه الحضور(2) .

(1) الواقدي ، المصدر السابق ، ص٢٣٢ .

(2) نفسه ، ص٢٣٣ - ٢٣٥ .

وقد قدم عمر مع كثير من الصحابة وفي مقدِّمتهم العباس عم النبي ﷺ إلى القدس ، وحين دخل الشام عرضت له مخاضة فنزل عمر عن بعيره (كي لا يثقل عليه) وخاض الماء ومعه بعيره ، قال له أبو عبيدة : « قد صنعت اليوم صنيعًا عظيمًا عند أهل الأرض »[1] ، وتلقاه هنا في الشام « رجل من يهود دمشق ، فقال : السلام عليك يا فاروق . أنت صاحب إيلياء (القدس) ؟ لا ها الله لا ترجع حتى يفتح الله عليك إيلياء »[2] .

ويشير المؤرخ الأزدي إلى أن البطريرك صفرونيوس عندما رأى عمر بن الخطاب أمامه قال : « هذا والله الذي نجد صفته ، ويكون فتح بلادنا على يديه . ثم قال لأهل بيت المقدس : انزلوا إليه واعقدوا معه الأمان والذمة ، هذا والله صاحب محمد بن عبد الله ، ففتحوا الأبواب ، وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والميثاقَ والذمة ، ويقرّون له الجزية »[3] .

ثم كتب عمر عهدًا لصفرونيوس بتنظيم العلاقة ما بين المسلمين والكتابيين في القدس ، وهو ما شكّل أحد أعلى وثائق العدالة والتسامح في ذلك الزمن . وكان أول عمل قام به عمر بعد دخوله القدس هو التوجه إلى مكان المسجد الأقصى ، الذي كان البيزنطيون قد حوّلوه إلى مزبلة ، « فنظر عمر وتأمل مليًّا ، ونظر يمينًا وشمالاً ، ثم قال: الله أكبر ، هذا والذي نفسي بيده مسجد داود عليه السلام الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أسري به إليه ، ووجد على الصخرة زبلاً كثيرًا مما طرحه الروم غيظًا لبني إسرائيل ، فبسط عمر رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل ، وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل ، ثم مضى نحو محراب داود ، وهو الذي

---

(١) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص٥٩ - ٦٠ .

(٢) نفسه ، ص٥٩ .

(٣) محمد بن عبد الله الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص١٥٨ .

على باب اللد في القلعة ، فصلى فيه ، ثم قرأ (سورة ص) وسجد »[1] ، وأقام عمر مسجدًا عند الحافة الجنوبية للحرم ، وكان مبنى المسجد خشبيًّا متواضعًا يتماشى مع مبدأ التقشُّف الإسلامي للمسلمين الأوائل[2] .

ثالثًا ـ موقع القدس في النموذج الأقوامي (السُّلالي) العربي ما قبل الإسلام :

ما نستخلصه من النموذج الأقوامي (السُّلالي) العربي أن منطقة الجزيرة العربية والشام ووادي الرافدين تشكل وحدة جغرافية بشرية تصدر في تعدديتها القَبَلية عن أصل واحد يرتدُّ إلى سام بن نوح « أبي العرب » ، ويتَّضح موقع القدس في هذه الوحدة الجغرافية البشرية ، في أن المؤرخين العرب المسلمين كافة يجمعون على أن العماليق (الكنعانيين) الذين ينتسبون ، على وفق نموذجهم السُّلالي ، إلى العرب البائدة ، هم أول من استقر في بلاد الشام (تشمل حاليًا سورية ولبنان والأردن وفلسطين التاريخية) .

وإذ ينفرد بعض المؤرخين بنسبة الكنعانيين سلاليًّا إلى حام بن نوح (الحاميين) ، فإنهم لا يخرجون عن ذلك الإجماع في أنهم أول من استقر في القدس والشام . ومن هنا يسمي المسعودي في بعض رواياته بلاد الشام بـ « وطن كنعان » ويقول : « ونزل كنعان بن حام بلاد الشام فهم الكنعانيون ، وبهم تعرف تلك الديار ببلاد كنعان »[3]. والكنعانيون - على وفق ابن الأثير - هم « الجبابرة بالشام »[4] ، ويتتبع أصولهم على وفق طبقة العرب البائدة ؛ يقول : « فكانت طَسْم والعماليق

(١) الحنبلي (مجير الدين) ، المصدر السابق ، ص٢٣٧ .

(٢) كارين أرمسترونغ ، القدس٣٩٠ . : مدينة واحدة وعقائد ثلاث ، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني ، القاهرة١٩٩٨ ، ص٣٨٩ - ٣٩٠ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص١٤٤ .

(٤) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص٤٤ .قارن مع الطبري ، المصدر السابق ، ج١١ ، ص٢٠٣ - ٢٠٤ .

(الكنعانيون) وأميم وجاسم قومًا عربًا لسانهم عربي »[1] .

ويجذّر المؤرخ العربي أحيانًا النَّسَب الإبراهيمي الذي يرتدُّ إليه العرب المستعربة ، عرب الدعوة الإسلامية سلاليًّا في الكنعانيين ، فيشير الطبري إلى أن إبراهيم تزوج امرأتين عربيتين كنعانيتين ، يقول : « إن إبراهيم تزوج بعد سارة امرأتين من العرب ، إحداهما قنطورا بنت يقطان ، فولدت ست بنات ، والأخرى حجور بنت أرهير »[2] . وعمليق (كنعان) يحضر هنا في رواية الطبري بوصفه « أول مَنْ تكلم بالعربية »[3] ، ومن قومه كان « الملك نمرود الجبار الذي يحكم ما بين النهرين »[4] .

وأشار ياقوت الحموي إلى أن « كنعان بن سام بن نوح إليه ينسب الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية »[5] ، أي تقع في منظومة ما يسمى حاليًا بـ « اللغات السامية » . وأما أبو الفداء فيؤكد أن الكنعانيين « هم أهل الشام . قال ابن سعيد : وإنما سمي الشام شامًا لسكن سام بن نوح به . وقيل تشأمت به بنو كنعان .. وكان كنعان من جملة الذين اتفقوا على بناء الصرح . فلما بلبل الله تعالى ألسنتهم في أواخر سنة ستمائة وسبعين للطُّوفان وتفرقوا ، نزل كنعان في الشام ، ونزل في جهة فلسطين ، وتوارثها بنوه . وكان كل مَن مَلَك من بني كنعان يلقب جالوت إلى أن قتل داودُ جالوتَ آخرَ ملوكهم ، فتفرقت بنو كنعان »[6] .

---

(١) ابن الأثير ، نفسه ، ص٤٥ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣١١ - ٣١٣ .

(٣) نفسه ، ص٣٠٧ .

(٤) نفسه ، ص٢٨٧ .قارن مع المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٤ .

(٥) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٧٥ .

(٦) أبو الفداء ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٩٧ .

أما ابن الأثير الذي راكم مجمل السرديات التاريخية التي سبقته ، وتشرَّبها بعمق ، وحاول أن ينقُدَها ، فيقول بوضوح : إن الكنعانيين كانوا أول السَّاكنين في بلاد الشام ، ثم أتى بعدهم بنو إسرائيل ، وهم الذين اقتصر وجودهم حول القدس ونابلس ، إذ يقول باختصار : « وأما الكنعانيون فلَحِق بعضهم بالشام ، ثم جاء بنو إسرائيل ... ثم وثبت الروم على بني إسرائيل فأجْلَوهم عن الشام (القدس ونابلس) إلى العراق إلا قليلاً منهم . ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام »[1] .

ويرى أن الإسرائيليين حين قدموا إلى فلسطين واجهوا الكنعانيين العمالقة ؛ يقول : « إن بني إسرائيل لما طال عليهم البلاء ، فطمِع فيهم الأعداء ، فقصدهم جالوتُ ملك الكنعانيين ، وكان مُلْكه ما بين مصر وفلسطين ، فضرب عليهم الجزية . وكان العمالقة مع مَلِكهم جالوت قد عظمت نكايتُهم في بني إسرائيل حتى كادوا يُهْلِكونهم »[2] .

والواقع أن المؤرخين العرب الإسلاميين يجمعون على أن اليهود (داود أو يوشع) وجدوا أمامهم الكنعانيين . وعندما يذهب هؤلاء المؤرخون بعيدًا في تاريخ بناء القدس ، فإنهم يعيدونه إلى « أبي العرب » سام بن نوح الذي تفرعت الطبقات السُّلالية العربية من ذريته ، أو إلى ملكي صادق الكنعاني ملك أورشليم مدينة السلام .

ولعل رسوخ هذه الرؤية العربية - الإسلامية لكنعانية القدس الأصلية أو التأسيسية ، هو ما يعبر عنه مجير الدين الحنبلي في سرديَّته لتاريخ القدس ما قبل دخول داود ، إلا أنه يوحّد ما بين سام بن نوح وبين ملكي صادق الكنعاني ، يقول : « أما مدينة القدس فكانت أرضها في ابتداء الزمان صحراء بين أودية

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٦ .

(٢) نفسه ، ص١٢١ - ١٢٢ .

وجبال ، وهي خالية لا بناء فيها ولا عمارة ، فأولُ مَن بناها واختطّها سامُ بن نوح عليهما السلام ، وكان ملكًا عليها ، وكان يلّقب ملكي صادق ... »[1] .

رابعًا ـ موقع القدس في الجغرافية الشامية بعد الإسلام :

لم تبتكر السَّردية التاريخية العربية - الإسلامية وحدة الجغرافية البشرية الشامية في إطار الوحدة العامة لمنطقة وادي الرافدين والشام والجزيرة العربية بقدر ما تأسست عليها ، فثمة دلائل حاسمة (سنتوقف عندها لاحقًا) تشير إلى الموقع الروحي الخاص للشام عند العرب الحجازيين « المستعربة » الذين استجابوا للدعوة الإسلامية وشكّلوا مركزها ، وقد استمدَّ هذا الموقع قيمته المعيارية بكلمة واحدة من وجود القدس فيه ، التي تشكّل حدود الشام التاريخي ؛ حدود الأرض التي بارك الله حولها - على وَفْق النص القرآني - من العريش إلى الفرات ، إضافة إلى أن العرب المسلمين قبل فتح القدس في العهد العمري كانوا ينظرون بشكل مسبق إلى القدس جزءًا لا يتجزأ من الوحدة الإثنية العربية .

يحدد ابن سرور المقدسي الشام بما يأتي : « اعلم أن حدود الشام أربعة ، فحدّه من الغرب البحر المالح (المتوسط) وعلى ساحله مدائن عدة . وحدّه من الجنوب رمل مصر والعريش ، ثم تِيهُ بني إسرائيل وطور سيناء ، وتبوك ودُومة الجَنْدل . وحدّه من الشرق ، من بعد دومة الجندل ، بَرِّيَّة السَّماوة ، وهي كبيرة ممتدة من العراق ينزلها عرب الشام ، ومما يلي الشرق أيضًا الفرات فيخوض الفرات إلى بلاد الجزيرة ، فطولُه من العريش إلى الفرات عشرون يومًا ، أو أكثر »[2] .

---

(١) الحنبلي (مجير الدين) ، المصدر السابق ، ص١٠ .

(٢) ابن سرور المقدسي ، مثير الغرام بفضائل القدس والشام ، دون تاريخ ، ص٧ - ٨ .

وأما ابن حوقل فيحدد جغرافيًا في كتابه « صورة الأرض » ما يسميه « ديار الشام » بالشكل الآتي : « وأما الشام فإن غربها بحر الروم ، وشرقها البادية ، من أيْلَةَ إلى الفرات ، ثم من الفرات إلى حَدِّ الروم ، وشمالها بلاد الروم ، وجنوبها مصر ، وتِيهُ بني إسرائيل ، وآخر حدودها مما يلي مصر رفَح ، ومما يلي الروم الثغور المعروفة »[١] .

وهو ما يذهب إليه شهاب الدين المقدسي في بيان حدود الشام ، يقول : « وحدّه من الجنوب رمل مصر والعريش ، ثم تِيهُ بني إسرائيل وطور سيناء ، ثم تَبُوك ، ثم دومة الجندل . وحدّه من الشمال مما يلي الشرق أيضًا : الفرات ، فيخوض الفرات إلى بلاد الجزيرة ، وطوله من العريش إلى الفرات عشرون يومًا أو أكثر »[٢] .

ويصنف التاريخ الجغرافي العربي الشام إلى أقسام ، إلا أنه اتساقًا مع مكانة القدس المركزية يعطي فلسطين ، بحكم وجود القدس فيها ، مرتبة الشام الأولى . فينطوي تعبير « الشام الأولى » على دلالات ضمنية تتخطّى التعبير الجغرافي الصِّرْف ، فيذكر مجير الدين العليمي « أن الأوائل قسمت الشام خمسة أقسام : الشام الأولى فلسطين ، وأوسط بلدها الرملة ، والشام الثانية حوران ومدينتها العظمى طبرية ، والشام الثالثة الغُوطة ومدينتها العظمى دمشق ، والشام الرابعة حمص ، والشام الخامسة قِنَّسْرِين ومدينتها العظمى حلب »[٣] .

كما يذكر شهاب الدين المقدسي في تفسير إعطاء فلسطين مرتبة الشام الأولى مرتبة معيارية نوعية وليس مجرد مرتبة جهوية ، بأنّ « قسمت الأوائل الشام أقسامًا : الشام الأولى : فلسطين ، وسميت فلسطين لأن أول من نزلها فلسطين بن

---

(١) ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي ، كتاب صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٩٢ ص١٥٣ .

(٢) المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ص٨٥ - ٨٦ .

(٣) الحنبلي (مجير الدين) ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٢ .

كوسخين[1] بن يقطي بن يونان بن يافث بن نوح » . وبغض النظر هنا عن موضوع يافث بن نوح أو سام بن نوح ، فإن كلام المقدسي ينطوي ضمنًا على أن فلسطين هي الشام الأولى لأنها الأقدم في النشوء السُّلالي البشري المتفرع - على وفق السَّردية الميتاتاريخية - عن نوح بن آدم . وأما « الشام الثانية » عند المقدسي فهي « حوران ومدينتها العظمى طبرية ، ومن مدنها الغور واليرموك وبيْسان في ما بين فلسطين والأردن ... وهي النهر المعروف . و« الشام الثالثة » : الغوطة ، ومدينتها دمشق . و « الشام الرابعة » : حمص ... ومن أعمالها مدينة السلمية ، و « الشام الخامسة » : قِنَّسْرين ، ومدينتها العظمى حلب ، ومن أعمالها مدينة سرمين وأنطاكية »[2] .

إن المهم هنا في حدود بحثنا أن فلسطين (تبعًا للقدس) هي الشام الأولى ، وأن هذا الترتيب ينطوي على المعيارية وليس مجرد جهة ، ومن ثم فهو يعكس شبكة المشاعر والرموز والارتباطات الوجدانية والعقدية الإسلامية المركّبة المبنية عليها ، والتي تتخذ شكلاً مستقلاً ذاتيًا في تطورها ، يمتلك دينامياته الداخلية الخاصة . وتفسير ذلك في المنطق الميتا - تاريخي للمؤرخين والجغرافيين العرب بسيطٌ ، وهو أن الشام هي الأرض التي باركها الله حول القدس ، ومن هنا كان طبيعيًا - تبعًا لذلك - أن تكون فلسطين هي الشام الأولى في الشام المباركة .

إن الشام (الشآم) التي حاول المؤرخ العربي أن يعيد أصل تسميتها إلى سام ابن نوح « أبي العرب » - على وفق السَّردية العربية الإسلامية - هو الاسم الذي أطلقه المؤرخون والجغرافيون العرب على بلاد الشام . ولعل الإصطخري (ت ٣٢١هـ) والمقدسي (ت ٣٨٠هـ) كانا من أوائل الجغرافيين الذين أعطوا الشام وحدة جغرافية خاصة في إطار الوحدة الجغرافية العربية العامة ما بين الشام

(١) كسلوخيم - حسب ياقوت - (المحرر) .

(٢) المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ص٨٥ - ٨٦ .

ووادي الرافدين والجزيرة العربية ، إذ عنون الإصطخري الفصل الخاص بالشام بقوله : « أرض الشام » . أما المقدسي فقد استعمل تعبير « إقليم الشام » ، قاصدًا بذلك وحدة جغرافية ، بقدر ما تحدث عن التكوين الطبيعي للشام[1] .

والواقع أن هناك إجماعًا في المدونات التاريخية الكلاسيكية الكبرى ، مثل مدونات الطبري والمسعودي وأبي الفداء واليعقوبي وابن الأثير وابن كثير ، على النظر إلى الأصقاع الشامية بوصفها وحدة إقليمية متصلة جغرافيًا وبشريًا مع الجزيرة العربية اتصالاً تامًا .

موقع القدس في الجغرافية الروحية الإسلامية :

عكست عناوين كتب المغازي وحدة الشام مع الجزيرة العربية ، مثل عنوان « فتوح الشام » للواقدي ، و « تاريخ فتوح الشام » عند الأزدي . وقد حاول بعضهم في ضوء تشبُّعهم بمنطلقاتهم الميتا - تاريخية أن يؤسسوا موقع الشام بالنسبة لعلاقتها مع الجزيرة العربية استنادًا إلى موقعها من الكعبة ، فشهاب الدين المقدسي مثلاً يقول : « إنما سميت شامًا لأنها عن شمال الكعبة ، كما سمي اليمن كل ما كان عن يمين الكعبة من بلاد الغور »[2] .

وانطلاقًا من اعتبارهم الكعبة مركز العالم تارة أو القدس والشام عمومًا تارةً أخرى ، فإنهم يحدّدون الشام على يمين الكعبة ، ويتّسق ذلك مع نظرتهم إلى المنظومة الجغرافية الإسلامية المقدسة التي تربط ما بين المركز « الكعبة » ثم « المسجد النبوي » ثم « القدس » في شكلٍ متكامل ، فالقدس هي الأولى في الشام لكنها الثالثة بالنسبة للمنظومة الجغرافية المقدسة المترابطة التي يشكل

(١) نجدت خماش ، الشام في صدر الإسلام ، دمشق ١٩٨٧ ، ص٤٠ .

(٢) المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ص٨٢ .

الإسلام ومهده مكة / الكعبة مركزَه .

إن المنطلقات الميتا - تاريخية هنا هي الحاسمة ، وتلقى تجاوبًا تامًّا من المنطلقات التاريخية ، تبعًا لتعقُّد العلاقة ما بين التاريخي البشري والقدسي الروحي في القدس ، كأنها التجريد الروحي للبشري ، ومن هنا يذهب بعض المفسرين الذين تغلغلت تفسيراتهم في السَّردية التاريخية العربية - الإسلامية ، في تفسير آية ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ [التين : ١ - ٣] إلى ربط المقدّس الميتا - تاريخي ما بين الشام والجزيرة العربية في آية واحدة : « إذ روي عن قتادة : أنه قال في قوله تعالى في الآية السابقة ، ﴿ وَٱلتِّينِ ﴾ : قال : هو مسجد دمشق ، ﴿ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ : قال : هو مسجد بيت المقدس ، ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ : حيث كلم الله موسى ، ﴿ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ : وهو مكة »[1] .

كما أنهم « مَوْضَعوا » الميتا - تاريخي القدسي في التاريخ ، عبر إدراج القدس في الأصل الأقوامي النبوي ، وفقًا للنموذج الإثني العربي ، وهو ما تطلّب نزعة فيللوجية جنينية ، ونرى ذلك عند شهاب الدين المقدسي ، يقول : « وقيل : إنما سميت بذلك (الشام) لأن نوحًا عليه الصلاة والسلام لما خرج من السفينة ، تفرق أصحابه ؛ فمنهم من أخذ نحو يمين الكعبة ، ومن أخذ نحو يسارها ، فسمي الموضوع باسم الجهة المأخوذ منها ، فقالوا : يمن ، وشام ، واليد اليسرى الشومي ، وهي ضد (مقابل) اليمن ... وقيل سميت بذلك لأن قومًا من كنعان بن حام خرجوا عند تفرقتهم فتشاموا إليها ، أي : أخذوا ذات الشمال .. وقال المصنف : تسمَّى سورية .. وقال معاوية بن عمرو : سورية : الشام »[2] . والأصل في النموذج الأقوامي (السُّلالي) العربي أن سام بن نوح قد حصل من والده على حق

---

(١) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص١٥٤ .قارن مع ابن عساكر ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٩٦ .
(٢) المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ص٨٢ - ٨٣ .

الاستقرار « وسطًا من الأرض ، ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ، ودجلة ، وسيحان وجيحان ، وقيسون »[1] .

وعلى وفق حديث مروي عن النبي ﷺ يقول : « أنزلت عليَّ النبوة في ثلاثة أمكنة : بمكة والمدينة والشام » ، فإن تفسير الشام هنا بحسب الوليد (أحد الرواة) هو بيت المقدس[2] ، أي الشام الأولى في ترتيب المؤرخين والجغرافيين العرب . وقد تفسر أولية القدس في الشام بأن بعض المفسرين عدُّوا الشام بمجملها مباركة من الله توسيعًا لقداسة بيت المقدس ، وفسروا آية الإسراء : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١] ، بأن ﴿ ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ يعني الشام . و « عن عبد الله بن عباس : ﴿ بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ أي فلسطين والأردن ... وقال أبو القاسم السُّهيلي : ﴿ بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ : يعني الشام ، والشام بالسُّريانية : الطيب ، ومنه يحشر الناس يوم القيامة »[3] .

ويتبادل هنا المنطلقان الميتا - تاريخي والتاريخي التأثيرَ ، فقد تفسِّر الرؤية الراسخة عن الوحدة الأقوامية والجغرافية والقدسية كثرةُ الأحاديث المروية عن النبي ﷺ ، التي بشر فيها أصحابه بفتح بلاد الشام عمومًا والقدس خصوصًا ، وهذه الأحاديث تنتظم في مجال تداولي يسلِّم بتلك الوحدة الأقوامية والجغرافية ما بين الجزيرة العربية وبين الشام بمحورها المقدسي . لكن لما كانت القدس إبان ظهور الدعوة الإسلامية وانطلاقها رومانية ، أي تحت سيطرة البيزنطيين ، فإنها حضرت هنا تخيليًّا في وعي المؤمنين بكل القوة الشعورية الحيوية القصوى ، إذ غدت قضية تحويل التخييل إلى حقيقة ، تجسيدًا للوعي الإلهي المقدور الذي هو

(١) ابن عساكر ، المصدر السابق ، ص٢٢ .

(٢) نفسه ، ص٣٧ .

(٣) عواد مجيد الأعظمي ، تاريخ مدينة القدس ، بغداد ١٩٧٢ ، ص٤١ .

في التاريخانية الإسلامية فوق إرادة البشر ، وليس البشر إلا أدوات واعية أو لا واعية به .

و « عن عبد الله بن حَوالة قال : كنا عند رسول الله ﷺ فشكونا إليه الفقر والعُرْي وقلة الشيء ، فقال النبي ﷺ : « بل أبشروا ، فوالله لأَنَا من كثرة الشيء أخوفُني عليكم من قلّته ، والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى تفتح عليكم أرض فارس والروم ، وأرض حمير ، وحتى تكونوا ثلاثة أجناد : جند بالشام ، وجند بالعراق ، وجند باليمن » . قال ابن حَوالة : فقلت : يا رسول الله ، ومن يستطيع الشام وفيها الروم ذات القرون ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ليفتحها الله عليكم ، وليستخلفكم الله فيها »[1] .

ومن هنا تنسب بعض الأحاديث من رواية ابن عباس إلى النبي ﷺ « أن رجلاً قال : يا رسول الله إني أريد الغزو في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : « عليك بالشام ، فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله » . لقد كان فتح الشام هنا نبوءة إسلامية مُسبَقة مُسنَدة إلى النبي ﷺ ، فيُنسب حديث مروي عن عمر بن الخطاب : سمعت النبي ﷺ يقول : « إنها ستفتح عليكم الشام ، وتجدون فيها بيوتًا يقال لها الحمامات ، هي حرام على رجال أمتي إلا بإزار ، وعلى نساء أمتي إلا نُفساء أو سقيمة »[2] .

إن المنطلقات الميتا - تاريخية لعبت هنا دورًا حاسمًا في فهم وظيفة العوامل التاريخية نفسها . وروي حديث منسوب للنبي ﷺ ، يتضمن التأكيد على أن فتح القدس قادم لا ريبَ ، إذ أقطع النبي ﷺ بموجب هذا الحديث مسبقًا « لتميم

(١) عبد القادر بن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ، مصدر سابق ، ص٣١ . قارن مع الواقدي ، المصدر السابق ، ص١٣ .

(٢) عبد القادر بن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ، مصدر سابق ، ص٨٩ .

الداري وأخيه سنة تسع من الهجرة ، جيرون ، وبيت عينون ، والرطوم ، وبيت إبراهيم ، ومن فيهم إلى الأبد »[1] .

وتذكرنا سرديَّة الحديث النبوي هذا بحديث آخر يبشر فيه النبي ﷺ المؤمنين بفتح الشام ، وهو حديث الخندق : « فلما استعصت على أحد الصحابة صخرةٌ أثناء الحفر ، استعان بالرسول ﷺ ، فضرب الصخرة بمعْوَله عدة ضربات ، تخرج لمعة في كل ضربة تضيء المكان ، وتدلُّ النبي ﷺ على ما سيُفتح للمسلمين من بلدان ، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بفتح الشام وفارس واليمن »[2] .

في حدود النص هناك تبادل ما بين إشعاع الحجر بالنار وبين إشعاع فتح القدس بوعد نبوي مسبق . روى البراء بن عازب ، قال : « لما أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول ، فاشتكينا ذلك إلى النبي ﷺ فجاء ، فلما رآها ألقى ثوبه ، وأخذ المعول ، فقال : « بسم الله » ، ثم ضرب ضربةً فكسر ثلثها ، فقال : « الله أكبر ، أعطِيتُ مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحُمْر الساعة » . ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر ، فقال : « الله أكبر ، أعطِيتُ فارس ، والله أني لأبصر قصر المدائن الأبيض » ، ثم ضرب الثالثة ، وقال : « بسم الله » فقطع بقية الحجر ، وقال : « الله أكبر ، أعطِيتُ مفاتيح اليمن ، والله أني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة »[3] . ويبدو أن هذا الحديث تنويعٌ على الحديث السابق ، وليس المهم هنا هو مدى صحته بل مدى تشكيله للوجدان الإسلامي حول ما يقصده .

---

(١) صالح موسى درادكة ، مقدمات في فتح بلاد الشام ، (ندوة) المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، عمان ١٩٨٧ ، ص١١٦ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٦٨ - ٥٦٩ .

(٣) عبد القادر بن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٨٨ .

لعل الروابط الإسلامية المبكرة العميقة ما بين الجزيرة العربية والشام الخاضع للرومان ، أفرزت بعض الإيحاءات عن ربط مصير الأمة كلها بمصير الشام عمومًا ، ومصير القدس خصوصًا . فيروى عن معاوية بن قُرَّة عن أبيه ، أن الرسول ﷺ قال : « إذا أُهلِك الشام ، فلا خير في أمتي »[1] . وهو ما يذهب إليه حديث آخر منسوب إلى النبي ﷺ ينبئ بالشام أولاً ؛ فعن معاذ أن رسول الله ﷺ قال : « يا معاذ إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي ، من العريش إلى الفرات . رجالكم ونساؤكم وإماؤكم مرابطون إلى يوم القيامة ، فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام ، أو بيت المقدس ، فهو في جهاد إلى يوم القيامة »[2] . ويشير هذا الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ إلى الإدراك الإسلامي المبكر للشام وحدةً خاصة « من العريش إلى الفرات » .

* * *

(١) أبو حسن الربعي المالكي ، فضائل الشام ودمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٥٠ ، ص٩ .

(٢) الحنبلي (مجير الدين) ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٢٨ .

تراث القدس وفلسفة المكان

د. محمد عبد الوهاب جلال (*)

ارتبط الوجود الإنساني بالزمان والمكان ، وهما عنصرا الوجود المادي . وحاجّ بعض الفلاسفة بأنهما من الأوليّات القبلية التي تسبق الفكر لتهيئ له مادته الأولية ، إلا أن كوبرنكس بجعله الشمس مركزًا للكون بدلاً من الأرض في القرن السادس عشر، قد هدم بعض ميتافيزيقا المكان التي كانت تمد الإنسان بشعوره بالتميز بسبب مركزية مسكنه الأرض .

وجاءت الفيزياء الحديثة في القرن العشرين لتُجْهِز على بقية ميتافيزيقا المكان والزمان ، وتجعل منهما أبعادًا نسبية للمادة تخضع لوضعية المراقب ، فترتبت على ذلك تحوُّلات عميقة في رؤية الإنسان لذاته وللعالَم من حوله . ورأينا انعكاسات ذلك - ضمن متغيرات أخرى - في الفلسفة الغربية من نسبية وعدمية وتفكيكية ولا شعور وعقل باطن ... فاختفى اليقين والحقيقة والمطلق ، وسالت الأمور والأفكار والحقائق ، وتداخلت في بعضها بعضًا ، وتلاشت الحدود ، وانعدمت الرؤية !

وإذا كان الزمان والمكان يشكلان معًا إطار الوجود ، فأين تكون إذًا العوالم الأخرى ؟ وهل الزمان كائنٌ طبيعي تنفُذ إلى كنهه القياساتُ الدقيقةُ بالتِّقنية الذرية ؟ أم إن له أبعادًا أنطولوجية لا قِبَل للعلم بها ، تستشرفها تجارب وجودية من نوع آخر ، تضيق بها العبارة وتعجز عن إدراكها الحواسُّ ، وهل المكان هو الموقع الجغرافي الذي يسهل تحديد إحداثياته بالنسبة إلى موقع آخر أو إلى اتجاه

(*) مركز سيداج - القاهرة .

متعارف عليه ، أم هو الشكل الهندسي الذي تعمقت العلوم الرياضية في وصف خواصه المتجانسة والنِّسْبية التي لا تسمح بتميز موقع على آخر ؟

وفي هذه الحالة كيف نفسر تعلق الوجدان بأماكن بعينها مثل مراتع الصبا ومنازل الأحبة التي تظل تربطنا بها أطياف الذكرى والوجد والحنين ؟ وكيف نفسر الاستعداد للموت في سبيل المكان الذي نسميه « الوطن » ؟ ويا لها من مفارقة ! أيكون حب المكان والتعلق به دافعًا للافتراق عنه بل عن الدنيا كلّها بالموت ؟

لماذا تواضَع الناس في الكثير من الثقافات والأديان على اعتبار مكان ما مقدسًا ؟ أيصبح ذلك المكان مقدسًا لأن أحداثًا دينية مهمة وقعت فيه ، أم لأن شخصيات مقدسة عاشت أو دفنت فيه ؟ أم لأسباب غيبية لا سبيل إلى التوصل إليها ؟ كيف تصبح بقعة من الأرض جزءًا من لاهوت ؟ كيف يصبح المكان المادي المحدود فضاءً رحبًا تحلّق فيه الروح بلا أفق يحدُّها ؟ وكيف يمكن أن تتعايش الجغرافيا والهندسة وهما من عالم الشهادة ، مع القدسية التي هي من عالم الغيب ؟ أيكون موضع على الأرض بحجارته وترابه ، نافذة تطل على السماء ؟ وكيف تتواءم فكرة القدسية مع غريزة التملُّك والاستحواذ ؟ هل المكان المقدس تجسيد لفكرة « المطلق » التي تكاد تنزوي وراء غزارة النسبي وتنوعه وتفريعاته التي لا تنتهي ، أم إنه رمزٌ ، الغاية من ورائه حمل أفراد الجماعة الواحدة على الوحدة في مواجهة الصراعات وتضارب المصالح واختلاف الأهواء ؟

وعندما تُقدس المكانَ الواحد شعوبٌ عديدة وأديان مختلفة - و هذا أمر نادر الحدوث - يتسابقون كلهم إلى حيازته بشتى الوسائل ، وخصوصًا الحرب . وهنا تبدو القدسية كأنها سببٌ في اشتعال الحروب التي لا تنتهي . وهذه مفارقة الوجود الإنساني وقدره بالعيش في تناقضات لا تزول ولا تُختزل ، فحينما تتفتح أمام الإنسان شُرفة إلى السماء تجده يخلد إلى الأرض ويخرج ضغائنه ويفجر الدم أنهارًا !

تلك هي مدينة القدس ، مدينة ككل المدن في موقع ما على الكرة الأرضية ، لكنها في الوقت ذاته تختلف عن كل المدن بتاريخها ورمزيتها في نظر أتباع الأديان السماوية الثلاثة . تجمع مواقع أحداث روتها الكتبُ المقدسةُ ، وآثارًا تدل على تاريخ الأديان الثلاثة ، وشواهد على الصِّراع بين أتباع تلك الأديان . فهي إذًا نقطة التقاء النص المتسامي بالتاريخ الإنساني بكل ما يثيره هذا اللقاء من توتر وتناقضات .

عندما ورد ذكر المسجد الأقصى في سورة الإسراء المكية ، لم يكن الإسلام قد خرج من مكة بعد. وكذلك عندما عَدَّ الحديث ذلك المسجد أحد ثلاثة لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إليها ، لم يكن قد شُيد بعد ولم يكن المسلمون قد خرجوا من الجزيرة العربية . وهذه الملاحظة تسري على كل الأحاديث الصَّحيحة التي أتت على ذكر القدس . هذا التعامل المبكر مع القدس ، باعتبار ما سيكون ، على مستوى الرمز والإشارة والإيحاء يَشِي بحرص شديد على إدخال هذه المدينة ضمن الجغرافيا الروحية للمسلمين .

والدعوة غير المباشرة لإقامة المسجد والحث على زيارته إشارةٌ لا لَبْسَ فيها إلى وجوب تحقيق وجود دائم وحضور قوي للإسلام وللمسلمين داخل المدينة . ومن الدلالات الجلية لهذه التوجيهات والإيحاءات التي لم تتحقق إلا بعد سنوات من وفاة الرسول ﷺ ، التشديد على وحدة تاريخ التوحيد وعلة انتظام الإسلام ضمن حلْقاته . فإذا كان الإسلام هو ملّة إبراهيم التي توالت حلْقاتها من لدن إبراهيم مرورًا بالرسالات والرسل التالين له ، فإن القدس هي التجسيد المكاني للفرع الإسحاقي (نسبة إلى إسحاق) كما تجسد مكة الفرع الإسماعيلي (نسبة إلى إسماعيل) . وبدون القدس يفقد المسلمون شقًّا من هويتهم ويجرَّد الإسلام من جزء أصيل من ميراثه الإبراهيمي. وعندئذ يصبح الإسلام دينًا « محليًّا » منقطعًا عن تاريخ التوحيد ، ومن ثم عن مستقبله . فالدين التوحيدي الجامع

الذي تشكّل على مراحل تبعًا لتطور الوعي ولتاريخية الفكر ، أمر تأباه معظم النفوس البشرية التي جُبلت على التشرذم والصراع .

ولأتباع الديانات السماوية الأخرى أماكن مقدسة في القدس مثلما للمسلمين . لكن على الرغم من ذلك الحضور المكثف للأماكن المقدسة في هذه المدينة وارتباطها الوثيق بتاريخ تلك الأديان ، ومكانتها الروحية الفردية ، فإنَّ تاريخها كان - وما زال - سلسلة من الصراعات التي لا تنتهي ، ولعل أكثر ما يثير دهشة الدارس لتاريخ هذه المدينة ، جدلية العلاقة بين القدسية وعذابات البشر . إلا إن لهذا التاريخ الدامي فلسفة تكاد تخفيها حدَّة الصراعات وقسوة الحروب . فكأنما هذه المدينة مرآة تنعكس على صفحتها صيرورة التوحيد وتخبُّط الإنسان وتردّيه . وما تعاقُب الدول والشعوب والجيوش عليها إلا تكثيفٌ للتاريخ الوجودي لبني البشر على الأرض في تقلُّبهم وكدحهم العسير نحو المصير . وإذا كانت الحروب التي شهدتها وتشهدها وستشهدها المدينة في ظاهرها نزاعات سياسية أو مطامع اقتصادية أو تعصبًا دينيًا ، فإنَّها في جوهرها تعبير عن ذلك الخُسْر الذي يتقلب فيه الإنسان من جراء عجزه وتمزقه إزاء أشواقه الغامضة المشرئبَّة إلى المطلق !

ومن أوجه خصوصية مدينة القدس وضعيتها الجيوسياسية الفريدة ؛ فهي جغرافيًّا في مركز العالَمين العربي والإسلامي تقريبًا ، لكنها في الوقت ذاته تعدُّ طرفًا من الأطراف ، وثغرًا من الثغور ، كلُّ ذلك جعلها - على الدوام - عرضة للاختراق والانتزاع . وهي - أيضًا - حلقة هشَّة بسبب تركيبتها السكانية وبسبب تدخل دول أجنبية - قبل احتلالها - في شؤونها بحجة الإشراف على أماكنهم المقدسة ، وحماية إخوانهم في الدين . وإذا كان توافُد الحجاج إليها باستمرار من أقطار الأرض المختلفة سببًا في توطيد انفتاح المدينة وفي تقبُّل سكانها للآخر ، فإن هذا الانفتاح خلّف لدى السكان شعورًا بالوقوف على ثغر مشرَع الأبواب .

وبجمعها بين الخصائص المختلفة بل المتناقضة لكل من المركز والطرف ، وباستقبالها أفواج الحجّاج وتوديعهم كل يوم ، انطوت المدينة على توتُّر مقيم وتجاذب متجدد .

تجاذب التراث :

لا تختلف محاولات التهويد الحالية للقدس في أهدافها عن الحملات الصليبية التي دفعت بها الكنيسة الكاثوليكية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين لتستأصل من المدينة كلَّ وجود للأديان الأخرى ، وإن اختلفتا في الشكل والوسائل . ومن بين تلك الأهداف نفي صيرورة التوحيد وإلغاء التاريخ المشترك ، ومن ثم المصير المشترك لحلقات التوحيد ، ليتمكن الفريق المسيطر بمفرده على المدينة من ادعاء احتكار الدين الحقّ ، والتفرُّد بتراث الأنبياء . وهذا لا يتم إلا بتملك الأرض المقدسة ومحو آثار الآخرين منها. وإذا كانت الكنيسة قد رفعت شعار « تطهير » القدس من « الكفار » فألهبت المشاعر الدينية لأتباعها في الماضي ، فإن الصهيونية الحديثة قد قامت بتوظيف الذاكرة الجمعية لليهود التي تشكّلت طيلة ألفي عام عن « أورشليم » .

ومنذ قيام الدولة الصهيونية أصبحت الأولوية الأيديولوجية للدولة وللمؤسسة العلمية الرسمية هي مطابقة التاريخ « العلمي » مع الذاكرة الجمعية بالسعي إلى تحويل الأساطير إلى حقائق . فاكتسب كلٌّ من البحث التَّوْراتي الغربي والحفريات والآثار بما فيها التراث العربي الإسلامي ، أهمية قصوى لديهم ، وإن كان التعامل مع النتائج العلمية انتقائيًّا ، يقبل ما يبدو متوافقًا مع ادعاءاتهم ويضخِّمه ، ويغضُّ الطرف عما يتعارض معها .

وبالمقابل فقد أدرك بعض سكان القدس ، منذ وقت مبكر ، أهمية تراثهم من مخطوطات ووثائق ووقفيات وآثار . ومن أمثلة ذلك المكتبة الخالدية التي تحمل اسم واحدة من أعرق الأسر المقدسية ، وتضم في ما تضم ألفًا ومائتين من

المخطوطات القديمة . وإدراكًا منه لأهمية التراث المكتوب ، فقد كلَّف الشيخُ أمين الحسيني مفتي القدس، المؤرخَ اللبنانيَّ أسد رستم بجمع وقفيَّات الحرم القدسي ، وذلك لتقديمها إلى اللجنة التي شُكلت في سنة ١٩٣٠ ، إبان فترة الانتداب البريطاني ، للتحقيق في الاضطرابات التي اندلعت بسبب النزاع الذي نشِب بين المسلمين واليهود حول حائط البُراق (الحائط الغربي للحرم القدسي) في سنة ١٩٢٩ . وبعد الاطلاع على الوقفيات المقدمة ، أقرت اللجنة بأحقيَّة المسلمين في المكان محل النزاع .

ولم تكن تلك هي المعركة الأولى ولا الأخيرة في حرب التراث ، فالعدو يعلم أن مَنْ يملك التراث يملك المكان . لذلك لم يهدأ ولن يهدأ حتى يسلب أصحاب المكان تراثهم، إما بالسطو عليه وادعاء ملكيته ، وإما بإتلافه وإخفائه ، والأمثلة على تلك كثيرة ، منها سطو قوات العدو على وثائق المحكمة الشرعية في القدس سنة ١٩٩١.

فحفظ التراث وتوثيقه إذًا يمثل - في حالة القدس - شكلاً من أشكال المقاومة التي لا غنى عنها ؛ لأن العدو قد اختار منذ البداية أن يجعل من التراث إحدى ساحات الحرب . إلا أنه لا ينبغي الاكتفاء بمجرد حفظ التراث وتوثيقه لكسب تلك الحرب ، إنما يجب المضي إلى أبعد من ذلك بسَبْر فلسفة ذلك التراث ، سعيًا إلى توظيفه واستلهام قيمه الإيجابية .

قراءة في أدب فضائل القدس :

ظهرت منذ القرن الثاني للهجرة - عصر التدوين - مؤلفات عن فضائل مدن بعينها ، تركز على المكانة الدينية ، كما هو الحال في كتب فضائل مكة أو ميزات المدينة ، أو من قبيل الدعاية والتنافس مع المدن الأخرى والجغرافية المحلية ، كما في كتب فضائل المدن غير المقدسة . وإذا كان ظهور هذا النوع من المؤلفات قد تزامن مع الاهتمام بتاريخ المدن وبالجغرافيا ، الذي برز ضمن النظام المعرفي

الجديد الذي أخذ في التشكُّل منذ القرن الثاني الهجري ، فإنه يحمل بعض ملامح أدب الفخر الذي يمثل أحد مكونات الأدب العربي السابق لتلك المرحلة .

أما بالنسبة لمدينة القدس فقد تأخر ظهور مؤلفات مخصصة بالكامل لفضائلها حتى القرن الخامس الهجري ، وإن ظهرت قبل ذلك بكثير شذرات وفصول عن هذا الموضوع في كتب جامعة مثل ما في كتابي : «عيون الأخبار» لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، و « العِقد الفريد » لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) . وما لبث أن اتَّسع نطاق التأليف في فضائل القدس منذ النصف الثاني للقرن السادس الهجري واستمر لقرون عديدة بعد ذلك . وتشابهت تلك المؤلفات في أنها لم تركز على ماضي المدينة وما ضمته من قبور الأنبياء بقدر ما ركزت على فضل الصلاة في مسجدها والإحرام منها ، والموت فيها ، ومكانتها الفريدة عند الله ، وارتباطها بالحَشر وبالجنَّة . وحشدت تلك الكتب مجموعة من الآثار والأحاديث النبوية التي فيها الصحيح والحَسن والغريب والضعيف ، بمصطلحات أهل الحديث .

ولو دققنا النظر في فحوى تلك الكتب نجد أنها ليست كتب تاريخ ولا جغرافيا ، بل من الصعب تصنيفها تحت أي مجال معرفي . لكن مع ذلك يبدو واضحًا أنها ترمي إلى صنع صورة للمدينة في المخيّلة الجمعية للمسلمين بوضع المدينة في قلب الجغرافية الروحية لهم ، وحثِّهم على زيارتها وإعطائها دورًا في شعائرهم - دنياهم ومكانة في آخرتهم .

لاحظ المستشرق الروسي كراتشكوفسكي[1] غلبةَ الطابع النَّقْلي على مؤلّفات فضائل القدس ، حتى إن هناك تشابهًا كبيرًا بين معظم تلك المؤلفات . كما لاحظ أن التأليف في هذا الموضوع قد بدأ محليًّا قاصرًا على سكان القدس - والشام بصفة أعم - في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ثم ما لبث أن اتسع نطاقه بمشاركة مؤلفين من أنحاء أخرى في القرون التالية .

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، موسكو ، ١٩٥٧ .

وقد أثار بعض المستشرقين[١] تساؤلات حول التأخر النِّسْبي في ظهور كتب فضائل القدس ، باعتبار أن أول كتاب مكرس بالكامل لهذا الموضوع هو كتاب الواسطي « فضائل البيت المقدس » الذي قرأه سنة ٤١٠هـ . وخلص بعض هؤلاء المستشرقين إلى أن القدس لم تحتلَّ مكانة عالية في وجدان المسلمين إلا بعد الحملات الصليبية ، وأنَّ الشعورَ العام تجاه هذه المدينة كان يتراوح بين عدم الاكتراث والخشية من أنْ تُزاحم مكةَ والمدينةَ في مكانتهما . وساقوا في التدليل على ذلك كتابَ ابن تيمية « قاعدة في زيارة بيت المقدس » ، الذي يمثل محاولة للوقوف في وجه « البدع » التي ظهرت حول بيت المقدس . وليس خافيًا أن محاولات هؤلاء المستشرقين تومئ إلى أن التعلُّق الذي يبديه المسلمون ببيت المقدس مصطَنع وحديث العهد نسبيًّا وجذوره سياسية وأيديولوجية . وهذا ما قد يفسر لنا الاهتمام الكبير الذي توليه بعض الدوائر الاستشراقية لمخطوطات فضائل القدس .

جادل محمود إبراهيم[٢] في مقدمة كتابه « فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة » بأن الحكم بتأخُّر ظهور كتب فضائل القدس ينطوي على تسرُّع واعتساف ؛ ذلك لأن التراث العربي المخطوط لم يَقُلْ كلمته الأخيرة بعد ، فما زال هناك الكثير منه لم يصل يد الباحثين ، هذا بالإضافة إلى المفقود منه بسبب الحروب والإهمال وغير ذلك .

وأيًّا ما كانت النتائج التي سيسفر عنها اكتشافُ مخطوطات إضافية ، فالمهم هنا هو الدور المركزي الذي تضطلع به المخطوطات في حرب التراث التي تدور رحاها في صمت ، بهدف مصادرة تاريخ القدس تحت ستار البحث العلمي . ومع

(١) Emanuel sivan: The beginning of the Fadail Al-Quds literature, Israel Oriental Studies, 1971.

(٢) محمود إبراهيم : فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ١٩٨٥ .

ذلك فإننا لا نرى غضاضة في الإقرار بتأخر التأليف في موضوع فضائل القدس ، وبالتحول في الشعور الجمعي تجاه المدينة ، فالقارئ لكتاب « الاعتبار »[1] لأسامة ابن مُنْقِذ (ت ٥٨٤هـ) ، قد يصاب بالدهشة إزاء الخطاب المزدوج الذي يتحدث به المؤلف عن الصليبيين. فهو يلعنهم كلما ورد ذكرهم ، ويقاتلهم أحيانًا إذا صادفهم ، وفي الوقت ذاته يصف بعضهم بالأصدقاء ، يأكل عندهم ويصلي في الحرم القدسي تحت حماية بعضهم . والشاهد في حديث أسامة بن منقذ الذي عاصر الصليبيين وعرفهم عن قرب ، أن موقف المسلمين منهم - ومن القدس - لم يكن موحدًا ، إنما مرَّ بتحوُّلات عديدة . وصحيح أن روحًا جهادية جديدة أخذت تسري في أوصال الأمة الإسلامية منذ استعادة عماد الدين زنكي لمدينة الرُّها في سنة ٥٣٩ هـ بالتلازم مع تعبئة نفسية وروحية قام بها الشعراء والعلماء ، جعلت من القدس محطّ الأشواق ومهوى الأفئدة . وجاء انتصار حطّين واستعادة صلاح الدين للقدس سنة ٥٨٣هـ تتويجًا لتلك الجهود . وقد كانت كتب فضائل القدس - ضمن أدوار ووظائف أخرى - جزءًا من جهود التعبئة لشحذ همَّة الأمة في مواجهة الاستعمار الاستيطاني الذي تشهده لأول مرة . وكان هذا التوظيف للجغرافية الروحية موفقًا بدرجة كبيرة في إذكاء الروح الجهادية ؛ لأنه استلهم روح المرحلة ، ووضع في الحسبان الخصائص النفسية والعقلية لمعاصري تلك الأحداث .

وإذا كنا نتفق مع بعض المستشرقين في فرضيَّة تأخُّر ظهور مؤلفات فضائل القدس ، فإننا نختلف معهم أولاً في النتائج التي خلصوا إليها من ربط تعلق المسلمين بالقدس في كتب الفضائل وتجاهلهم ذلك في ما عداها . و نختلف معهم ثانيًا ؛ لأنهم لاحظوا تأخر ظهور تلك المؤلفات ، لكنهم لم يلاحظوا استمرارها لقرون عديدة بعد انتهاء الحروب الصليبية ، فلو كانت مجرد أداة أيديولوجية أفرزتها مقاومة الصليبيين لاختفت بزوال الخطر الصَّليبي .

---

(١) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، مطبعة جامعة برنستون ، ١٩٣٠ .

كانت القدس محلَّ اهتمام الزُّهاد والعبَّاد والمتصوِّفة منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام ، فقد زارها سفيان الثوري ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبو يزيد البسطامي ، وبشر الحافي ... وغيرهم . وكانت لها مكانتها في الفكر الصوفي ، وكان لها دورها في بعث الفكر الفلسفي العرفاني[1] .

وبانتشار التصوف في الأوساط السُّنية بعد الغزَّالي ، لم يَعُدِ الاهتمام بالقدس وقفًا على خاصَّة المسلمين ، إنما توسع ليشمل عامَّتهم . وكتب الفضائل ما هي إلا تعبيرٌ عن خروج الاهتمام من دائرة الخواص ليصبح مشاعًا في السواد الأعظم . وهذا ما يفسر استمرار هذه الكتب حتى بعد انتهاء الحروب الصليبية بقرون .

الأثر المعرفي للرحلة المقدسية :

ليست المعرفة نشاطًا عقليًا يمارسه الأفراد بمعزل عن محيطهم وتاريخهم وثقافتهم ، فالمناخ الثقافي والخلفية التاريخية والبِنْية الاجتماعية والأحوال الاقتصادية ، تؤثر جميعها في طبيعة المعرفة وأنساقها تأثيرًا مباشرًا . وإذا كانت المعرفة تتطور بتعاقب الأزمان فهي أيضًا تتغير باختلاف البيئات والأماكن . فمدرسة البصرة في النحو غير مدرسة الكوفة ، وفقهُ المدينة يختلف عن فقه بغداد ، وإسهامات المشرق الإسلامي في الفلسفة تختلف عن إسهامات المغرب .

صحيحٌ أن الأحوال الاقتصادية واهتمام الدولة بالعلم من العوامل الحاسمة في نشأة العلم وازدهار الفكر ، إلا أنه في ظروف اقتصادية وسياسية متشابهة يختلف الإنتاج المعرفي من مكان إلى آخر . وهذا ما نطلق عليه « الأثر المكاني » في النشاط الفكري . والمكان توليفٌ بين التاريخ والجغرافيا ، تتمخَّض عنه روح المكان

(١) علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ط٩ ، ج٣ ، ص٣٢٧-٣٢٨.

التي تظهر آثارها في الخصائص النفسية والسِّمات العقلية لسكان ذلك المكان . وما اختلاف لهجات اللغة الواحدة والطرق المختلفة لنطق الحروف من مدينة إلى أخرى ومن إقليم إلى آخر ، إلا مثال واحد لذلك الأثر الذي تخلفه روح المكان . أما إذا كان المكان مقدسًا ، فإن أبعادًا ميتافيزيقية فوق التاريخ وخارج الجغرافيا تنضاف إلى روحه ، ومن ثم تنعكس على سكانه وزوّاره في أفكارهم وفي تصوّرهم للوجود .

(أ) الشافعي في القدس :

بدا انتصار المأمون على الأمين - ابني هارون الرشيد - سنة ١٩٨هـ ، في نظر الكثيرين ، أنه هزيمة للعرب أمام الفُرس . فأحس الشافعي وهو القرشي المطّلبي بأن بغداد قد ضاقت عليه ، خصوصًا بعد أن قرّب المأمون المعتزلة ، وأعلى شأنهم ، فاختار الرحيل إلى مصر . وفي طريقه عرَّج على بيت المقدس « فصلى فيه، وقال: سلوني عمّا شئتم أخبركم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . فقيل له : ما تقول في مُحْرِم قتل زُنْبورًا ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] . وحدثنا ابن عُيَيْنة عن عبد الملك بن عُمير عن حذيفةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « اقتدوا من بعدي بأبي بكر وعمر » . وحدثنا ابن عُيَيْنة عن مسعود عن قيس بن مسلم عن طارق ابن شهاب : أن عمر أمر المُحْرِم بقتل الزُنْبور »[1] .

على الرغم من أنه لم يَرِد إلينا الكثير عن تفاصيل تلك الزيارة ، إلا أن توقيتها يَشي ببعض ما كان يُكنّه علماء المسلمين لمدينة القدس ، فهي الملاذ عند اشتداد الفتن وتكالُب الأخطار - الفردية والجماعية - لأنها باحتضانها لسلسلة التوحيد تلخّص التاريخ ، فتبدو مصائبُ الدنيا وويلاتُها مجردَ لحظات عابرة تتحقق

(١) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ، ١٢٣٨هـ / ١٨٦٦م ، ج١ ، ص٢٩٤ .

فيها سنة دفع الناس بعضهم ببعض دون أن تحجب بدخانها الكثيف حقائقَ الوجود الأولى .

ومعروف أن للشافعي مذهبين : قديمًا وضعه في بغداد ، وجديدًا وضعه في مصر . ومن المرجّح أن يكون مذهبه القديم أقرب إلى أهل الحديث ، فقد كان يعرف ببغداد بأنه « ناصر الحديث »[1] . وأما الجديد فهو الذي ابتعد فيه عن مالك واتجه إلى التأسيس الأصولي المتمثل في وضع أصول الفقه . وتبدو بوادر ذلك التأسيس في مقولته التي قالها في القدس وأوردناها آنفًا . وفيها يُظهر اهتمامه بتحديد أصول الحكم قبل الإفصاح عنه ، فالفقه فرعٌ من أصول الفقه . ما مصدر هذا الفكر الأصولي الذي يقدِّم الأصل الجامع والثابت للتفاصيل المتفرعة والمتغيرة ؟ أهي تلك المدينة التي حوت بين أسوارها مجمل قصة التوحيد التي تشعبت عنها قصص الأديان السماوية الثلاثة وما دار حولها من شعوب وأمم ودول ؟

(ب) الغزّالي في القدس :

جاء الغزالي إلى الشام سنة ٤٨٨هـ تعصف به أزمتُه الروحية وتتمزقه الحيرة والهموم ، تاركًا وراءه مكانة مرموقة في بغداد ، في وقت كانت الأخطار تُحدق بالمسلمين من كل ناحية : « كان ابتداء ظهور الإفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم إلى بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، فملكوا مدينة طُلَيْطلة وغيرها من بلاد الأندلس ... ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلّية وملكوها... وتطرقوا إلى أطراف أفريقية فملكوا منها شيئًا وأُخذ منهم ، ثم ملكوا غيره ... فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام ...»[2] .

(١) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٤ ، ص ٢٢٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ج٤ ، ج٩ .

وبقي الغزالي قُرابة عامين متنقلاً بين دمشق وبيت المقدس ، وقال عن إقامته في بيت المقدس : « أدخل كل يوم الصخرة ، وأغلق بابها على نفسي »[1] . وخرج من تلك الخلوات بموقف اتَّسم بالتباعد عن المتكلّمين والفلاسفة لصالح التصوُّف ، « وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها ... إني علمت يقينًا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة .. »[2] . ويُقال إنه صنَّف كتابه الأشهر « إحياء علوم الدين » في القدس .

ولربما رأى بعضهم في أزمة الغزالي صورة مصغرة لأزمة العالَم الإسلامي آنذاك ، الذي كانت تتمزَّقه الخلافات والانقسامات وتتهدّده الأخطار من كل جانب . ودون تحميل الأمور أكثر مما تحتمل ، ينبغي الإشارة إلى رمزية المكان الذي اختاره الغزالي لخلوته : « قبة الصخرة » ، فهو بلا شك قد وجد ملاذًا في أجواء الزهد والانقطاع للعبادة التي عُرف بها بيت المقدس منذ القرنين الأول والثاني الهجريين . لكن في الغالب لم يكن مُبْتغاه اللجوء إلى مكان هادئ للعبادة والتأمل فحسب ؛ لأنه لو أراد ذلك فقط لوجده في الكثير من الأماكن ، إنما قصد أن يجاور الرمز ليستوحيَه ، جاء يستلهم التاريخ ، تاريخ التوحيد وليس تاريخ الملوك والأمم ، جاء يتحلل من ثقل اللحظة التاريخية التي تشكل غطاء يحجب بصر الإنسان وبصيرته ، ليكشف بعض ذلك الغطاء ، جاء يبتغي النفاذ بالبصيرة إلى ما وراء الأحداث والأحوال والأعراض ... جاء يستجلي قصة التوحيد في الزمن الكلي !

هل أراد الغزالي بتوليفه بين التصوف والشريعة صياغة « برنامج » للأمة في مواجهة الخطر الذي كان يتهددها ؟ أم إنه كان يبحث عن خَلاص فردي من أزمته النفسية ؟ أيًا ما كان الأمر ، هل كان لمثل هذا التوليف أن يولد إلا من رحم

(١) الغزالي : المنقذ من الضلال ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ٣٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

ذلك المكان الذي يجسد تاريخ التوحيد على الأرض. وإذا شئنا أن نلخص ذلك التوليف الذي خرج به الغزالي من عزلته في بيت المقدس، والذي لا يمكن عزله عن السياقين الزماني والمكاني، فهو إحياء للذوق القلبي وللعاطفة الدينية بعد أن غمرتهما السِّجالات الكلامية والتفريعات الفقهية التي شتّتت الخاصة وبلبلتِ العامة. وهو أيضًا ابتعاد عن تصوف الشرق القائل بالحلول وبوحدة الوجود، لتعارضه مع الشريعة، وقطيعةٌ مع ميتافيزيقا اليونان التي تدّعي الوصول إلى حقائق الوجود عن طريق التأمل. وهو بدرجة ما تأسيس للشق العرفاني للوسطيَّة السنية بعيدًا عن إشراق الشرق وميتافيزيقا الغرب. وبمواءمة التصوف مع الشريعة، خرج التصوف من عزلته، وأصبح جزءًا من الدين الرسمي، ونال قَبول العلماء وتشجيع الحكام، وانتشر بين العامة والخاصة.

تزامن هذا التحوُّل في الفكر الديني مع خطر الغزو الصليبي وتزايُد الفتن الداخلية والأزمات الاقتصادية، فانفتح أمام الكثيرين فضاءٌ يلوذون به، عزاء عن واقع قاسٍ، وتعويضًا عن الشعور بفقدان الثقة. ولعل أهم ما يميز هذا الفضاء أنه متاحٌ للعامة والخاصة على السواء، بخلاف الفلسفة والكلام والعلوم... التي كانت للخاصة فقط. وكان ذلك إيذانًا بتحوُّلات عميقة في تركيبة النُّخَب في المجتمعات الإسلامية وفي أسس المعرفة ومحدِّداتها ووظيفتها.

وظلَّ الالتقاء بين التصوف والشريعة ملمحًا مميزًا لبيت المقدس في قرون الحكم المملوكي، تجسده العلاقة المميزة بين أهل التصوف من ناحية، والفقهاء والمحدِّثين من ناحية أخرى في الزوايا والمدارس.

(جـ) ابن خلدون في القدس:

مع توارد الأخبار عن تقدم المغول وفي غمرة الاضطرابات الداخلية التي شهدتها الدولة المملوكية بمصر والشام، ارتأى ابن خلدون التوجه إلى بيت المقدس، كان ذلك سنة ٨٠١ هـ. كانت جذوة طموحاته قد خَبَتْ، وشغفه

بالاقتراب من دوائر السلطة قد زال أو كاد ، وقَنِعَ بالتفرُّغ للتدريس والتأليف مع تولي منصب قاضي المالكية في مصر لمُدد متقطعة وقصيرة . وكان يرقب « تنقُّل أحوال الدولة بالتدريج إلى الفخامة والاستيلاء ، ثم إلى الضعف والاضمحلال » فها هي الدولة المملوكية تمضي نحو الضعف بعد القوة ، لتمنح نظريته عن أحوال الدول ، التي استخلصها من دراسته لتاريخ دول الغرب الإسلامي ، دليلاً إضافيًّا . وها هو مَشْرِقُ العالم الإسلامي يصاب بما أصيب به مَغْرِبُه من الوهن ؛ تحقيقًا لمقولته بتبدُّل الأحوال جملة ، « فكأنما تبدل الخلق من أصله ، وتحول العالم بأسره ، وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة ، وعالم محدث »[(1)] .

يصف ابن خلدون رحلته إلى القدس بقوله : « ووصلت إلى القدس ودخلت المسجد وتبرّكت بزيارته والصلاة فيه ... وقضيتُ من سُنَن الزيارة ونافلتِها ما يجب ، وانصرفت إلى مدينة الخليل عليه السلام ، ومررت في طريقي إليه ببيت لحم ، وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح ، شيدت القياصرةُ عليه بناءً بسِماطين من العُمُد الصُّخور ، منجدة مصطفّة ، مرقومًا على رؤوسها أسماء ملوك القياصرة ، وتواريخ دولهم ، ميسرة لِمَنْ يبتغي تحقيق نقلها بالتراجمة العارفين لأوضاعها ، ويشهد هذا المصنع بعظم ملوك القياصرة وفخامة دولتهم »[(2)] .

هنا اتسعت الرؤية ليصبح العالم برغم تنوعه واختلاف دُوله ، وحدة واحدة ، تخضع لقانون وجودي واحد ، ويواجه المصير ذاته ، فالقدس إذًا موضع تماسٍّ مع الآخر ، لكنها في الوقت ذاته شاهدٌ على أن وراء الاختلافات والفوارق تكمن ثوابت وقواسم مشتركة بين الجميع .

---

(1) ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، نهضة مصر ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٢٦ .

(2) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ص ٣٥٠ .

(د) ابن الهائم في القدس :

ولد ابن الهائم سنة ٧٥٣هـ بمصر ، وعمِل بالقاهرة . ولّما تولى أحد العلماء من أصل مصري التدريس بالمدرسة الصّلاحية « أحضره إلى القدس واستنابه في التدريس وأصبح من شيوخ المقادسة »[١] ، « و انتهت إليه الرئاسة في الحساب والفرائض ... وسارت بمؤلفاته وفضائله الرُّكبان ، وتخرّج به كثير من الفضلاء ورحلوا إليه من الآفاق ، وأخذ الناس عنه طبقة بعد طبقة ... وكان نادرةَ عصره في الفرائض والحساب »[٢] ، له مؤلفات عديدة ألف بعضها في مصر وبعضها في مكة ، وبعض آخر في القدس . وظلت أعماله تُدرَّس في الأزهر حتى القرن التاسع عشر ، مثل « الوسيلة » و « المعونة » في الحساب ، ومنظومة « المقنع » في الجبر . كما طبعت رسالته « اللمع » في الحساب بمطبعة بولاق في القاهرة سنة ١٨٢٦ ، وكانت أول كتاب يطبع في الرياضيات في مصر ليستعان به في المدارس الجديدة التي أنشأها محمد علي . وهذا الاستمرار الطويل يدلُّ فيما يدل على القيمة التعليمية لتلك الأعمال .

وتحتوي المكتبة الخالدية بالقدس على عدد من مخطوطات ابن الهائم ، كما توجد مجموعة منها في دار الكتب المصرية ، وأخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق ، وثالثة موزّعة في مكتبات أوروبا . والملاحظ أن لكل مخطوط عددًا لا بأس به من النُّسخ المكتوبة في تواريخ مختلفة ، مما يؤيد الرأي القائل بالانتشار الواسع لأعمال ابن الهائم ودورها التعليمي .

وقد فرغ ابن الهائم من نظم منظومة « المقنع في علم الجبر والمقابلة » ، التي تُعرف أيضًا بـ « لامية ابن الهائم » في المسجد الأقصى سنة ٨٠٤ هـ . وقد أُلِّفَ حولها ، كغيرها من المنظومات التعليمية ، كثير من الشروح ، منها ثلاثة

(١) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ص ١١٠ .

(٢) الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج١ ، ص١١٧-١١٨ .

لابن الهائم نفسه : « الممتع » و « المسرع » و « المسمع » ، ألفها في القدس سنة ٨١٠ هـ .

ولم يكن ابن الهائم أول مَنْ نظم في الجبر ، فقد سبقه الرياضي المغربي ابن الياسَمين (ت ٨٠١ هـ) ، الذي نظم « الأرجوزة الياسَمينية في علم الجبر والمقابَلة » التي اشتُهرت وذاع صيتُها وكثر شُرَّاحها ، ومن بينهم ابن الهائم الذي ألّف « الدُّر الثمين في شرح أرجوزة ابن الياسَمين في علم الجبر والمقابَلة » سنة ٧٨٩هـ بمكة المكرمة .

وتتكون « الياسَمينية » من ثلاثة وخمسين بيتًا من بحر الرَّجَز ، و « المقنع » من تسعة وخمسين بيتًا من بحر الطويل . وموضوع المنظومتين واحد ، وهو تعريف المبتدئين بمبادئ الجبر والمقابَلة ، من تعريف للمصطلحات وتصنيف للمعادلات ، ثم أخيرًا تقديم آلياتِ حلّها . وعلى الرغم من أن الفارق الزمني بين المنظومتين يفوق القرنين بحساب السِّنين ، فإنَّ القارئ قد يجدهما متشابهتين بدرجة كبيرة في الموضوع وزاوية التَّناول وطريقة العرض ، حتى يخال إليه أن من الممكن الاستغناء عن واحدة والاكتفاء بالأخرى . ولعل الغاية التعليمية المشتركة بينهما - مساعدة المبتدئين - تفسر بقدر كبير هذا التشابه . ومع وجود الفارق الزمني الكبير بينهما ، فإن ثمة تباينًا فلسفيًّا يكمُن وراء هذا التشابه الظاهري ، ففي « الياسَمينية » موضوع علم الجبر هو استخراج الأعداد المجهولة التي تكون على هيئة مال (س^{٢}) وجذر (س) في ارتباط في ما بينهما مع أعداد معلومة بالجمع والطرح في ستة نماذج تم تصنيفها . ويقدم ابن الياسَمين في منظومته طرائق حل هذه المسائل السِّتة دون أن يوحي للدارس بإمكانية العثور على مسائل غير تلك السِّتة . فالجبر إذًا فرع من علم الحساب ، مَبْحثُه هو إيجاد الأعداد المجهولة الواقعة ضمن النماذج الستة المعروفة . وهذه رؤية مغلقة للجبر تجعل منه مجرد آليات لحل ست معادلات من الدرجة الثانية في إطار الأعداد المعروفة آنذاك .

أما في « المقنع » فموضوع الجبر هو المقادير التي هي أعمُّ وأشمل من الأعداد ، لأنها تضم الكميات المتصلة كالخط والسطح إلى جانب الأعداد كلها وما قد يستجد . وفي الجزء الأول من المنظومة نتعرف على أن المقادير تنتظم على هيئة جذر ومال وكعب ، بحيث يمكن التوسع في مراتبها وأُسُوسها بالضرب ، دون أن يكون لذلك التوسع حدود . وفي الجزأين الثاني والثالث يقدم ابن الهائم قواعد جمع المقادير وطرحها وضربها وقسمتها ، والتي نكتشف أنها كميات جبرية مستقلة لها قواعدها الحسابية الخاصة بها . وفي هذا تعميم لعلم الحساب ؛ للخروج من دائرة الأعداد إلى دائرة المقادير الأوسع التي صارت كائنات رياضية تمثل الأعدادُ حالةً خاصة لها . فالجبر هنا علم « مفتوح » يستوعب المقادير بأنواعها ، ويمنحها طرقًا حسابية خاصة بها ، تفتح المجال لترييض « الكميات المختلفة » والتوليف بينها في نسق واحد تحت مظلّة الجبر . أما الجزء الرابع من المنظومة ففيه آليات حل المسائل الستة التي توصف بأنها « مرتبة في العرف » ، أي إن مصدرها تعارف الجبريين وتواضُعهم عليها وليس طبيعة الأشياء . ويبدو جليًّا في المنظومة التمييز بين الحساب الجبري الذي فُصِّلت قواعده في الأجزاء الأول والثاني والثالث ، وبين آليات حل المسائل الستة التي مصدرها العرف .

وفي هذا التمييز ما يُشي بأن هذه المسائل لا تمثل سوى حالات خاصة أو مجال لتطبيق الحساب الجبري الذي يتكشّف عن استقلالية وخصوبة قد لا يدركها المبتدئ ، لكنه يتهيأ لتقبُّلها في ما بعد .

وقد يجادل بعضهم بأن رؤية ابن الهائم « الواسعة » للجبر قد تكون نتاجًا للتطورات التي طرأت على هذا العلم طيلةَ القرنين اللذَيْن يفصلانه عن ابن الياسَمين ، بيد أن تاريخ الجبر يبيّن أنه لم يحدث تطور يذكر خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، بل على العكس كانت تلك المرحلة عصرَ ركود واجترار تباطأت فيها حركة العلم ، وقلّت أصالته ، وانخفضت أعداد المشتغلين به .

أما التطورات التي طرأت في علم الجبر قبل القرن السابع الهجري ، فقد كانت أكثر أصالة وأبعد أثرًا ، فكان من باب أولى أن يتأثر بها ابن الياسَمين ، وليس ابن الهائم الذي جاء بعد قرنين من التحولات الكبرى التي أضعفت العالَم الإسلامي ، ونالت من حيويته العلمية ومن توهُّجه الفكري .

والراجح عندنا أن روح المكان الذي حرص ابن الهائم على ذكره في ذيل المنظومة - المسجد الأقصى - قد انعكست على رؤيته ، فجاءت تجمع بين العناصر المختلفة ، وتؤلف بينها في نسق يجسّد جدلية التنوع في الوحدة .

في فلسفة المكان :

كُتبَ الكثير عن العقل العربي وعن العقلية العربية ، وأثارت تلك الكتابات جدلًا واسعًا حول المناهج التي تبنّتها ، والنتائج التي توصلت إليها . ومن جملة التساؤلات : هل يوجد ما يمكن أن نطلق عليه « العقل العربي » في ظل تبايُنات المحيط العربي وتعدد مساراته التاريخية واختلاف المؤثرات الخارجية التي تتعرض لها أجزاؤه ؟ وكيف يصمد مثل هذا العقل أمام التقلُّبات والتحوُّلات التي لا تتوقف ؟ لسنا هنا بصدد التعرض لذلك الجدل ولا للعقبات المنهجية التي تعترض هذا التناول ، ولا وجاهة هذا الرأي أو ذاك .

وما يهمُّنا في هذا السياق هو رصد بعض السِّمات العقلية التي استمدتها الثقافة الإسلامية من جذورها العربية ، وبقيت حاضرة ومؤثرة في مسيرة تلك الثقافة . ولا يعني استقرار بعض السمات العقلية أو استمرارها لأمد طويل ، أن تلك الثقافة جامدة أو منغلقة ، فهي تتعرض للمؤثرات وتتفاعل معها ويصيبها من الحيوية والركود ، ومن التمدد والانحسار، ومن الانفتاح والانكفاء - ما يصيب غيرها من الثقافات ، دون أن ينتقص ذلك من تنوُّعها وقدرتها على التجديد والتطور .

والتغيير الثقافي يتم في وجود معالم ثابتة أو شبه ثابتة لا تنال منها عوامل التغيير إلا قليلاً وببطء شديد. وكذلك التنوُّع والتعدد داخل الثقافة الواحدة يتولدان في إطار وحدة أو روح تميزها عن غيرها. وتسليط الضوء على الثابت في ثقافة ما، لا يقلل من أهمية المتغير والمتحوّل فيها، وكلاهما يقوم بدوره، والاثنان يتعايشان في جدل تبادلي يُكسب الثقافة طابعها الخاص وروحها المميزة.

ولعله من نافلة القول الإشارة إلى قوة التأثير العربي في الثقافة الإسلامية، فعلى الرغم من أهمية الإسلام وعالمية رسالته وكونه حلْقة لا تنفصل عن حلْقات التوحيد الأخرى التي تبناها وانتظم في صفّها، فإنه جاء بلغة العرب، ونواتُه الأولى من العرب، ولذلك فإنه أبقى على الكثير من أعرافهم التي لا تتعارض مع مبادئه، واصطبغ في نواح كثيرة بثقافتهم. ولما كانت النصوص المؤسِّسة للإسلام من القرآن الكريم ثم من الأحاديث النبوية، وهي كلها باللغة العربية، فإن الفكر الإسلامي قد تبنّى قوالب عقلية وطرائق فكرية مستمدة من تلك اللغة. وتاريخيًّا تم وضع الأسس المعرفية للثقافة العربية الإسلامية في الدول الإسلامية الأولى التي كان يحكمها العرب، فصبغوها بصبغتهم، وأضفَوْا عليها من ثقافتهم وسماتهم العقلية الكثير.

ومن تلك السِّمات العقلية التي أورثتها الثقافةُ العربية الفكرَ الإسلامي، قلّةُ النزوع إلى التوليف والتركيب بين الأفكار المختلفة، والتركيز على الفروق والاختلافات، والاحتفاء بالتنوع، والميل إلى التصنيف. وهذا يفسر بدرجة ما غياب المنظومات الفكرية والتوليفات التي تجمع بين المتفرق والمختلف، في حين أن هنالك الكثير من المؤلفات الموسوعية، وكتب المتفرقات والتصنيفات، وجمع الشوارد. ومن هنا جاء وصف الشهرستاني لحكماء العرب بـ «أكثر

حِكمهم فلتات الطبع وخَطَرات الفكر ... »[1] . وقد يكون ذلك مرتبطًا « بكثرة ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء ، والحكم بأحكام الماهيات والحقائق »[2] . وقد يكون انعكاسًا لبنية اللغة أو للبيئة التي تشكّلت فيها الثقافة العربية . وقد وافق هذا التوجه العقائدَ الكلامية الرئيسة لدى المسلمين ، التي حرصت على الفصل بين الله والعالَم . فالعالم يبقى آيات متفرقة تدل على الخالق ، لكنه ليس متحدًا معه ولا مجسدًا له . فَهُم (المسلمون) يحتفون بالتنوع ، ويتوسَّعون في إحصاء المتفرقات التي تعبر - من وجهة نظرهم - عن آيات الله التي لا تحصى . هذا باستثناء بعض المدارس الصوفية وبعض فِرق الشيعة .

وأيًا ما كانت جذور هذا الميل والنزوع العقلي وأسبابه ، فإنه يشكل إحدى العقبات التي تعترض كلاً من الفكر الفلسفي والعلمي . والأمثلة على ذلك كثيرةٌ من الفلسفة والعلم ، لكنا نكتفي بالتعرض إلى واحد منها ، وهو مصير علم الجبر العربي ، فالرياضيات العربية التي نشأت أخذًا عن رياضيات اليونان والهند وحلاً لمشكلات محلية أفرزتها الحضارة الوليدة ، سرعان ما اختطّت لها خطًّا مميزًا وأصيلاً تمثّل في ظهور علم الجبر في بيت الحكمة ببغداد بالتزامن مع تبنّي الدولة للفكر المعتزلي . وعلى الرغم من أن الجبر علم توليفي يتلاقى فيه الحساب والهندسة ، فإنَّ الجبريين ما لبثوا أنِ انقسموا إلى حُسَّاب ومهندسين ، ليفقد هذا العلم ميزته الأساسية ، وشيئًا فشيئًا لم يعد الجبر سوى آلية لحل مسائل المجهولات . وعند البحث عن أسباب إهدار إمكانات الجبر ، لا نستطيع أن نغفل الحالة العامة للعلم العربي وما أصابه من انحسار عام تحت وطأة عوامل شتى وظروف داخلية وخارجية تعرض لها العالم الإسلامي . لكن ليست عوامل الانحسار التي تعرض لها العلم العربي جملةً ، وحدها المسؤولة عن المصير الذي

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ، دار المعرفة ، بيروت ، ص ٣٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨ .

آل إليه الجبر ، بدليل استمرار الاهتمام بفروع معرفية أخرى . والراجح هو أن لطبيعة العقلانية العربية الإسلامية دورًا في تحجيم الجبر وتحويله إلى مجرد تقنيات لاستخراج المجهولات العددية من المعادلات .

وأمام هذه السمة الغالبة على العقل العربي تفتح القدس أفقًا واعدًا وملهمًا بالوحدة في وجود التنوُّع والاختلاف بل الصراع . فالقدس التي تحتضن في حيِّزها المحدود آثارًا مقدسة للديانات السماوية الثلاث ، وتحمل تاريخًا داميًا للخلافات والصراعات بين الأمم والأديان والحضارات ، تجسِّد قصة كثيرة الأحداث ، كثيرة التعرُّجات ، كثيرة الشُّخوص ، لكن في التحليل الأخير ليس فيها سوى خيط واحد : التوحيد على الأرض . وها هو المكان الصامت ينطوي على حكمة بليغة ، هي حتمية وجود المؤتلف مهما بلغت حدة المختلف ! فالتجربة المقدسية إذًا ليست زادًا روحيًّا فحسب ، إنما هي فضاء ينفتح أمام العقل العربي الإسلامي ، وهذا ما يمكن أن نقرأه وراء سطور التراث المقدسي .

ومن السِّمات العقلية الأخرى المستقرة في العقل العربي الإسلامي علاقته بالزمن ، فالزمن عند العرب ثُم عند المسلمين آناتٌ متقطعة لا رابط بينها ، فهو ليس الزمن الخطِّي المتجانس المتصل ، ولا هو المتصاعد نحو غاية ما ، ولا هو زمن العود الأبدي الذي يدور في دوائر ذات مركز واحد بلا نهاية ، إنما هو « نسبي حسِّي يتداخل مع الحدث مثل المكان الذي يتداخل مع المتمكن فيه »[1] . ويظهر جليًّا هذا التداخل في الصيغة الصرفية « مفعل » التي تعبر عن المكان والزمان على السواء ، « ولقد أنشأ الذهن العربي من المكان والزمان ظرفًا مشتركًا ، فعبر عنهما بصيغة واحدة ، وشمل بهذه الصيغة اسم المصدر أيضًا ... إن نشأة هذه الصيغة من الماضي واقترابها بالشكل من اسم المفعول اقترابًا يتحول إلى مماثلة تامة

(١) محمد عابدي الجابري : بنية العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٦ ، ص ١٨٩.

في الأفعال التي تزيد على الثلاثي لَيكشفان لنا عن التباس المصدر بالزمان والمكان في ذهن العرب وتغلُّب طابع المكان عليها » .

وقد ألقى هذا التصور لزمن جزئي ومتقطع بظلاله على العلوم والتاريخ ، مما أثر سلبًا على مسيرة تلك المعارف . فعلى سبيل المثال لم تتجاوز دراسة الحركة عند المسلمين نطاق الفلسفة ، ولم تتناولها العلوم إلا على استحياء . كما انصرف المؤرّخون إلى الحوليات وتاريخ الملوك والدول والإمعان في سرد الأحداث وتفاصيلها . وبقيت تجربة ابن خلدون في كتابه « المقدمة » عملاً فرديًا لم يؤسس لتيار ولا لمدرسة .

وترجع جذور تصور الزمن المفتَّت إلى البيئة العربية وإلى ذوبان الفرد في الجماعة ، مما جنبه وَيْلات القلق الوجودي التي تضع الفرد وحيدًا أمام مارد الزمن الذي يُطبِق على الوجود . وفي الإسلام تبنَّت الفِرقُ الكلامية الرئيسة تصوُّرَ الزمن المفتَّت ، وكَرَّسَتْه ضمن البناء العقائدي للمسلمين .

أما القدس بمكانتها وتاريخها ورمزيتها فتجسد مفهومًا مغايرًا للزمن تنضح به روحها ، ويتبدَّى في تراثها ، هو مفهوم « الزمن الكلي المتصل » ، ذلك الذي تقع فيه الأحداث والتقلُّبات ، لكنها مهما عظُمت فهي ليست سوى نقاط صغيرة وسط الأبعاد اللَّانهائية لذلك الزمن . هو زمان يتجاوز محدودية المكان الذي لا يمثل سوى رمزٍ له . ومن وجهة نظر أخرى قد يكون الزمان المقدسي هو الزمان المطلق الذي يمتد وراء الحُجب ، وهو ما يعبر عنه بوصف القدس بأنها أرض المحشَر والمنشَر .

ويمثل هذا التصوُّر الزماني - الذي يعبِّر عنه التراث المقدسي ، وتجسده المدينة على نحو دائم - إضافةً للعقل العربي الإسلامي ، وهو في أمسِّ الحاجة إليه لتجاوز حالة الجمود التي يعيشها وارتياد آفاق حال دونها غيابُ تصورٍ لزمنٍ كلِّي .

خـاتمـة :

كيف يستقيم هذا الدور « الإبستمولوجي » لمدينة القدس ، وهذه الآفاق الواعدة التي تفتحها أمام العقل العربي الإسلامي مع ما ورد في بعض الكتابات عن قلة علمائها ؟ فالمقدسي قد أشار إلى « خلو المسجد [الأقصى] من العلماء والمتعلّمين » . والقزويني وصفها بأنها « قليلة العلماء » . والحموي لم يذكر في « معجم الأدباء » سوى أديب مقدسي واحد .

صحيح أن القدس لم تكن مقرًّا لكثير من العلماء ، ولهذه الظاهرة ما يفسرها على ضوء أن العلم كان يزدهر برعاية الخلفاء والسلاطين وحول بلاطهم ، وأن رعاية العلم وإنشاء المدارس كان مرتبطًا بالأحوال الاقتصادية . والقدس لم تقع في الماضي على خطوط التجارة الإقليمية ولا الدولية ، وليس حولها أراضٍ زراعية واسعة ، ولم تُعرف عنها صناعات إلا القليل من الزيت والصابون والمنسوجات . ولم تكن حاضرةَ دولةٍ ولا عاصمةَ سلطان ، بل على العكس كانت ملجأً لبعض المخالفين للعقائد الرسمية وللمغضوب عليهم من الحكام ، لذلك فهي لم تجتذب العلماء للإقامة فيها ، إلا أن مَنْ زارها منهم تركت فيه أثرًا لا ينمحي .

إن الاكتفاء باعتبار القدس ضلعًا ثالثًا في مثلث الجغرافية الروحية للمسلمين ، ومن ثم حصر تراثها في البعد الروحي - بالمعنى الصوفي - ينطوي على تجاهل لديناميكية هذا التراث ولمكانته الكامنة التي من الممكن أن تسهم في بعث العقل العربي . وينبغي ألا ننسى أن القرآن علّل الحجَّ إلى بيت الله الحرام بشهود المنافع .

ولفظ « المنافع » - كما أشار المفسرون - يتسع لأشياء كثيرة . وكذلك بالنسبة للقدس ، فليست قدسيتها لاهوتًا للمكان ، إنما هي تناغمٌ مع سيرة التوحيد يرتقي بالوجود الإنساني الذي لا يفاضل بين معاش ومعاد ، ولا يتأزّم من ثنائية العقل والروح ، ولا يمزج الناسوت باللاهوت . فالقدس إذًا أُفق إبستمولوجي واعد لمستقبل العقل العربي الإسلامي .

* * *

المصـــادر

المخطوطات :

- ابن عساكر (بهاء الدين) : « الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » .
- ابن الفركاح : « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » .
- ابن الهائم : « المقنع في علم الجبر والمقابلة » .
- ابن هبة الله : « الأُنس في فضائل القدس » .
- أبو المعالي المشرف بن المرجّى : « فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضائل الشام » .
- السيوطي (شمس الدين) : « إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى » .
- شهاب الدين المقدسي : « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » .
- عبد الغني بن إسماعيل النابلسي : « الحضرة الأُنسية في الرحلة القدسية » .
- اللقيمي : « موانح الأُنس برحلتي لوادي القدس » .
- الواسطي : « فضائل بيت المقدس » .

الموسوعات :

- AL-KUDS, The Encyclopaedia of Islam, Leiden, 1986.

الدوريات :

- Emanuel SIVAN: The Beginnings of the Fadail al-Quds Literature, Isreal Oriertal studies, Jan. 1971, pp. 263-271.

الكتب :

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- ابن تيمية : قاعدة في زيارة بيت المقدس ، تحقيق ونشر تشارلز ماثيوز ، ييل ، ١٩٣٦ .
- ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ضبط محمد زينهم ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٦٠ .
- محمد أبو زهره : الشافعي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٨.
- محمد عابد الجابري : تكوين العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٤ .
- ــــــــــ : بنية العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٦ .
- محمود إبراهيم : فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ١٩٨٣.

- مصطفى عبد الرازق : الشافعي واضع أصول الفقه ، القاهرة ، سلسلة أعلام الإسلام .
- ــــــــــــ : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٤ .
- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط ٢ ، ليدن ، ١٩٥٧ .
- ناصر خسرو : سفر نامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، تحقيق مرجليوث ، القاهرة ، ١٩٣٠.

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ **د. يوسف زيدان :**

أشكر د. شمس الدين الكيلاني على تحليقه في الأفق التَّوْراتي للأصول الخاصَّة بفلسطين . وأشكر د. محمد عبد الوهاب جلال على هذه الإفاضة التي تحدّث فيها بسرعة عن تاريخ العلوم العربيَّة ، معرّجًا على الرياضيين الذين كتبوا المنظومات ، وانتهى إلى النظرة الفلسفيَّة التي قدمها .

وقبل أن نبدأ في التعقيبات والمداخَلات أثير سؤالاً : هل هناك مكانٌ مقدسٌ لذاته ، أم بالمقدِّسين له ؟

■ **د. شمس الدين الكيلاني :**

إذا استغرقت القداسةُ المكانَ كليًّا فهذه وثنيَّة ، وإذا كانت القداسة لشيء متعالٍ ، صارت القداسة روحيَّة ، وإذا كانت القداسة إشارة للإنسان فقط دون أي بُعْدٍ متعالٍ ، فهذه وثنيَّة زمنيَّة .

■ **د. محمد عدنان البخيت :**

السؤال صعبٌ ، وفي ما تفضّل به الدكتور في هذا الاستغراق الواسع - نقلة روحية فيها إسقاط على المكان ، ومن ثَمَّ فقدسيَّة بيت المقدس مستمدّة من الآيات الكريمات : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١] ، ﴿ وَأَوْرَثْنَا

ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف : ١٣٧] ، ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١] ، ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً ﴾ [سبأ : ١٨] .

فالآية الأولى (الإسراء ١) ظاهرة واضحة ، والآيات الآتية : (الأعراف ١٣٧ ، والأنبياء ٧١) حسب الطبري والقرطبي وغيرهما من المفسرين : ﴿ بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ : الشام ؛ والشام لدى المؤرخين القدامى ، وفي الأدبيات التاريخيَّة الإسلامية القديمة تطلق على (دمشق وفلسطين) .

أما آية سبأ ففسرها القرطبي في وجه أن ﴿ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ هي الأردن وفلسطين والشام[1] .

والأمر الثاني : الحديث الشريف : « لا تُشَد الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » .

والأمر الثالث : أجر الصلوات في المسجد الأقصى ، كما نصَّ الحديث الشريف الذي جاء على لسان إحدى زوجات النبي ﷺ رضي الله عنهن .

هذا جانبٌ ، لكنْ إذا انتقلنا إلى أهل اللغة ، فإنهم يعرِّفون بيت المقدس بأنها البلد الذي يتطهر أهله من الشرور والآثام .

وإذًا فأهل بيت المقدس قد طُهِّروا من الآثام .

■ د. يوسف زيدان :

استوقفني في بحث د. محمد عبد الوهاب جلال أن أبا حامد الغزّالي أتم عمله

(١) انظر تفسيري الطبري والقرطبي في مواضع تفسير هذه الآيات (المحرر) .

الكبير « الإحياء » في القدس ، والحقيقة أن المعروف أنه أتمّه في منارة الجامع الأموي بدمشق .

■ **د. أحمد معبد عبد الكريم** :

السؤال الذي تفضّل به د. يوسف زيدان : هل القداسة للمكان أم للأشخاص الذين يقدّسون المكان ويحلّون فيه ؟

النصوص الإسلامية التي تقرر مشروعية القداسة تجمع بين الأمرين ، فالله عزّ وجل حينما قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١] ، فإنما أعطى قداسة للمكان ، وعندما قال لنبيّه ﷺ : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] ، أعطى قداسة للمقدسين أو المتطهرين ، فتكون القداسة من مجموع الأمرين .

و د. يوسف لاحظ من دراسته المتعمقة للتصوف والفلسفة أنه حوّل المسألة من سرد تاريخي إلى استيحاء مؤصّل فيما سمعت فإن هناك ربطًا في الإسلام بين القداسة وبين الديناميكية - إذا صح أن نستعمل هذا التعبير - فليس هناك قداسة صامتة ليس فيها حياة ولا إحياء ، إنما هي قداسة تحيي ما حولها ، وتحتفظ بذاتيتها التي حفظها الله لها .

* * *

الجِلسة الثامنة :

مستقبل تراث القدس

المخطوطات المقدسية المفهرسة

(نظرة على المجموعات ، وتقييم للفهارس)

د. يوسف زيدان (*)

د. أحمد شوقي بنبين (رئيس الجلسة) :

يسرني أن أكون واحدًا من المشاركين في هذا المؤتمر ، وأن أرأس هذه الجلسة التي سيتحدث فيها د. يوسف زيدان مدير مركز المخطوطات في مكتبة الإسكندرية ، وسوف ينقلنا ببحثه نَقلة جديدة ؛ لأنه سيدخل بنا إلى عالم المخطوطات المقدسية ، أو الموجودة في القدس ، لينظر في موضوعاتها وقيمتها ، كما أنه سيتوقف عند الفهارس التي صدرت لهذه المخطوطات ، ويجري عملية تقييم لها ، ويستبق ذلك بإلقاء نظرة على القدس نفسها عبر التاريخ بوصفها الوعاء الذي تشكلت فيه هذه المخطوطات .

كان يفترض أن يكون معنا في هذه الجلسة المعنونة بـ « مستقبل تراث القدس » د. محمد فتحي عبد الهادي الأستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة ، لكنه - للأسف - اعتذر لأمر طارئ . وهذه مناسبة للإشارة إلى أن بحثه المقرر كان تحت عنوان « نحو قاعدة بيانات إلكترونية لمخطوطات القدس » .

أدعو د. يوسف زيدان للتفضل بإلقاء بحثه ، والوقت أمامه - مع غياب د. فتحي - متسع .

* * *

تـوطـئـة :

تلك هي المرة الثانية التي نلتقي فيها - خلال بضعة أعوام - بالقاهرة للنظر في مخطوطات فلسطين . وفي ندوتنا الدولية السابقة التي نظمها معهد المخطوطات العربية ، أيضًا ، كان موضوع بحثي بعنوان « تقويم فهارس مخطوطات فلسطين » ، وقد عكفت فيه على النظر في أربعة فهارس لمجموعات : المكتبة الأحمدية في عكا ، مكتبة مسجد الحاج نمر في نابلس ، مكتبة الحرم الإبراهيمي في الخليل ، المكتبة

(*) أستاذ الفلسفة الإسلامية وتاريخ العلوم ، مدير مركز المخطوطات ومتحف المخطوطات بمكتبة الإسكندرية .

الإسلامية في يافا . وذكرتُ في بحثي السابق ما ذكرتُ من حال الفهرسة هناك بعامة ، فكان ما كان مما لستُ أذكره ، فظُنَّ (خيرًا) ولا تسألْ عن الخبر[1] ! ولسوف نعكف في ما يلي ، على النظر في المجموعات الخطية الموجودة اليوم في القدس خاصة ، لنرى طبيعة هذه المجموعات وما جرى معها من عملياتٍ للفهرسة ، من خلال فهارس أربعة سنعرف بعد قليل أنها جاءت متفاوتة في القيمة الفنية ، لكنها متساوية في الأهمية .

وقبل الخوض في خضم المجموعات المقدسية وفهارسها ، تجدر الإشارةُ إلى أننا ، وإن كنا نُعنى بمخطوطات فلسطين والقدس ، إنما نُعنى فقط بالجانب النظري ! فنحن لا نستطيع الاقتراب من هذه المجموعات الخطية ، إلا على صفحات الفهارس . فالعينُ تكتحلُ بمرأى العناوين التي تَرِد في الفهرس ، واليد تقصُر عن الوصول إلى هذه المخطوطة أو تلك ، فلا يحلم بتحقيقها محققٌ ، ولا بترميمها مرممٌ ، ولا بفحصها باحثٌ ، وما ذاك - بالطبع - إلا لأن هذه المخطوطات الفلسطينية والمقدسية ، مثل كل ما هو فلسطيني ومقدسي ، مضروبٌ عليه حصارُ الزمان الذي نعيش فيه ، ولا يَدَ عليه إلا لأبناء العم إسحاق بن إبراهيم الخليل ، عليهما السلام !

مدينة السلام : ساليم ، هيروسليم ، أورشليم ، إيلياء ، بيت المقدس ، القدس ، بيت الرب.. أسماءٌ كثيرة حملتها هذه المدينة التي ندعوها مدينة السلام ، مع أنها نادرًا ما كانت تعرف السلام ، فهي طيلةَ تاريخها محاطةٌ بقلقِ الحروب والصراع والجدب المحيط بها من كل الجهات . وما حالها اليوم ببعيد عن أحوالها لّما نزلها اليهود قديمًا ، وجرت على أرضها أول عمليات إبادة « هولوكوست »

---

(١) نشر هذا البحث بالكتاب الصادر عن معهد المخطوطات العربية ، سنة ٢٠٠٠م . وهو متاح إلكترونيًا بموقعنا على شبكة الإنترنت www.ziedan.com باب : أكاديميا / بحوث تراثية .

مسجلةٌ في التاريخ ، بل مُتفاخَرٌ بها ! أعني بذلك ما ورد في التوراة العبرية من إبادة يُوشَع بن نون لإحدى وثلاثين مملكة فلسطينية ، عند دخوله « أرض الميعاد » وقد جعلوا له سِفرًا من أسفار الكتاب المقدس ، يروي أعماله بأرض فلسطين ، منه ما يأتي : « كل من يخالف أمرك ولا يسمع كلامك في جميع ما تأمره به ، يُقتل ، إنما كن متشددًا وتشجع » [سِفر يشوع ١/١٨] . وقال يشوع للرجلين اللذين تجسَّسا الأرض : « ادخلا بيت المرأة البغي وأخرجا من هناك المرأة وجميع ما هو لها كما حلفتما لها .. وأحْرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار ، إلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد ، فإنهم جعلوها في خزانة بيت الرب ، ورحاب البغي وبيت أبيها وجميع ما هو لها ، استبقاهم يشوع » [٦/٢٢ - ٢٥] ، وقال الرب ليشوع : « لا تخف ولا تفشل ، خذ معك جميع رجال الحرب .. فتفعل بالعَي وملكها ، كما فعلت بأريحا وملكها .. ولما فرغ بنو إسرائيل من قتل جميع سكان العَي ، في الصحراء وفي البرية حيث لحقوهم ، وسقطوا جميعهم بحد السيف .. وكان جملة من قُتل في ذلك اليوم من رجل وامرأة ، اثني عشر ألفًا » [٨/٢٥] ، ثم اجتاز يشوع وجميع إسرائيل معه ، من مَقّيدَةَ إلى لِبْنَة وحاربها ، فأسلمها الربُّ أيضًا إلى أيدي إسرائيل هي وملكها ، فضربوها بحد السيف وقتلوا كل نفسٍ فيها ، لم يُبقوا فيها باقيًا ، وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك أريحا . وجاز يشوع وجميع إسرائيل معه من لِبْنَةَ إلى لاكيش .. فافتتحوها في اليوم الثاني وضربوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنة . حينئذٍ صعِد هورام ملك جازرَ لنصرة لاكيش ، فضربه يَشُوعُ هو وقومه ، حتى لم يبق منهم باقيًا [١٠/٢٧ وما بعدها] .

وعلى النحو السابق ، أباد يوشع بن نون المسمى عندهم « يشوع » جميع ممالك : عجلون وحبرون ودبير وأرض الجبل وغزة وقادس ... إلخ . وفي كل مرة تؤكد الآيات التوراتية أنه كان يقتل الجميع (حتى لم يُبق منهم باقيًا !!) .. وهكذا بدأ التاريخُ المكتوبُ « المقدَّسُ » لأرض فلسطين ، على يد اليهود الذين

يشتكون اليوم مما يسمونه الهولوكوست !

امتد تاريخ فلسطين والقدس داميًا مضطربًا في أغلب العصور والأوقات التي مرَّت بها . فمن استقرار العبرانيين بها ، بعد المذابح التي تباهت بها التوراة كأنها مآثر حضارية .. إلى سَبْي البابليين لأهلها وسَوْقهم عبيدًا وعمالَ سُخرةٍ ! ومن عودة اليهود من السبي البابلي ، إلى تفنُّن أحبارهم في كتابة (التاريخ المقدس) الذي يزعمون - وإن هو إلا (تاريخ العنف) الإنساني في هذه الأرض البائسة - إلى احتلال الرومان لديارها ، ثم اضطراب أحوالها مع ظهور المسيحية .. ومن ظهور الإسلام ودخولها في دولته الممتدة شرقًا وغربًا ، إلى الحروب المتوالية بين المسلمين والروم ، وبين المسلمين وملوك أوروبا الذين جاءوا يرفعون راية الصليب .

وقد تزامنت الحروب الصليبية مع حروب صغيرة متتابعة ، بين ملوك الأيوبيين ومن بعدهم المماليك . وهو ما أدى إلى (خراب) دائم بهذه الأرض ! ولنتأمل هذه الفقرة التي جاءت في رسالة فرديدريك الثاني إمبراطور صقلية إلى الملك الأيوبي ، وأوردها كثيرٌ من مؤرِّخينا القدماء ، منهم ابن العماد الذي يقول في أحداث سنة ٦٢٦ هجرية ، أي بعد سنوات قليلة من انتزاع صلاح الدين للقدس من أيدي الصليبيين :

وفيها سَلَّم الكاملُ القدسَ الشريف لملك الفرنج ، بعد أن كاتبه الأنبرور ملكهم في العام الماضي يقول : أنا عتيقك ، وتعلم أني أكبر مغول الفرنج ، وأنت كاتبتني بالمجيء ، وقد علم البابا والملوك باهتمامي ، فإن رجعتُ خائبًا انكسرتْ حُرمتي ، وهذه القدس هي أصل الديانة النَّصْرانية ، وأنتم قد خربتموها ، وليس لها دخلٌ طائل ؛ فإن رأيتَ أن تنعم عليَّ بقبضة البلد ، ليرتفع رأسي بين الملوك ، وأنا ألتزم بحمل دخلها لك . فلانَ له ، وسلَّمه إياها في هذا العام . فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . ثم أتبع فعله هذا بحصار دمشق ، وأذيَّة

الرعية ، وجرت بين عسكره وعسكر الناصر وقعاتٌ ، وقُتل جماعةٌ في غير سبيل الله ، وأُحرقت الخاناتُ ، ودام الحصارُ أشهرًا[1] ..

أما وقائع القرون الأخيرة بالقدس وما حولها ، فهي غير خافيةٍ على أحد .. فمن الاجتياح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، ومن بعده الإنجليزي ، إلى قيام دولة إسرائيل (يعقوب ﷺ !) إلى المذابح اليومية التي تجري الآن بفلسطين وبمدينة السلام .. وكأن روح يوشع بن نون قد عادت لترفرف بين الديار ، فتلهب قلوب أحفاده المعاصرين ، وتدمي ضحاياهم المعصورين .

وعلى الرغم مما مرَّت به القدس طيلة تاريخها من أهوال ، فإنها ظلت دومًا في الذاكرة العربية / الإسلامية ، ذات مكانة خاصة سوّغت تسميتها « بيت المقدس » ، فهي في الوعي الإسلامي العام : أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ! ومن هنا حظيت المدينة بعددٍ وافر من المؤلفات العربية التي تندرج تحت تسمية « فضائل بيت المقدس » ولدينا في تراثنا كتاب في هذا الباب . وفي أثناء عملنا في هذا البحث ، وقعت بأيدينا مخطوطة نادرة في فضائل بيت المقدس ، عنوانها « تحصيل الأنس لزائر القدس » وهي من الأعمال غير المعروفة للنحوي الشهير ابن هشام الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١ هجرية ، صاحب « قطر الندى » و « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » و « الإعراب عن قواعد الإعراب » وغير ذلك من المؤلّفات النحوية الشهيرة . والمخطوطة طريفةٌ ، قديمة نسبيًا ، يعود تاريخ كتابتها إلى سنة ٩٠١ هجرية . ولطرافة هذه المخطوطة وأهميتها ، ونظرًا لأنه لا توجد نسخة أخرى منها (معروفة) في أي مكان بالعالم . فقد رأينا أن نلحق هذا البحث بنسخةٍ طبق الأصل (فاكسيملي) من المخطوطة ، ليتمكّن الباحثون من الاطلاع على أصلها النادر ، علمًا بأنها من مخطوطات بلدية

(١) ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب ١١٨/٥ .

الإسكندرية المحفوظة حاليًا بمكتبة الإسكندرية ، وهي ضمن مجموعة تحمل الرقم ١٣٥١/د تاريخ .

نعود إلى ما نحن بصدده من الكلام عن المجموعات المقدسية المخطوطة ، فنقول : إن الاضطراب الذي أحاط دومًا بالقدس طيلة تاريخها ، كان من شأنه أن يُعسر امتداد المجامع العلمية هناك ، وأن تمتنع معه عمليةُ التراكم الطبيعي للمخطوطات ، مثلما كان يجري بشكل تلقائي في بقية المدن والعواصم .. إلا أن القدس ، على الرغم من ذلك ، بقيتْ بها مجموعاتٌ خطية كبيرة نسبيًّا بأيدي العرب ، ومجموعات أخرى بيد اليهود . ولسوف ننظر في ما يلي نحو المجموعات (العربية) من خلال الفهارس التي صدرت لها ، ونرجئ الإشارة إلى المجموعات الأخرى ، إلى خاتمة هذا البحث .

الفهارس المقدسية :

بين أيدينا أربعة فهارس للمجموعات الخطية الموجودة حاليًا بمدينة القدس ، أو بالأحرى : بقيت بالمدينة ، بيد العرب ، بعدما نجحت في الصمود أمام عوادي الزمن المضطرب وعوامل التَّلَف والنهب اليهودي ، والفهارسُ الأربعة ، بيانها كما يأتي :

١ - فهرس مخطوطات كلية الدعوة وأصول الدين في القدس ، إعداد : د. أحمد العلمي (منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، عمان ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م) .

٢ - فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى ، إعداد : خضر إبراهيم سلامة . ثلاثة أجزاء ، صدر الجزء الأول في القدس سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠م ، والجزء الثاني في عمان سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، والجزء الثالث عن مؤسسة الفرقان (لندن ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م) وهو الذي بأيدينا الآن .

٣ - فهرس مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي ، إعداد : بشير عبد الغني بركات. جزءان (مؤسسة دار الطفل العربي ، بتمويل من القنصلية البريطانية في القدس ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م) .

٤ - فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية ، إعداد : نظمي الجعبة ، تحرير : خضر إبراهيم سلامة (مؤسسة الفرقان ، لندن ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) .

وللفهارس الأربعة ظروف إصدارٍ مختلفة ، وفيها مقدمات متفاوتة القيمة والإبانة عن أهمية كل مجموعة . ونعني بظروف الإصدار : اختلاف الجهات التي نشرت هذه الفهارس ، ما بين مجمع اللغة العربية الأردني ودار الطفل العربي ! وما بين مؤسسة الفرقان الخيرية غير الربحية ، والقنصلية البريطانية بالقدس (... التي يعمل فيها حاليًا أحفادُ الذين وعدوا اليهود بإقامة وطن في فلسطين ، وأبناءُ الذين مهَّدوا لهم أرضها للسكنى !) ، وهي ظروفُ إصدارٍ مختلفة ، ما بين المبادرات الفردية ذات الطابع الشخصي ، والعناية المؤسساتية بالتراث العربي المخطوط .

ومن مقدمات الفهارس الأربعة ، التي جاءت متفاوتة القيمة ، نعرف أن مجموعة « كلية الدعوة وأصول الدين » التي تشتمل على مجاميع يندر أن نجد فيها مخطوطة نفيسة ، أصلها من مجموعتين : مكتبة صندوقة الواقعة في باب السلسلة ، وعددها عشرون مخطوطًا ، ومكتبة السيد فهمي الأنصاري في العيزرية ، وعددها تسعون مخطوطًا .

أما مجموعة النشاشيبي فتضم ٢٩٤ مجلدًا تحتوي على ٧٨٠ عنوانًا ، وكثيرٌ منها كان في حوزة أبناء عائلة الحسيني المقدسية . وأقدم مخطوطة هناك ، يعود تاريخ كتابتها إلى القرن السادس الهجري ، وهي مخطوطة « المحيط » ، للسَّرَخْسي موجودٌ منها الجزءُ الثالث فقط ، وهي إضافة إلى ذلك نسخةٌ ناقصة من أولها ، كُتبت سنة ٥٤١ هـ .

وفي مقدمة فهرسته لمجموعة المسجد الأقصى ، يشير خضر إبراهيم سلامة إلى أن مكتبات القدس لم تتأسس بشكل منظم إلا في بدايات القرن العشرين ، وأن مكتبة المسجد الأقصى تضم مجموعتين أساسيتين : بقايا مخطوطات الشيخ محمد الخليلي مفتي الشافعية ، وعددها يقرب من ستمائة مخطوطة . وبقايا مخطوطات دار كتب المسجد الأقصى ، وعددها بحسب ما ينتهي إليه مسلسل الجزء الثالث ٦٥٨ عنوانًا[١] .. وهو يشير إلى أن فهرسته ذات الأجزاء الثلاثة ، إنما تقع على المجموعة الثانية فقط ، ويأمل أن يُنهي فهرسة المجموعة الأولى ، الأكبر عددًا ، في العام القادم (يقصد سنة ١٩٩٧) ، لتقوم مؤسسة الفرقان بطباعتها .. ولا نعرف إن كان قد أتمَّ العمل أم لا ، وطبعته مؤسسة الفرقان أم لم تطبعه !

أما فهرس الخالدية فقد بدأ بمقدمةٍ إضافية أورد فيها المفهرس معلومات مفيدة عن تاريخ المكتبة الخالدية وتطوُّر المجموعة الخطية ، وعرَّج فيه على موضوعات قريبة الصلة مثل المكتبات الفلسطينية الخاصة عمومًا ، وما تمتاز به الخالدية خصوصًا .

وقبل الدخول في (التفاصيل الفنية) والملاحظات العامة التي سنوردها عن الفهارس المقدسية الأربعة ، نُشير إلى أن المجموعات المخطوطة الموجودة بالقدس ، بشكلٍ عامٍّ ، تجمع بينها أمورٌ ، منها أنها جميعًا تخلو من مخطوطة ألفية واحدة ، والغالب عليها هو المخطوطات المستنسخات التي كُتبت في القرون الأخيرة على يد نُساخٍ غير محترفين . والسبب في ذلك أن الأحوال غير المستقرة بالقدس قديمًا وحديثًا ، لم تسمح باستقرار هذه المخطوطات النادرة بها . بالإضافة إلى أن القدس لم تعرف خلال تاريخها الطويل ، المجامع العلمية أو الخزانات الكبرى

(١) مخطوطات الجزء الثالث عددها ٢٢٠ عنوانًا ، تقع في خمسة وسبعين مجلدًا .

التي تتراكم فيها بشكلٍ تلقائي أمهاتُ الكتب والنُّسخ الخطية النفيسة . كما أن خلوّ القدس من (القصور) كان سببًا في انعدام المخطوطات الخزائنية بها .

ويجمع بين مخطوطات القدس أنها في الغالب الأعم مخطوطات لكتب دينية ولغوية ، وليس فيها هذا التنوع الذي نجده في مخطوطات العواصم والمدن القديمة كالقاهرة والإسكندرية ودمشق وإستنبول والرباط ، وغيرها ، خاصةً في ما يتعلق بنصوص التراث العلمي العربي من رياضيات وطب وفلك ... وهذا ، بالطبع ، يعود إلى أن مدينة القدس لم تحظ في الماضي بإقامة علماء عرب ومسلمين ، ممن كانوا يشتغلون بهذه العلوم الرياضية والطبيعية .. ولذلك ، فإن نسبة المخطوطات العلمية إلى بقية مخطوطات القدس في العلوم الدينية واللغوية ، لا تزيد على واحدٍ بالمائة من المجموع العام . وهي نسبةٌ قليلة جدًّا بالقياس إلى المجموعات الخطية غير المقدسية .

ويلاحظ أيضًا على المخطوطات المقدسية أن فيها طائفة كبيرة من مخطوطات الأدعية والابتهالات التي تعكس بشكلٍ مباشر ، حاجة المقدسيين قديمًا وحديثًا إلى العناية الربانية بهم ، أملاً في الخروج من الأزمات التي طالما عانوا منها .

على أن ذلك كله ، لا يعني بالضرورة أن مخطوطات القدس أقل قيمة من المخطوطات الموجودة بالمدن العربية الأخرى ، وإنما هي سِماتٌ عامة للمجموعات الخطية التي (بقيت) هناك إلى يومنا هذا . وقد كشفت فهارسها عن وجود بعض النسخ الخطية الفريدة والعتيقة ، على نحوٍ ما . بل دلّت هذه الفهارس على وجود طائفة من المخطوطات التي يعزُّ أن نجد منها نسخةً أخرى في أية خزانة أخرى في العالم . ولسوف نشير إلى أمثلة لهذه الطائفة ، في أثناء كلامنا على الفهارس الأربعة .

ملاحظات فنية :

لا ننوي في ما يأتي - ولا يجوز - أن نتتبع سقطات المفهرسين الذين اجتهدوا - كُلٌّ بحسب طاقته - في تقديم هذه (المرايا) التي انعكست على صفحتها محتوياتُ المجموعات الخطية الأربع (الكبيرة) بمدينة القدس . وهو عملٌ جليلٌ تزداد قيمته وأهميته للباحثين والمهتمين بالتراث العربي ، مع الأوضاع الكارثية شبه الدائمة التي تعاني منها المدينة ، مما يصعب معه الوصول إلى الأصول المخطوطة المحفوظة هناك ، بل يستحيل ذلك في أغلب الأوقات . من هنا ، فإن أي (نقد) للفهارس المقدسية ، لابد له لكي يكون منصفًا ، أن يقدِّر ما قدَّمه المفهرسون لهذه المجموعات من خدمةٍ جليلةٍ للمشتغلين بالتراث العربي ، وأن يراعيَ الظروف الصعبة التي أحاطت بهم في أثناء عملهم في هذه الفهارس .

من هذه الزاوية ، سوف ننظر في الفهارس الأربعة ، بحسب تسلسل تواريخ صدورها ، وما غايتنا إلا إيراد بعض الملاحظات التي من شأنها أن تُثريَ هذه الفهارسَ وتنبِّه إلى بعض (الهنات) التي وقع فيها المفهرسون ، دون التقليل من أهمية أعمالهم .

(أ) فهرس كلية الدعوة :

هو أول الفهارس الأربعة صدورًا (باستثناء الجزء الأول من فهرس المسجد الأقصى ، الذي اكتمل صدوره بعد ستة عشر عامًا) ، وهو واحدٌ من الأعمال التي نُشرت بمبادرة مبكرة من مجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٨٦ ، ومن ثم فنحن بصدد إحدى حلقات الاهتمام الأردني المبكر - نسبيًّا - بمخطوطات القدس ، وهو اهتمامٌ مشكورٌ للمجمع الأردني . بيد أن هناك إشارة غريبة وردت على أولى صفحات الفهرس ، نصها : تمت فهرسة هذا الكتاب بمعرفة جمعية المكتبات الأردنية وبموافقتها ! ووجه الغرابة والالتباس في العبارة هو أنها

لا توضح ما إذا كان المقصود منها ، هو أن الكتاب المطبوع تم إعطاء رقم إيداع له عن طريق الجمعية المذكورة ، أم أن الفهرسة ذاتها تمت بمعرفة هذه الجمعية ! وكلمة (بموافقتها) تزيد من الالتباس ، فهل المقصود هو أن تصنيف الكتاب بليوجرافيًّا كان بعد هذه الموافقة ، أم أن العمل ذاته كان يحتاج هذه الموافقة ؟ والأمر على الحالين غريبٌ ، ويدعو للتأمُّل .

كما يُلاحظ على هذا الفهرس أن د. أحمد العلمي الذي قام بإعداده ، لم يقم في مقدمته بالتعريف بالمجموعة الخطية المفهرسة ، مع أنه مدير المكتبة ذاتها ، ومن المفترض فيه أن يعرف عنها الكثير، ثم إن المقدمة التي تقع في صفحتين فقط ، لم تُشر إلى أهمية هذه المجموعة الخطية ، ولا إلى شيء من نوادرها. ولم يدلّنا الفهرس على وسائل حفظ المجموعة ولا طريقة تعامل الباحثين معها : هل هي متاحة لهم ؟ ولو كانت ، فهل المتاح هو الأصل أم المصوَّرات ؟ وكيف يمكن الاستفادة من المخطوطات التي يذكرها الفهرس ... إلخ .

يقول المفهرس في مقدمته الموجزة جدًّا : إنه اتبع في فهرسته المنهج الذي اتبعه المتقدِّمون في فهرسة المخطوطات ، مع بعض الإضافات[1] ! وأظنه يقصد منهج (المتأخرين) لا المتقدِّمين .. فالمتقدِّمون لم يوردوا في أعمالهم فهارس وصفية كهذه التي يقدِّمها المتأخرون من المفهرسين في أعمالهم ، ومنها هذا الفهرس الذي يورد : (العنوان ، المؤلف ، الموضوع ، أول المخطوطة ، آخرها ، عدد الأوراق ، قياس الصفحة ، مساحة الهامش ، عدد السطور ، تاريخ النسخ ، نوع الخط ، لون الحبر ، مصدر المخطوطة ، ولادة المؤلف ووفاته ، المصادر) .. وقد سار المفهرس على هذا النحو ، فقدم معلومات مفيدة عن كل مخطوطة ، لكنه لم يكن دقيقًا (أحيانًا) فيما يورده من المعلومات ؛ فهو في المخطوطة رقم (١)

---

(١) فهرس مخطوطات كلية الدعوة ... ص ٦ .

من فهرسته ، يترك العنوان مجهَّلاً : « رسالة في علم التوحيد ، للفضالي » . ويجعل موضوعه (إلهيات) ، مع أن التصنيف الدقيق للرسالة هو : علم الكلام . وفي المخطوطة رقم (٢) لا يضبط العنوان والتصنيف ، فيقدم المخطوطة على النحو الآتي : حاشية البيجوري على المولد الصغير أو تحفة البشير على مولد ابن حجر ، المؤلف : إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري ، الموضوع : المولد النبوي ، وهو شرح لمولد ابن حجر العسقلاني . وكان الواجب أن تكون فهرستها كما يأتي : (تحفة البشير على المولد الصغير، للعسقلاني. المؤلف : إبراهيم البيجوري . الموضوع : سيرة نبوية) . ومن ثم يكون العنوان قد انضبط بحسب السجعة التي أرادها المؤلف ، الذي هو البيجوري من دون داع لهذا الالتباس الناشئ من إيراد اسمه الباجوري الذي هو النطق العامي للاسم ، لمجرد أنه وجد الناسخ المتأخر يكتبه على هذا النحو ! أما ضبط التصنيف ، فلأنه لا يوجد ضمن (الموضوعات) ما يمكن تسميته : المولد النبوي .

وفي المخطوطة رقم (٣) ترد الفهرسة في نحو : المولد الصغير المختصر من المولد الكبير المسمى بـ « النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم : المؤلف : شهاب الدين أحمد بن حجر ، الموضوع : ولادة ونسب الرسول » . وكان الأدق أن تكون (المولد الصغير ، لابن حجر العسقلاني . الموضوع : سيرة نبوية) ، وأن توضع الإشارة إلى أنه مختصر (النعمة الكبرى) في هامش الفهرس أو في خانة الملاحظات .

ولا نريد هنا أن نتتبع الفهرس بطاقةً بطاقة ، فلنكتف بما ذكرناه ، مع إشارةٍ إلى أن ما أراده المفهرس من إيراد النسخ الخطية الأخرى من المخطوطة ، المحفوظة في مكتبات العالم ، هو أمرٌ لا داعي له ويشوبه بالضرورة القصور ؛ لأنه يعسر ذلك على المفهرس. وقد عَسُرَ عليه ذلك بالفعل ، فأورد مثلاً أن المولد الصغير

موجودٌ منه نسخةٌ في القاهرة (الخديوية ، رقم ١٩٥) ونسخةٌ في مكتبة دمشق العمومية (رقم ٦٨/٢٧٥) . وفي واقع الأمر ، هناك مئات من النسخ الخطية لهذه الرسالة المختصرة ، وقد رأيتُ منها العشرات موزَّعة على ما لا حصر له من مجموعات خطية في الشرق والغرب . فتدبَّر !

(ب) فهرسُ المسجدِ الأقصى :

لا شك أن خضر إبراهيم سلامة الذي أعدَّ هذا الفهرس ، كان أكثر احترافًا وإتقانًا من المفهرس الذي سبقه (مع أن اسمه غير مسبوقٍ بدال « دكتور » !) ، وقد جاءت مقدمته أكثر تعريفًا بالمجموعة المفهرسة ، مع أنه لم يشر ولو بفقرة واحدة ، إلى أية معلومات عن المسجد الأقصى ذاته الذي يحتفظ بين جدران مكتبته بالمجموعة الخطية ، لكنه ، على كل حال ، أفادنا بما أورده في مقدمته عن المجموعة المفهرسة ، وكان دقيقًا في (تصنيف) المخطوطات ، بحسب ما هو معمول به بين المتخصِّصين . وقد أبان المفهرس في مقدمته ، عن (نظام الفهرسة) الذي اتبعه ، وهو إجمالاً نظامٌ منهجي دقيق .

بيد أن هناك بعض الملاحظات التي بدت لنا عند النظر في فهرسته ، فمن ذلك أنه حين يفهرس مخطوطة « حرز الأماني » لا يذكر في عنوانها أنها « الشاطبية » ويكتفي بإشارة إلى ذلك في (موضوع المخطوطة) حيث يذكر ، هناك أيضًا ، الأوصاف المادية للنسخة الخطية ، مع أن ذلك مقطوع الصلة بموضوع المخطوطة . ثم نراه يشير في الهامش إلى أن الشاطبية يوجد منها نسخة خطية في المكتبة المحمودية وعدة نسخ في تشستربيتي[1] ! مع أن الشاطبية يوجد منها في مصر وحدها ، في ما أُقدِّر ، ما يزيد على مائة نسخة خطية ، ناهيك عن الموجود منها في بقية بلدان العالم .. ومن ثَمَّ ، فلم يكن هناك داعٍ لإفراد هذا الهامش لهذه

(١) فهرس المسجد الأقصى ٣/٨ .

المخطوطة بعينها ، تلافيًا للنقص (المحتوم) الذي يشوب أية محاولة لحصر النسخ الخطية من هذا الكتاب أو تلك الرسالة .

ومن اللافت للنظر في فهرسة المسجد الأقصى أن المفهرس لا يسير على منوال واحد : فهو أحيانًا يورد النسخ المتكررة من الكتاب ذاته ، تحت عنوان (نسخة أخرى) ، وأحيانًا أخرى يكرِّر العنوان ، ويكرِّر بدايات النسخ ونهاياتها (مع أنها متطابقة) ، مما يزيد من حجم فهرسته من غير ضرورة لذلك . وكذلك نراه يقدِّر تاريخ النَّسْخ غير المذكور في المخطوطة ، بالقرون ، في بعض الأحيان فقط ! وفي أحيان أخرى يهمل تقدير زمن الكتابة ، مع أن المفهرس هو الأقرب إلى المخطوطة ، وهو الأقدر على تقدير زمن نسخها ، ولو بالقرون .

ومن الملاحظات التي لا يمكن إغفالها عند النظر في هذا الفهرس ، ما نراه في مخطوطة « العشاريات » التي بدأت فهرستها في صفحة ٤٦ من الجزء الثالث ، وانتهت بعد تسع صفحات كاملة ! ذلك لأن المفهرس نقل في فهرسته الإجازات التي تحملها النسخة الخطية ، وهو عملٌ في مجال الفهرسة ، لعمري ، عجيبٌ .

ومن الهنات التي كان يجب على المفهرس أن يتجنَّبها ، ذلك التفاوت الكبير في الضبط الببليوجرافي للعناوين وأسماء المؤلفين . مثال ذلك ، في ما يخص العناوين ، ما نراه في فهرسته للقصيدة الشهيرة للأوشي « بدء الأمالي » التي يوردها تحت عنوان « قصيدة يقول العبد »[1] ! مع أن صدر البيت كاملاً يقول : يقول العبد في بدء الأمالي .. ومثاله في أسماء المؤلِّفين ، ما نراه في صفحتين متتاليتين تذكر الأولى منهما أن صاحب « تجريد العقائد » هو محمد الطوسي ، وتذكر الأخرى أنه نصر الدين محمد الطوسي[2] ، وكلتاهما غير مُصيبةٍ ؛ فتجريد العقائد مختصرٌ مشهورٌ لمؤلِّف أشهر ، هو : نصير الدين الطوسي .

---

(١) فهرس المسجد الأقصى ٨٦/٣ .

(٢) المرجع السابق ٦٩/٣ ، ٧٠ .

(جـ) فهرس إسعاف النشاشيبي :

لم يخرج المفهرس ، بشير عبد الغني بركات ، عن طريقة سابقَيْه ؛ فهو مثلهما لا يُعْنَى في مقدمته بذكر طبيعة المجموعة المفهرسة ، مكتفيًا بإشارات موجزة إلى أرقام حفظها ومقاساتها ، وأصول كل طائفةٍ منها ، وعدد ما هو مفرد منها في مجلد ، وما هو ضمن مجموعة ، ثم يورد توزيع المخطوطات بحسب تاريخ كتابتها ، كل ذلك في أقل من ثلاث صفحات !

ولم يخرج المفهرس ، أيضًا ، عن طريقة سابقَيْه في بطاقة الفهرسة ، فهو مثلهما يورد البيانات الأساسية ، ويزيد عليها ذِكْر (حالة الغلاف) ، بادئًا البطاقة بموضوع المخطوطة . والملاحظات العامة التي يمكن إيرادها على فهرسة بشير بركات منها الآتي :

لم يضبط المفهرس كثيرًا من العناوين ، فهو يكتفي في فهرسته لمخطوطة بأن عنوانها : حاشية على الكشاف[1] ! دون أن يذكر أن كتاب « الكشاف » للزمخشري .. أو يكون العنوان غير موجود أصلاً ، كما هو الحال في المخطوطة رقم ١٧ / ٢٤٤م ، للبديري ، التي سقط عنوانها - أظنه بطريق السهو - مع أن المفهرس أورد التقريظات التي كتبها بخطه ، بحسب ما يقول المفهرس ، كلٌّ من : محمد سعد الدين بن عبد الغني النابلسي ، وابن الغزي ، ومصطفى الدياربكري ، وحسن العطار ، وأحمد الغزي .. وغيرهم كثير !

ومن طرائف الأخطاء التي وقع فيها المفهرس ، أنه كان ينقل أحيانًا ما يجده على غلاف المخطوطة ، فيجعله عنوانًا لها ، مثال ذلك ما فعله مع الرسالة المنطقية الأكثر شهرة في تاريخ الإسلام (إيساغوجي ، لأثير الدين الأبهري)

(١) فهرس إسعاف النشاشيبي ١ / ٢٦ .

الذي ورد عنوانها في الفهرس كما يأتي : متن إيساغوجي في علم المنطق[1] ! .. وهو ينقل اسم المؤلِّف الوارد في المخطوطة، دون أن ينتبه لأغلاط النُّساخ . ومن طرائف ذلك ما نراه في مخطوطة « الذيل على المنظومة الباعونية » ، فقد جعل المفهرس مؤلفها : الجاعوني ، نور الدين بن محمد[2] ! مع أنه الباعوني نفسه ، وقد ذكر في المخطوطة التي كتبها بيده أن اسمه محمد وليس كما ذكر المفهرس : نور الدين بن محمد .. فتأمَّل .

ومن اللافت للنظر ، ما نراه في الجزء الثاني من الفهرس ، حيث ترد البطاقة على النحو الآتي : (العنوان : شرح دعاء عكاشة ، المؤلف : مجهول . أوله : روي عن أبي بكر الصديق ﷺ ، أن رسول الله ﷺ كان جالسًا في مسجد المدينة ، إذ نزل عليه جبريل) فلم نعرف مَنْ هو (عكاشة) هذا ، وبالقطع لن نعرف المؤلف (المجهول) ، ولن نتبين الصلة بين عنوان المخطوطة وما ورد في بدايتها .

(د) فهرس الخالدية :

لا نبالغ كثيرًا إذا وصفنا هذا الفهرس الذي يقع في أكثر من تسعمائة صفحة (من القطع الكبير ، مكتوبٌ عليها النصُّ بالبنط الصغير) - بأنه أهم فهرس صدر عن مخطوطات فلسطين والقدس ، وأحد أدق الفهارس العربية التي رأيناها حتى الآن .. ففي هذا العمل الكبير الذي أنجزه نظمي الجعبة يندر أن نجد الأخطاء الفنية والمطبعية الواردة في ما سبقه من الفهارس المقدسية . وفي المقابل ، نجد المقدمة الوافية التي تكاد تكون كتابًا مستقلًا ، تستوفي الكلام عن القدس وآل خالد بن الوليد (الذين تنسب إليهم المجموعة الخطية) مع نبذة من أخبارهم ، وقائمة بالمجموعات الخطية الفلسطينية التي سَلِمت مما حَلَّ بالبلاد من نوائب

(١) فهرس إسعاف النشاشيبي ٢/٧١٦ .
(٢) المرجع السابق ٢/٥٠٢ .

وأهوال عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ وعددها أربع عشرة مجموعة[١] .. عدا الخالدية ذاتها .

وكما أشار المفهرس في مقدمته ، فإن مجموعة الخالدية ذات الألفي عنوان ، تم انتقاؤها بدقة وحرصٍ واعٍ ، فجاءت متنوعة الموضوعات ثرية بالنوادر . وقد ذكر المفهرس أن المجموعة بها ٢٨٨ مخطوطة نادرة ، منها ١١٢ بخط المؤلف (وهو عددٌ ، لعمري ، كبيرٌ) . وأشار في المقدمة إلى أنه أورد كشَّافًا بنوادر المخطوطات ، لكن هذا الكشاف لم يرد في آخر الفهرس .. فلعله حُذف عند الطباعة ، تقليلاً للتكلفة !

وقد سار الفهرس على نسق ما فعله خضر إبراهيم سلامة (الذي تولى تحرير الفهرس) في فهرسته لمخطوطات المسجد الأقصى ، فهو يورد أولاً رقم حفظ المخطوطة وموضوعها ، ثم يورد عنوانها ومؤلِّفها وبقية البيانات الدالة عليها . وقد استوفى المفهرسُ ذلك كله بدقةٍ وأناةٍ يستحقّان الثناء ، غير أن هناك بعض الملاحظات قد عنَّت لنا في أثناء مطالعة الفهرس ، منها :

لم يضبط المفهرس (في أحيان قليلة) بعض العناوين ، ملتزمًا بما يورده النُّسَّاخ على أغلفة المخطوطات . من ذلك مثلاً ما نراه في المخطوطة رقم ١١٧٦/ آداب شرعية ، التي يوردها المفهرس تحت عنوان : « تفليس اللعين إبليس »[٢] ! مع أن كلمة (اللعين) هنا ليست من أصل عنوان الكتاب ، ولم ترد في مخطوطاته وطبعاته الكثيرة التي تحمل جميعًا عنوان : « تفليس إبليس » ، لابن غانم المقدسي (ويعرف الكتاب أيضًا بعنوان : الحديث النَّفيس في تفليس إبليس) .

ولم يضبط المفهرس (تصنيف) بعض المخطوطات ، فجعل ضمن مخطوطات المنطق ما ليس منها ! من ذلك : مخطوطة « شرح القصيدة العينية » لابن سينا

(١) فهرس الخالدية ، ص ٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٣٩ .

(وموضوعها : الفلسفة) ، ومخطوطة « المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين » منسوبة للآمدي (وموضوعها ظاهرٌ من عنوانها) ، ومخطوطة « إشارة في علم الكلام » لابن كمال باشا (وموضوعها أيضًا ظاهرٌ من عنوانها) .

كما أورد المفهرس مخطوطات العلوم الخفية ضمن مجموعة الفلك ، وأورد مخطوطات الصيدلة مع مجموعة الطب ، ومخطوطات : « سرور الجياد بالصافنات الجياد » ، « حياة الحيوان » الكبرى ، « عين الحياة » ، « رسالة فراسة الخيل » ، « كتاب في الحيوان والنبات » - تحت تصنيف : حيوان ، (وصوابها : الطبيعيات !) . ووضع « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العمري ، في المتفرقات ، ووصف المخطوطة بأنها رحلة ابن فضل الله العمري الشهيرة التي ضمت معلومات هائلة[1] .. ومعروف أن هذا الكتاب ، بأجزائه الكثيرة ، هو دائرة معارف عامة في التاريخ والأدب والطب والصيدلة والطبيعيات.

ومع أن مكتبة الخالدية احتوت على مخطوطات كثيرة في العلوم الخفية منها بحسب ما ورد في الفهرس : من أرسطو في علم الفراسة (هكذا ورد العنوان) رسائل في الزايرجة، ورمل دانيال.. إلا أن هذه المخطوطات وردت مع مخطوطات علم الأخلاق تحت تصنيف : متفرِّقات ، بينما وردت « رسالة في أحوال السحر » ضمن مخطوطات الفقه .

وكما أشرنا من قبل ، فالفهرس تقلُّ فيه الأخطاء المطبعية والفنية ، وصدرت طبعته بعدما روجعت جيدًا . ومع ذلك ، بقيت بعض الهنات التي منها (ص ٢٣٠) عقيدة الأججوري ، وصوابها : الأُجهوري . ومنها (ص ٢٦٨) ميزان المدعين ، وصوابها : المدعيين . ومنها (ص ٣٦٨) جامع الفصولين (!) لابن قاضي سيماونه ، وصوابها : سماونة ... إلخ . لكنها على كل حال ، هناتٌ

---

(١) فهرس الخالدية ، ص ٨٥١ .

لا يخلو منها أي كتاب ، ناهيك عن سفرٍ كهذا الفهرس ، كان المفترض فيه أنه يقع في ألفي صفحة ، لو كان قد طُبع بالبنط المعتاد .

خاتمة :

قبل الدخول في ما نود الإشارة إليه في هذه (الخاتمة) من نقاطٍ ثلاثٍ رئيسة ، نودُّ تأكيد ما ذكرناه سابقًا من أن الملاحظات التي أوردناها على الفهارس الأربعة ، لا تقلل من أهميتها شيئًا ، خاصةً مع ما أعلمه من الجهد الجهيد الذي يتكبَّده مَنْ يقوم بفهرسة المخطوطات ، فالفهرسة في بلادنا من أكثر الأعمال مشقةً وأقلها مجدًا ، ناهيك عن الظروف التي قام خلالها المفهرسون الأربعة المقدسيون بإتمام عملهم ، وهي ظروفٌ صعبةٌ ، عانوا هم بالقطع من صعوبتها . لكنهم على كل حالٍ أنجزوا شيئًا أفاد منه غيرهم، وما (التقويم) الذي قمتُ به ، إلا عملٌ لشخصٍ جلس في منزله ، آمنًا ، ينظر في فهارس عملها آخرون يعانون فقدان منازلهم .. ولولا أنني عانيتُ طويلاً من عمل الفهارس ، لما كنتُ قد فكرتُ في (نقد) فهارس عُملت .

أما النقاط الثلاث الرئيسة التي نريد أن نختتم بها كلامنا هنا ، فهي تتلخَّص في الآتي :

أولاً : أن بدء تكوين المجموعات الخطية الكبيرة في القدس ، وفلسطين بعامة ، وتأخُّر صدور فهارسها - من بداية القرن العشرين إلى نهاياته - هو شاهدٌ على عدم وعينا بأهمية تراث الإنسان في المكان . ومن العجيب أننا نحن العرب والمسلمين ، قضينا السنوات الخمسين الأخيرة ، نثور أو نحتقن كلما اقترب اليهود من ساحة المسجد الأقصى . مع أن في هذا المسجد ، وفي غيره ، تراثًا مهملاً بأيدينا كان اليهود وغير اليهود يسلبونه دون أن نثور ونحتقن ! ومع أن كثيرين من

الباحثين تحدَّثوا عن عمليات النهب المنظم للمجموعات الخطية المقدسية والفلسطينية بعامة .

ثانيًا : ما دامت الفهارس الأربعة قد صدرت بالفعل ، بعد صبرٍ غير محمود ، فلا داعي لإبقائها متفرقة كمجموعاتها الموزعة على الأماكن الأربعة . بل يجب أن توضع جميعًا في فهرسٍ موحَّدٍ يجمع بين المخطوطات المقدسية والفلسطينية ، كلها ، في إطارٍ واحد يفضَّل أن يكون إلكترونيًا . أعني أن توضع الفهارس ، مرتبة ألفبائيًا على أسطوانة مليزرة أو في موقع على الإنترنت ، ليكون هذا العمل (الذي لا يتكلف كثيرًا من المال والجهد) مرآةً جامعة لكل هذه المخطوطات المهدَّدة بالاندثار ، مثل كل ما هو فلسطيني . والذي نأمله هو ألا تتأخر هذه الخطوة مثلما تأخَّر صدور الفهارس ، إذ لا يعقل أن نمضي قرنًا آخر ليصدر الفهرس الموحد بعدما مضى قرنٌ كامل بين تكوين مجموعات المخطوطات وصدور فهارسها . هذا ، بالطبع ، إذا كنا جادين في الحفاظ على الذاكرة العربية للمكان وللإنسان .

ثالثًا : من المضحكات المبكيات في شأن المخطوطات المقدسية ، أنه مع المجموعات الخطية الأربع التي صدرت فهارسها ، والتي بقيت بيد العرب ، هناك مجموعات أخرى من المخطوطات العربية بيد اليهود ، منها مجموعة بالجامعة العبرية في القدس ، لا نكاد نعرف عن محتوياتها إلا أقل القليل . ومنها مجموعة أخرى محفوظة في ما يسمى JNUL أو : المكتبة القومية اليهودية والجامعية بالقدس National and University Library, Jervaslem Jewish وهي مؤلَّفة من مجموعات منها « مجموعة شالوم يهودا » التي قاموا هناك بفهرستها وعمل نسخ منها على الميكروفيش لبيعها للمهتمين من الأفراد والمؤسسات ! وفي الإعلان الذي وضعوه على شبكة الإنترنت وينشرونه في الكتالوجات المخصصة لبيع المخطوطات نقرأ الآتي مختصرًا :

المستشرق المعروف إبراهام شالوم يهودا (١٨٧٧ - ١٩٥١) جمع طائفة من المخطوطات حصل على أغلبها من مصر (!) وعددها خمس وخمسون وألف مخطوطة ، تسعون بالمائة منها باللغة العربية . وهي تحتوي على عدد كبير من المجاميع بحيث يصل مجموع عناوينها إلى ثلاثة آلاف عنوان ، منها قرابة الألف يعود تاريخ نسخها إلى المدة الممتدة من القرن الثالث إلى القرن العاشر الهجري .

ويزيد الإعلان من حماس قارئه ، حين يذكر أن هناك أربعمائة عنوان في هذه المجموعة ، لم يذكرها بروكلمان أو أي فهرس من فهارس المخطوطات ! ثم نُفاجأ بأنهم يعرضون النسخة المصورة على الميكروفيش بمبلغ اثنين وثلاثين ألف يورو ، وسوف يمنحون المشتريَ حتى نهاية شهر ديسمبر ٢٠٠٦ خصمًا تشجيعيًّا ، فينخفض السعر إلى تسعة عشر ألف يورو فقط .

وبالطبع يمكن للمتخصِّص أن يرى الكثير من المخايلة في هذا الإعلان ، ولا مجال هنا للكلام عن هذه المخايلات ، ولا عن هذا (الأوكازيون) المفتوح أمام العالمين ، وإنما نختم كلامنا بلفت الأنظار إلى أنهم حوَّلوا تراثنا إلى سلعة يستفاد منها ماليًّا ، ولو باعوا من النسخ المصوَّرة مائة نسخة فقط (وهو عددٌ أقل من المتوقع) فسوف يحصلون على الملايين من الجنيهات التي كان أهلونا هناك أحقَّ منهم بها ، ناهيك عن المهانة التي تلحق بنا نحن عرب (الأمجاد) حين نرى أبناء عمومتنا يعرضون تراثنا للبيع ، لكل من شاء أن يشتري ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ **د. أيمن فؤاد سيد :**

أريد أن أتوقّف عند حديث د. يوسف عن الملك الكامل وقضيَّة القدس والمعاهدة التي أقامها مع فردريك ، فقد ذكر أن هذه الواقعة في حوادث سنة ٦٢٦هـ ، أوردها ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) في « شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب » ، وابن العماد متأخر ، فأولى أن نرجع إلى ابن الأثير ، أو ابن واصل الحموي ، أو الذهبي ، ولاسيما أن « الشذرات » منقول من « العبر » للذهبي .

وانتقدتَ د. خضر لأنه فَهْرَس الإجازات في إحدى الرسائل ، وأرى أن أحد أهم أعمال المفهرسين وأمناء المكتبات بصفة خاصة ، هو فهرسة السماعات والإجازات ، لكن على أن توضع في ملحق بآخر الفهرس ؛ لأنه الشخص الوحيد المتاح له أن يطّلع على هذه الإجازات ، وهي مصدر مهم جدًّا للتعرف على الشهادات العلمية ، والكتب التي كانت موضع دراسة وتداول ، ومن خلالها يمكننا صنع تراجم لبعض العلماء الذين قد لا يَرِد ذِكْرٌ لهم في كتب التَّراجم ، فيكون هناك دعوة وتوجيه لأُمناء المكتبات والمفهرسين عند الفهرسة لإثبات النصوص الكاملة لإجازات السماعات والقراءات ، والمطالعات ، على أن تُلْحَق بآخر الفهرس ، بدلاً من أن تثقله وتشغل قسمًا كبيرًا منه .

مجموعة يهودا التي أشرت إليها في كتالوج بريل ، منها قسم أهدي في وقت مبكّر إلى مكتبة برنستون في أمريكا ، ومكتبة برنستون مقسّمة إلى قسمين :

مجموعة جارايت ، ومجموعة يهـودا ، وهو القسم البـاقي . وقسم مجموعة جارايت نُشر سنة ١٩٣٦ ، وقسم مجموعة يهودا نُشر في الثمانينيات من القرن العشرين .

وقضيَّة خروج المخطوطات وتسرُّبها قضيَّة طويلة بالطبع ، وكما نعلم أن هذه المخطوطات خرجت في أزمان لم تكن فيها قوانين ولا ضوابط تحظر هذا الخروج ، ومن ثمَّ فعملية استرداد هذه المخطوطات مرّة أخرى ، مستحيلة ؛ لأن القوانين الحالية التي تنظـم مثل هـذه الأمـور (اسـترداد المقتنيات الثقـافية والمخطوطات والتُّحف) تَشْتَرط أن تكون هذه الممتلكات والمقتنيات مسجلة بأوصافها في المتاحف وخزائن المخطوطات وغيرها ، قبل عام ١٩٧٢ . فمتى فُقِد هذا الشرط فلا استرداد لها قانونًا .

■ **د. يوسف زيدان :**

الدكتور أيمن لديه حقٌّ ؛ لأن ابن العماد متأخّر ، وإنما ذكرت القصة لديه - أي لدى ابن العماد - لأنه لخّص الأمر ، وأتفق مع د. أيمن في أن الإجازات مهمة ، لكن المفهرس أحيانًا يذكرها ، وأحيانًا لا يذكرها ، فالأَوْلَى أن يعمل ملحقًا أو أن يصدر كتابًا بعنوان « السماعات والإجازات في المكتبات المقدسيَّة » مثلاً .

* * *

الجِلْسة التاسعة :

الجهود المؤسّسية في خدمة تراث القدس

جهود المؤسسات السعودية في خدمة تراث القدس

د. محمد بن عبد الرحمن الرُّبَيِّع (*)

د. محمد هيثم الخياط (رئيس الجلسة) :

هذه الجلسة خاصة برصد الجهود المؤسسية في خدمة تراث القدس ، لنعرِّفها أولاً ، ولنطوِّرها وندعمها ونوسِّع دائرتها ثانيًا ، ويتحدث فيها أستاذان فاضلان : د. محمد الرُّبَيِّع يرصد لنا جهود المؤسسات العلمية والثقافية في المملكة العربية السعودية في هذا الباب ، والأستاذ عادل الصَّلاحي يفتح لنا أفقًا آخر ، أفق مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي التي يقوم عليها الشيخ أحمد زكي يماني . نبدأ أولاً بالدكتور الرُّبَيِّع فليتفضل مشكورًا .

* * *

لمدينة القدس والمسجد الأقصى ثالث الحرمين الشَّريفين ومَسْرى رسول الله ﷺ مكانةٌ خاصة في قلوب المسلمين جميعًا .

والعناية بـ « تراث القدس » جزءٌ من الاهتمام بقضية فلسطين بعامة والقدس الشريف بصفة خاصة .

ويتمثل الاهتمام ببيت المقدس في مظاهر ونشاطات متنوعة ، منها السياسي والاجتماعي والفكري ، وعلى المستوى المحلي والعربي والدولي .

ولا يقتصر « تراث القدس » - كما نعلم - على التراث المخطوط ، بل يشمل الوثائق والخرائط والسِّجلاَّت والصور والمتاحف ، وسائر الشواهد والمقتنيات في مختلف العصور .

(*) نائب رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقًا) ، عضو الهيئة المشتركة للتراث بمعهد المخطوطات العربية .

وتبدو عناية المؤسسات العلمية السعودية بتراث المدينة في جوانب علمية متنوعة ، منها على سبيل الإجمال :

١ - جمع مخطوطات القدس وتصويرها .

٢ - جمع الكتب والمراجع عن القدس .

٣ - جمع الوثائق والسِّجلاّت المتعلّقة بالقدس .

٤ - جمع الخرائط الخاصة بالقدس .

٥ - جمع اللوحات والرسوم عن القدس .

٦ - إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية عن القضية الفلسطينية بعامة وقضية القدس الشريف بخاصة .

٧ - إقامة المعارض عن المدينة المقدسة .

٨ - إعداد الرسائل العلمية عن فلسطين والقدس .

٩ - إعداد البحوث والدراسات عن فلسطين والقدس .

١٠ - إقامة مراكز ووحدات علمية للعناية بتراث القدس .

ويشارك في تلك الأعمال الجليلة عددٌ من الجامعات والمراكز البحثية والمكتبات السعودية .

وسنقصر الحديث في هذه الورقة على نماذج من تلك المؤسسات وما قامت به من نشاطات علمية متنوعة ، في سبيل المحافظة على تراث القدس الذي هو أمانة في أعناق العرب والمسلمين جميعًا .

وهذه المؤسسات هي :

١ - دارةُ الملك عبد العزيز .

٢ - مكتبة الملك عبد العزيز العامة .

٣ - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

٤ - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

ولم يسعفني الوقت للحديث التفصيلي عن جهود تلك المؤسسات في خدمة التراث المقدسي ، ولا في الحديث عن مؤسسات علمية أخرى ، ولكن في ما سأذكره هنا نماذج من تلك الجهود المباركة .

١ ـ دارة الملك عبد العزيز :

أُنشئت دارة الملك عبد العزيز بالرياض بموجب المرسوم الملكي الكريم رقم (م/٤٥) في ١٣٩٢/٨/٥هـ ، لخدمة تاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية خاصة والجزيرة العربية وبلاد العرب والإسلام عامة ، ولجمع المصادر التاريخية المتعددة من وثائق وغيرها مما له علاقة بالمملكة .

وقد نالت قضية فلسطين بعامة والقدس الشريف بخاصة عنايةً كبيرة من (الدارة) من خلال جمع الوثائق وإصدار البحوث والدراسات وعقد الندوات . فقد عقدت الدارة ندوة بعنوان « المملكة العربية السعودية وفلسطين » عام ١٤٢٢هـ ، قدم فيها عدد كبير من البحوث تم جمعها في سجلّ وثائقي للندوة .

مركز القدس للدراسات والبحوث :

توّجت الدارة اهتمامها بقضية فلسطين والقدس بالتخطيط لإنشاء مركز متخصص ضمن وحداتها لهذا الغرض ، صدرت الموافقة السَّامية لخادم الحرمين الشريفين رقم (٧ب/٩٤٦٢) بتاريخ (١٤٢٢/٥/١٧هـ) على إنشاء « مركز القدس للدراسات والبحوث » بناءً على التوصيات الصادرة عن ندوة « المملكة العربية السعودية وفلسطين » .

وبعد ذلك تمّ تكوين لجنة تأسيسية للمركز برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض رئيس مجلس إدارة الدارة ، وعضوية نخبة من المعنيين والمتخصِّصين .

ويهدف المركز إلى الأمور الآتية :

١ - حصر المراكز العلمية المعنية بالقدس ورصدها ومعرفة أنشطتها ، كي يقوم المركز الجديد بصياغة برامجه وأنشطته بشكل غير مكرر .

٢ - دعوة عدد من المتخصصين العرب والمسلمين لعقد اجتماع في الدارة لمسح آرائهم تجاه ما ينبغي تغطيته من مجالات البحث والدراسة المتعلقة بعمل المركز .

٣ - إجراء دراسة بحثية لحصر مراكز البحث المتخصصة في الدول العربية والأجنبية وتحديد نقاط القوة والضعف فيها .

٤ - إيجاد « وقفية مالية للمركز » عن طريق التبرعات .

٥ - إجراء دراسة حصْرية « ببليوجرافية » للكتب والمؤلّفات المتخصصة في موضوع القدس .

وينتظر أن ينهض المركز لخدمة تاريخ مدينة القدس بوجه خاص والقضية الفلسطينية بوجه عام ، عن طريق التأليف والتوثيق والأنشطة البحثية المتخصصة وعقد الندوات العلمية وتشجيع الباحثين على القيام بذلك .

وقد وافق مجلس إدارة الدارة على عقد ندوة علمية موسَّعة عن « القدس في المصادر التاريخية » ، مستهلاً بذلك عمل المركز ، وتقوم الدارة الآن بالتحضير والإعداد لتلك الندوة المهمة .

٢ ـ مكتبة الملك عبد العزيز العامة :

تضم مقتنيات مكتبة الملك عبد العزيز العامة العديد من أوعية المعلومات المتعلقة بالقدس ، حيث يوجد بها نحو (٣٩٤) مادة ، منها مائتان وثلاثة وأربعون كتابًا ، وتسع رسائل جامعية ، وبعض الكتب النادرة ، بالإضافة إلى مائتي وثيقة ، ونحو أربعين صورة نادرة .

وتتحدث الوثائق عن موضوعات عن مرحلة الانتداب البريطاني وفلسطين منذ عام (١٩٢٠م) ، وهذه الوثائق - كما وصفتها المكتبة - هي رسائل ودراسات وأبحاث موجَّهة من وزير الخارجية البريطاني إلى المندوب السامي بفلسطين ، وتتناول مجمل الأحداث التي حدثت في فلسطين من أعمال عنف وثورة ، والنزاع على حائط البراق ، وعنف اليهود ، والشكوى من تسليح اليهود ، وطلب الحفاظ على المقدَّسات الإسلامية في القدس من انتهاكات اليهود ، ومذكرة عن العلاقات العربية باليهود منذ عام ١٩١٧م ، ومذكرة بصيغة بحث عن فلسطين بين عامي ١٩٢٦م و ١٩٢٩م ، إضافة إلى كل المشاكل والنزاعات .

وتقتني المكتبة مجموعة من الصور النادرة عن مدينة القدس تصل إلى أربعين صورة ، تعود إلى الفترة من عام (١٨٧٥م) إلى (١٨٩٠م) ، وتم تنظيم معرض خاص بها تحت عنوان « معرض الصور الضوئية لمدينة القدس » ، وأقيم لعامين متتاليين من خلال مشاركة المكتبة في المهرجان الوطني للتراث والثقافة « الجنادرية » .

٣ ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية :

وجّه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض عناية خاصة لتراث القدس ، انطلاقًا من رسالته الإسلامية وما تمثله لتراث الملك فيصل رحمه الله . ومن ذلك : الاهتمام بجمع ما كُتب عن القدس من كتب ودراسات

ومقالات ، بالإضافة إلى المخطوطات الأصلية والمصورة ، المقدسية ، وذات الصلة بالمدينة ، ويتضح ذلك من خلال فهارس مقتنيات المركز .

وقد أقام المركز معرضًا خاصًا بالقدس الشريف وفلسطين ، افتتح في الأول من صفر من عام ١٤٢٥هـ ، استمر لمدة شهرين ، استغرق الإعداد لهذا المعرض نحو عامين وهدف إلى توضيح عمق الانتماء العربي الإسلامي لفلسطين والقدس، من خلال عرض كتب ووثائق وصور ولوحات وخرائط وطوابع ومسكوكات ، تؤكد الحقائق التاريخية لعروبة فلسطين ، وتظهر نشاط الوجود العربي في تلك المنطقة من قبل قيام الدولة العبرية التي أدَّى قيامها إلى وقوع كارثة أخرى تمثّلت في تهجير ملايين الفلسطينيين ، ومسخ تاريخهم وتزويره .

واحتوى المعرض أيضًا على مجموعة من كتب الرحّالين الذين جاءوا إلى القدس وفلسطين ، فوصفوا الحياة فيها كما كانت عليه في القرن التاسع عشر، وقاموا برسم لوحات عن الأسواق والمنازل والقرى وحركة الحياة بصفة عامة .

أما الوثائق ، فيعود بعضها إلى القرن التاسع عشر وأُخريات القرن العشرين ، وهي المدة التي شهدت الصراع الذي سبق إعلان قيام الدولة العبرية في فلسطين .

واشتمل المعرض أيضًا على مجموعة من الصور لمقالات نُشرت في صحف عربية إبان الصراع ، وهي تُظهر شعور المثقفين العرب بالخطر القادم ، وما كتبوه في التحذير منه .

٤ـ الجامعات السعودية وتراث القدس :

تُعنَى الجامعات السعودية بتراث القدس من زوايا مختلفة ، منها :

١ - جمع الكتب والدراسات والمقالات والرسائل العلمية عن القدس ضمن مقتنيات المكتبات الجامعية .

٢ - جمع المخطوطات والوثائق والخرائط والصُّور المتعلقة بالقدس الشريف .

٣ - إعداد رسائل جامعية لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه في موضوعات لها علاقة بقضية فلسطين بعامة والقدس الشريف بصفة خاصة .

٤ - كتابة الدراسات والبحوث حول قضية القدس من قِبَل أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية .

وعلى سبيل المثال في ما يتصل بالمخطوطات ، فإن قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض يضم مجموعة جيدة من المخطوطات المصورة من المكتبات المقدسية ، فقد رصد الفهرس الورقي لمقتنيات المكتبة من المخطوطات ما يناهز ستمائة مخطوط وسجل . من رقم ٨٩٣٩ إلى رقم ٩٥٥٥ .

وختامًا : فما ذكرناه هنا هو نماذج اقتصرنا عليها لضيق الوقت .

* * *

جهود « الفرقان » في خدمة تراث القدس

عادل الصَّلاحي (*)

اسمحوا لي أن أقول : إن القدس بكل ما لها ، وبالمكانة التي لها في قلوب المسلمين جميعًا ، تبقى جزءًا من قضيَّة فلسطين التي هي القضيَّة الأولى والأساس بالنسبة للمسلمين منذ أكثر من قرن حتى يومنا هذا ، وستظل في المستقبل المنظور كذلك . لكن إذا تأمّلنا ما نقوله اليوم عن قضيَّة فلسطين وما كنا نقوله عنها منذ عشر سنوات أو عشرين سنة أو ثلاثين أو أربعين سنة ، فسوف نجد تحوُّلاً كبيرًا طرأ على هذه الأمة في الحديث عن قضيَّة فلسطين ، فمثلاً كان مجرد التفكير في الحوار مع إسرائيل خيانة للقضيَّة ، وأصبح اليوم مَنْ يرفض شرعيَّة كيان إسرائيل يُعد أُميًّا في السياسة ، وكأنه يعيش في عالم الوهم والخيال .

هذا التحوُّل يترك راسبًا في الوعي العربي والوعي الإسلامي ، وهذا الراسب هو مَكْمَنُ الخطر ؛ أن نتقبَّل أن الوضع الحالي وضعٌ سوف يكتب له الدَّوام . هذا أمرٌ خطيرٌ جدًّا ؛ لأنه تنازُلٌ عن أمر لا يمكن أن نتنازل عنه ، وليس لجيل من أجيال هذه الأمَّة أن يتنازل عن حقّ من حقوقها ، هذا الحقُّ حقٌّ تاريخي ، حقٌّ للأجيال المقبلة كما هو حقٌّ للأجيال السابقة .

لو اجتمعت الدنيا كلها على أن تقول إن وجودَ إسرائيل في فلسطين وجودٌ شرعيٌّ ، لما جاز لمسلمٍ أو عربيٍّ أن يقول إن هذا الوجود شرعيٌّ .

وهذا يقتضي منَّا أمرًا مهمًّا جدًّا ، هو أن الحكومات لها سياساتها وبرامجها ، وتتعرّض لضغوط ، وتريد أن تقوم بما يمكن أن تقوم به وتتحدَّث عن الجانب

(*) مدير عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن .

العملي والجانب الواقعي ، وغير ذلك . لكننا نحن أفرادًا وأمَّة لنا عملُنا الشعبي الذي نستطيع أن نقوم به بمعزلٍ عما يقوم به الحكام .

هذا العمل الشعبي أنتج نتائج سمعنا عنها كما أوضح د. محمد هاشم غوشة فمنذ أنِ احتُلَّت فلسطين أو أجزاء منها والعمل الشعبي هو الذي يتجاوب مع الأولويّات والأهميّات الأساسية ، وهو الذي يبقى ، ويتجاوب معه المسلمون من أقصى الأرض .

هنالك جهودٌ وآفاق كثيرة لهذا العمل ، منها وجود معجم جغرافي تاريخي لفلسطين ، والاهتمام بالوثائق والسجلات الشرعيَّة ، وهي أمورٌ كبيرة الأهميَّة ، إلى أمور أخرى قد تقوم بها مؤسسة الفرقان أو غيرها من المؤسسات ، لكنَّ الأمر المهمَّ في كل هذا هو أن تتكامل المشروعات ، وتتناسق لتكوين روافد لأمر نحتاجه جميعًا ، نؤكد فيه حقّنا ، ونعتذر إلى الله سبحانه وتعالى عمّا نُقصّر به .

إن الله - سبحانه وتعالى - سوف يسألنا : ماذا فعلتم وقد كان بإمكانكم أن تفعلوا ولم تفعلوا ؟ فلا بُدَّ لكي نستطيع أن نقف أمام الله ونُجيب ونعتذر إليه ليقبل منَّا قُصورنا أن نقول له : سعينا والتقينا مع إخواننا واجتمعنا ووضعنا خطّة تعاهدنا في كل جزء منها ، وبذلنا فيها جهودًا لعلّها كانت أقلّ مما ينبغي ، لكنْ بذلنا الجهد .

هذا التكامل في الخطط والمشروعات لا بدَّ أن يكون أساسًا في كل ما نقوم به .

إن التوصيات التي يكتبها د. فَيْصل الحفْيان تحتاج إلى تأمُّل وتخطيط ، ووضع كيفيَّة للتنفيذ ، وسوف ينتهي المؤتمر ونقول : مؤتمر عظيم ، سمعنا فيه دراسات وأبحاثًا قيمة ، وتحدّث فيه متحدّثون كبار ، لكنْ لا يبقى المؤتمر مجرد سِفْرٍ من الأبحاث ، إنما ينتهي إلى خطّة ، هذا هو الأفق المستقبلي .

مؤسسة الفرقان - مثلاً - في إطارها الذي تقوم به ، ذكرت لكم أنها تنوي - إن شاء الله - تنظيم مؤتمر عن تراث فلسطين . وهذا المؤتمر ظلَّ لدى الفرقان أُمْنِيَّةً على مدى سنواتٍ ، لكنَّ قرارًا اتُّخِذ قبل شهرين في الاجتماع الأخير لمجلس الخبراء ، وبحكم موقعي فسوف أضطلع بتنفيذ هذا القرار بإذن الله تعالى .

وهذا المؤتمر يجب أن يكون رافدًا لكل هذه الخطط المتكاملة .

أما أن نتصوّر أن مؤسسة الفرقان لديها شيء أبعد مما تقوم به حاليًا ، فذلك للمستقبل إن شاء الله .

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ **د. فيصل الحفيان :**

نلتقط مما قال الأستاذ عادل الصَّلاحي مسألة التركيز على التكامل في العمل، وضرورة أن تتكاتف الجهود من أجل خدمة التراث ، وليسمح لي بالتعليق على ما أثاره بشأن الندوة الخاصة عن تراث القدس ، أنا أرى أن المؤتمر أو الندوة التي ستنظمها مؤسسة الفرقان ينبغي أن تتحدّد في عنوان فرعي ، نحن عقدنا مؤتمرًا خاصًّا بالتراث المخطوط ، إذن تركز المؤسسة من خلال المؤتمر الذي سوف تعقده على جانب معيَّن أو بُعْد موضوعي أو جغرافي مثلاً ، الفائدة عندها تكون أكبر ، ومن هنا يأتي التكامل الذي أشار إليه ، حتى لا ندور في حَلْقة مُفْرَغة .

■ **د. محمد السَّيد الجلَيْنَد :**

أعتذر عن عدم توفيقي في الحضور من أوّل اليوم ، وكلامي ليس تعليقًا ، وإنما هو أشبه باقتراح أو توصية ، ومثل هذا المؤتمر جدير بأن يضع ذلك في الحسبان ، وليس خافيًا على حضَراتكم أن قضيَّة القدس وفلسطين ليست قضيَّة إقليم معيَّن ، وليست هي قضيَّة العرب ، وإنما هي قضيَّة إسلاميَّة ، فينبغي ألّا نساعد على اختزال القضيَّة ؛ لأنها قضيَّة أمَّة ، والأستاذ عادل الصَّلاحي أشار إلى نقطة مهمَّة ، هي أن الوقت الذي نعيشه الآن تتعرَّض فيه الأمة لهجمة شرسة لم تتعرَّض لها من قبلُ ، خاصة إقليم فلسطين ، وعلى وجه الخصوص موضوع القدس وتهويد القدس .

■ **د. علي السّيد علي :**

أرجو أن تؤخذ توجيهات بطباعة فهارس القدس والمدن المقدسيَّة الأخرى ووثائقها وسجلاّتها ، وتوزّع على دور الكتب في العالم الإسلامي ، حتى تظل ذاكرة الأمَّة الإسلاميَّة على وعْي بتاريخ هذه المنطقة ، فإن عجز جيلُنا الحاضر عن فعْل شيء ، فلنترك الباب مفتوحًا أمام الأجيال القادمة .

ومن واقع خبرتي أستاذًا في الجامعة منذ ثلاثين سنة أقول : إننا نبحث عن مخطوطات متعلّقة بتاريخ القدس ، وهناك أزمة في اختيار موضوعات رسائل الماجستير والدكتوراه في أقسام التاريخ والحضارة الإسلامية والفلسفة الإسلاميَّة . ونحن في مَسيس الحاجة إلى أمثال هذه الفهارس ، لنختار منها موضوعات ومخطوطات للدرس والتحقيق ، وهذه المخطوطات بحاجة إلى أن تحقّق وتطبع في شكل يتناسب وقيمتها .

والمناسبة أتوجّه بمناشدة إلى د. البخيت ، لما له من جهود في نشر التراث الفلسطيني بوجه عام ، والمقدسي بوجه خاص ، وأُناشد كذلك د. فيصل الحفيان بوصفه ممثلاً للمعهد ، أن يعملا لتوفير نسخة مصوَّرة من الوثائق الخاصة بالحرم القدسي ، ومن سجلات المحاكم الشرعية في مصر ، لما لذلك من أهمية في البحوث والدراسات التي يقوم بها الباحثون هنا . ولا يجوز أن نغفل عن أهمية هذه البحوث والدراسات في إثبات الحق العربي الإسلامي عامة ، والفلسطيني خاصة ، في المدينة وأقصاها . وأستعيد هنا من الذاكرة استرداد طابا ، الذي قام أساسًا على الوثائق كما تعرفون .

نحن في مصر معنيُّون بالتاريخ الإسلامي ودرسه ، وأشارك أنا و د. أيمن فؤاد سيد في « سيمنار » كان يُعقد بجامعة القاهرة ، ثم انتقل إلى الجمعيَّة المصرية

للدراسات التاريخيَّة ، ويُعرف بـ « سيمنار الوثائق العثمانية » . ولدينا شباب واعد من الباحثين مشغول بهذه الموضوعات ، ونودُّ أن نوجهه أكثر إلى مخطوطات القدس ووثائقها .

■ **د. محمد عدنان البخيت** :

أنا على اطّلاع مستمّر على مُجْريات « سيمنار » التاريخ العثماني الذي أشار إليه د. علي ، من أيام المرحوم عزت عبد الكريم . والآن يقوم عليه نُخْبة كريمة ، منهم د. رؤوف عباس ، وأعرف ما أصدره عبد الرحيم عبد الرحيم ، ونيللي حنّا ، والباحثون الذين أنجزوا رسائل الماجستير والدكتوراه .

إن الكتابة على يد هؤلاء الشباب - الذين لم تُعرف أسماؤهم حتى الآن - لا شك ستكون واعدة ، فهؤلاء يستطيعون أن يكتبوا التاريخ في مصر وغيرها ؛ نظرًا لما لجامعة القاهرة وبقيَّة الجامعات المصرية من منزلة خاصة .

والمطلوب الآن من الإخوة في فلسطين أن يحيِّدوا القضيَّة العلميَّة ، وينأوا بالمؤسسات العلمية في القدس وغيرها عن القرار السياسي ، حتى تحصل على تأييد الجميع ومساندتهم ، وتعمل بحرية أكبر لتحقيق أغراضها في هدوء . وهذه مناسبة للقول إن هذه المؤسسات ليست مشكلتها في المال ، فتركيا والاتحاد الأوروبي قدَّما دعمًا ماليًّا ، لكن القضيَّة هي : مَنْ يدير الدعم ؟

* * *

الجِلسة العاشرة :

شهادات

شهادة الدكتور محمد عدنان البخيت

د. محمد عدنان البخيت(*)

د. عزت جرادات (رئيس الجلسة) (**) :

هذا المؤتمر عزيزٌ على نفسي ، وهذه الجلسة تحديدًا قريبة مني ، فالقدس قضية كبيرة ، مشغلة أمة ، لا بد أن تتكاتف الجهود جميعًا من أجلها ، وقد كان إسهامنا نحن بما أسميناه « المؤتمر الإسلامي لبيت المقدس » وهو مؤسسة تصرف جهدها كله لخدمة المدينة المقدسة ، ومن أهم ما يقوم به وضع دليل شامل للمدينة ، يوثّق بالصور كل شيء فيها ، ولأننا لا نريد أن نخاطب أنفسنا فحسب ، فإن هذا الدليل سيصدر قريبًا جدًّا بالعربية والإنجليزية ، ويوزَّع توزيعًا واسعًا لتحقيق الأغراض التي كان من أجلها .

أعلم أن هذا المؤتمر معني أكثر بالتراث المقدسي المخطوط ، ولكنني أرى أن التراث القدسي كله يجب أن يحظى باهتمامنا ، وأنا أركز هنا على خطط المدينة وخرائطها ، لما لذلك من أهمية في الحفاظ عليها وفي توثيق كل ما فيها ليكون سلاحًا لنا في الصراع الكبير الدائر عليها مع أعدائنا .

هذه لمحة سريعة انتهزت رئاستي للجلسة لأذكر أمام اسم « المؤتمر الإسلامي لبيت المقدس » الذي أشرف برئاسته ، وأشير إلى واحد من مشروعاته ، وأعود الآن إلى مهمتي الأساسية فأقول إن هذه الجلسة تتضمن شهادتين : إحداهما للدكتور البخيت الذي نعرف جميعًا جهده في خدمة تراث القدس ، كل تراث القدس ، وبخاصة المخطوطات والسجلات ، وثانيتهما للأستاذ عصام الشنطي الذي نعرف أيضًا اتصاله بمخطوطات فلسطين عامة ، والقدس خاصة ، وذلك من خلال عمله الطويل في معهد المخطوطات العربية .

يتفضل أولاً د. البخيت :

* * *

بدايةً يجب أن أذكر بشكل واضح أن ما تمّ إنجازه لم يتمّ على يدي فقط ، وإنما كانت هناك مؤسسة كريمة تقف وراء هذا العمل ، هي الجامعة الأردنية . وجميع الرؤساء الذين تعاقبوا على إدارتها ورئاستها كانوا يحرصون على مشروع دعم تصوير مخطوطات فلسطين ووثائقها وتوثيقها بلا حدود . هذا أمر .

(*) رئيس لجنة تاريخ بلاد الشام .

(**) الأمين العام للمؤتمر الإسلامي لبيت المقدس .

والأمر الثاني أنه كان هناك فريقُ عملٍ مقيمٌ بعَمّان ، وآخر في مدن فلسطين وخاصة جامعتي النجاح والقدس ، وكان هذا الفريق يقوم بالعمل بناء على خطة مرسومة في عَمّان ، ونأخذ الإجازات والتصريحات والموافقات ، ونوفر التمويل ، وهذا يقتضي منّي من باب الإنصاف ونسبة الفضل إلى أهله أن أترحّم معكم على روح الزميل المرحوم د. محمود عبد الله ، الذي أخذ على عاتقه تصوير معظم المواد التي حصلنا عليها ، سواء من القدس أو من بقيَّة المدن الفلسطينيَّة . وعندما أقول « المدن الفلسطينيَّة » أقصد كل مدن فلسطين وليس مدن الضفة الغربية فقط .

والأمر الثالث أن هذا الأمر قد تمّ في معظمه بفضل تبرُّعات حصلنا عليها من أفراد ومؤسسات ، بالإضافة إلى الدعم غير المنقطع الذي تقدّمه الجامعة الأردنيَّة ، ولولاه لما أمكننا القيام بعملية التصوير .

لا توجد لدينا نُسخةٌ ورقيَّة لأيّ مخطوط أو سجلّ أو قَيْد ، إنّما جميع مجموعتنا تقوم على الأفلام التي هي الآن أيضًا بحاجة إلى إعادة حفظ على أقراص ممغنطة . من هنا طرأتِ الحاجة إلى تشييد مبنى ضخم لمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنيَّة تبرّع به أحد رجال الأعمال بعَمّان - فبارك الله فيه - لإنقاذ هذا التراث النادر الفريد .

من خلال التجربة وجدت أنَّ كل بلدة وليس كل مدينة في فلسطين ، كانت حاضنة للثقافة العربيَّة الإسلاميَّة ، ويدلُّ على ذلك أننا عندما انتقلنا من المدن الرئيسة إلى القرى والبلدات وجدنا مجموعات كبيرة من المخطوطات لدى الأسر والأفراد ، وكان من بين هذه المجموعات نوادر كثيرة ، وهذا أيضًا كان إضافة نوعيَّة ، وتوثيقًا للسجلّ التاريخي الثقافي التعليمي لبلدان فلسطين .

سمعنا صباح أمس وبعد ظهر أمس واليوم التقارير عن المخطوطات في فلسطين ، أولاً أريد أن أبدأ وأقول : إن مجموع المخطوطات في فلسطين دونَ ما نتوقّع ونتصوّر .

ثانيًا : قلَّ أن نجد مخطوطات نادرة ضمن هذه المخطوطات ، باستثناء ما كان من تأليف أبناء فلسطين مثل خير الدِّين الرَّمْلي والشيخ محمد الخليلي وغيرهما من كبار الفقهاء والعلماء .

والأمر الآخر ، أعتقد أنه آنَ الأوانُ لتشكيل لجنة منبثقة عن هذا اللّقاء الكريم ، للنَّظَر في كلّ ما صوِّر ، والإشراف على إعداد بيانات كاملة ليس عن القدس فقط - فالقدس تبقى هي الدرّة الأولى في فلسطين - لكن عن كل موجودات المساجد والمدارس ، وهنا فات الزُّملاء أن يذكروا الكنائس والأدْيرة العربيَّة ، وأيضًا المؤسسات التي ارتبطت بالقدس منذ الاحتلال الصَّليبي لها ، مثل نادي الفرنسيسكان والدومينيكان ، وبقيَّة المؤسسات الدينيَّة في فلسطين ، فهي أيضًا تحوي النوادر ، وهي غير متاحة بيُسْرٍ للباحثين .

والآن كما هو واقع فلسطين تحت الاحتلال ، كذلك واقع التراث في ما يتعلّق بالقدس ، ولكن هناك تفتُّت وتناثر في المسئوليات ، وكلٌّ يريد أن يسبق ليقول « أنا صوَّرت » ، التصوير أمر جيّد ، لكن المخطوط الواحد صُوِّر لأكثر من مرّة ، ومن ثم لا بُدَّ الآن من مراجعة لكل هذه المخطوطات بغضّ النظر عن قيمتها العلميَّة ؛ لأن وجودها يدل على قيمة تثقيفيَّة تعليميَّة لها في فلسطين ، ولا بدَّ أن تُفهرَس من جديد أو أن تحرَّر فهارسها . ولننته من هذا العمل لأقول بعدها قولتي وأستغفر الله وأتوب إليه .

إن الأهمَّ من كل مخطوطات فلسطين أمرٌ آخر لم يُلتفتْ إليه ؛ أهم ما في فلسطين وفي القدس بالذات : السِّجلات الشرعيَّة . ذكر أمس د. غوشة أن سجلَّ القدس هو أقدم سجل في بلاد الشام ، هذا صحيحٌ ، لكنْ سجل حَماة هو أقدم السجلات في بلاد الشام ، وليس هناك تنافُسٌ في القِدم ؛ لأن أوراق الحرم القدسي التي عثر عليها القائمون على الأمر ، ثم صُوِّرت اختلاسًا في جامعة ميجيل ، ثم أعيد توزيع الأوراق - تمثل سَبْقًا في القيمة الحضاريَّة ، وأحبُّ أن

أتناول نُقْطةً هنا وأؤكّدها ، وهي أن أوراق الحرم القدسي لم تُدْرَسْ بشكل علمي وموضوعي متكامل ، على الرغم من أنها كانت مَرْجعيَّةً لعدد من رسائل الدكتوراه . وأرجو أن تُعامَل معاملة المخطوطات ، وأن نوجِّه الباحثين والدارسين في الجامعات العربيَّة لمثل هذا الأمر .

وبعد سجلات المحاكم الشرعيَّة في القدس - وهي شبه مستمرّة ، لا أعلم أن فيها انقطاعًا - تأتي سجلات الأوقاف ، وسجلات الأوقاف مرادفة ومرافقة ، وفي كثير من الأحيان يصعب الفصل بين السجل الوقفي والسجل الشرعي ، بل نجد أن الكثير من الوقفيات التي فقدناها مدوّنةٌ حرفيًّا أو تلخيصًا في السجل الشرعي ، لذلك فالذي أدعو إليه الآن هو الانتقال من الحديث عن المخطوطات إلى مواضع أهمّ بمضامينها من المخطوطات ، وهي السجلات الشرعية ، وقد قمنا بتصويرها من مختلف المدن الفلسطينيَّة ، لأنها هي القَيْد اليومي للهويَّة الفلسطينيَّة وللمدينة الفلسطينيَّة . هناك بعض المآخذ منها أن هذه السجلات تُعْنى بالحواضر ، وقلّما تُعْنى بالقرى ، ومع ذلك تجد هناك علاقة مع القرى القريبة من الحواضر مثل نابلس ، وعكّا ، ويافا ، وحيفا ، والقدس ، والخليل ، وغزّة .

والأمر المهم جدًّا ، هو السِّجلات الكَنَسيَّة ، وهي مهمّة بالنسبة للمسيحيين سواء في القدس أم في فلسطين ، أم في المهجَر ، ومهمّة لنا في ما يخص قيود الأراضي ، وأيضًا هي مهمة لنا في أن المسيحيين كنيسة وبشرًا عنصرٌ أساسي في تكوين الهُويَّة الثقافيَّة التاريخيَّة في فلسطين ، وفي القدس بالذات ؛ لأننا نشهد هجرة واسعة خارج القدس ، ومن ثم نخشى أن تتحوَّل الكنائس إلى متاحف ، وما يتبع ذلك من بَيْع أراضيها للجهات الصهيونيَّة .

وهناك حاجة ماسَّة ، على حدّ علمي ، إلى معجم جغرافي تاريخي للقدس ، فهذه الأماكن التي نتكلم عنها عائمة في الذهن ، غير محددة لدينا ، فنحن لا نعرف الموقع الجغرافي ، وكثير ممن يكتبون عن القدس - وربما أنا واحدٌ

منهم - لا يعرفون بالضبط المواقع ، وإنما يخمّنون ، وأنا مع معرفتي بالقاهرة منذ عام ١٩٦٨ كنت أظن أن بولاق بجوار المعادي حتى صحّح لي د. أيمن فؤاد سيد اليوم ، ورأيت بولاق وعرفت أنها تبعد عن المعادي .

أقول : آن الأوان لوضع معجم تاريخي جغرافي مصوّر ، ليس فقط للمدارس ، وحسنًا فعل المعهد البريطاني في ما أصدره بورجوين عن المدارس والمساجد ، وما أصدره في مجلدين أوتومان جروسري ، لكنَّ المطلوبَ الآن هو تصوير البيوت العاديّة ؛ لأن مدينة القدس تقوم على الخُط والحارة والزُّقاق والحمّام والصِّهْرِيج ... فكلُّ هذه الأمور بحاجة إلى توضيح بآلة توضيحيَّة .

هناك أمرٌ آخرُ ، هو تكرُّر الدراسات عن القدس ، وإذًا فنحن بحاجة إلى إصدار فهارس وتعريفات ونشرات لما كُتب عن القدس ، حتى لا يتكرَّر الجهد .

وضمن المخطوطات هناك مجموعةٌ نادرةٌ من المذكّرات الشَّخصيَّة أو الممتلكات الأسريَّة . وأضرب مثالاً سريعًا على ذلك : مذكرات واصف جوهريَّة (في مجلدَين) تعطينا صورة دقيقة ومغايرة لما نعرفه ونقرأه ونُقْرِئُه عن القدس ، لذلك لابد من الاهتمام بالمذكرات ، ومن هنا أتوجّه بنداء لإخواني وزملائي وتلامذتي سابقًا ومعلميّ حاليًا ، للانتقال إلى الأسر المقدسيَّة وغير المقدسيَّة لجمع المذكرات الشخصيَّة .

وأتقدَّم باقتراح خطير ، ولن يُقْبَل بيُسْر وسهولة : القدس تتعرض للتهويد والتغيير السُّكاني والديمغرافي ، وما يقرب من ثلث سكان القدس أو نصفهم يسكنون خارجها ، والمطلوب الآن أن يعودوا إليها ، لأنهم يعيشون حياة الضَّنْك ، لكن القدس جديرةٌ بأن نتحمّل من أجلها كل العذاب لأنها تبقى مدينة الله .

* * *

شهادة عصام محمد الشنطي

عصام محمد الشَّنْطي(*)

فارَق الفتى - بالقوة الباغية - وطنه ، وتوقفت محاولته المشاركة بالبندقية . وقرَّ في نفسه أن يستجيب للنداء بالقلَم . وكان توجُّهُه أولاً إلى ميدان اللُّغة والنقد الأدبي ، فنشر كتابًا عن شخصية خليل السَّكاكيني لغويًّا . ومن البابة نفسها نشر بحثًا في منهج إحْسان عباس في تحقيق النصوص .

وحين أحسّ الشابّ بالمخاطر التي تحدق بتراث وطنه ، تحوَّل إلى خدمته . ولفت نظرَه أهميةُ فضائل المدن المقدَّسة ، خاصة فضائل مدينة القُدس . وعثر على أول مؤلَّف مستقلّ ، تختصُّ مباحثه بفضائل هذه المدينة ، بعنوان « فضائل البيت المُقدَّس » لأبي بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطي المقدسي ، خطيب المسجد الأقصى من الشافعيين ، كان حيًّا سنة ٤١٠هـ .

كانت نسخة فريدة محفوظة في مكتبة جامع أحمد باشا الجزَّار في مدينة عَكّا العربية المحتلة ، وسطا عليها الأستاذ الإسرائيلي مِئير قِسْطَر ، ونقلها إلى مكتبة الجامعة العِبْرية في القدس ، ومكّن منها تلميذه إسحاق حسُّون ، الذي تقدّم بها لنيل درجة الماجستير تحقيقًا ودرسًا . فنشر الشابّ بحثًا أكاديميًّا حول هذه المخطوطة ، وأن الاستيلاء عليها كان قبل عام ١٩٦٩م بعام أو عامين ، على وجه التقريب . وكشف سرّ اهتمام الإسرائيليين بها ، لِمَا فيها من إسرائيليات وقَصَص شعبي ، لا يصدّقها ذو عقل ، وتتضمن ذكر هيكل سليمان عليه السلام والسبعين سنة التي حَكَمَ فيها داود وسليمان ومَنْ خلفهما ، ففقدت المدينةُ - حينئذٍ - عروبتها وطُهْرها وسلامها ، مِثْلُها مثلُ مرحلة الاستيلاء الصليبي على المدينة في ما بعد .

(*) خبير بمعهد المخطوطات العربية ، ومدير ثان به سابقًا .

ثم بسَّط الشابُّ هذا البحث إلى مقالةٍ نشرها في مجلة « ذاكرة فلسطين » بعنوان : « حكاية مخطوطة فريدة في عَكّا الأسيرة » ، بهدف إشاعتها وإذاعتها بين الشباب العرب المثقفين ، من غير المتخصصين .

ومن بابة فضائل بيت المقدس ، نَشَرت دار الكتب والوثائق المصرية عام ٢٠٠٥م « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » ، لابن الفِرْكاح الفَزَاري (ت ٧٢٩ هـ) ، محققًا تحقيقًا منهجيًّا ، بمناسبة احتفالية الدار في ندوة دولية للقدس الشريف ، عُقِدت في القاهرة ، وكان للشيخ شرف تصدير هذا الكتاب الذي عرض فيه تاريخ القدس منذ أن أنشأها الكنعانيون - وهم عرب ذوو حضارة - قبل أربعة آلاف سنة ، وأسمَوْها يورو ساليم . واتسمت منذ ذلك التاريخ بعروبتها ، وتأسست على الطُّهْر والسلام . وعرّج على فضائل هذه المدينة التي بلغت نحو خمسين مؤلَّفًا ، موزّعة على مختلف السنين والعصور ، فدلّت على تمكّن حب العرب - مسلمين ومسيحيين - لمدينتهم ، وأنه لم يَفْتُر برهةً ما ، وظل جميعهم يستظل بظلّها ، ويتفيّأ بقدسيتها وطهارتها .

وامتدت خدمة الكهل إلى ميدان آخر ، فنشر بحثًا بعنوان « جهود مبكّرة في التعريف بمخطوطات فلسطين » ، في ثنايا ندوة عقدها معهد المخطوطات العربية خاصة بتراث فلسطين المخطوط ، عام ٢٠٠١م .

وقد قسَّم البحثُ القرنَ العشرين الميلادي إلى ثلاثة أقسام زمنية . أولها المرحلة المبكّرة التي تحمل عنوان البحث ومجاله . والثانية الهجمة الصهيونية لاحتلال فلسطين على مرحلتين ، سنة ١٩٤٨ ، ١٩٦٧م . والثالثة صحوة الفلسطينيين ويقظتهم من أثر هذه الضربات القاصمة ، فاهتموا بخط الدفاع الأول ، وهو العناية بالتراث العربي المخطوط في بلادهم .

أما الجهود المبذولة في المرحلة المبكّرة ، الموصولة بالتعريف بالمخطوطات وفهرستها ، فهي جهود طاهر الجزائري ، وعبد الله مخلص ، ومحمد عِزَّة دَرْوَزَة ،

ومحمد كُرْد علي ، ومحمد أسعد طَلَس . ولم يهمل الباحث ذكر سعيد الكَرْمي ، والمستعرب الروسي إغناطيوس كراتشكوفسكي ، الذي زار القدس سنة ١٩١٠م .

ومن بابة الفهرسة أيضًا ، تعاون الكهل مع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي الموقَّرة في لندن ، وراجع النصف الأول من فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية بالقدس وحرّره ، ووضع منهجًا للفهرسة مغايرًا ، وطهّره مما أصابه من عَوَارٍ شديد .

ولمّا اشتد الخِناق على تراث القدس بخاصة ، وفلسطين بعامة ، نَشَر عام ٢٠٠٢م بحثًا في المواقع الحرجة للتراث العربي المخطوط في العالَم . فعدَّ منها ، من خلال تجربته الواسعة ، ستةً ، في صدارتها مخطوطات فلسطين التي تعرّضت في حربَي عام ١٩٤٨ ، ١٩٦٧م إلى أخطار السيطرة الصهيونية عليها ، وما كان من تخريبها ، أو الاستيلاء عليها بالقوة ، وقد ضَرب أمثلة لهذه الأقوال جميعًا .

ولم يجد الشيخُ بُدًّا ، بإزاء ذلك ، من أن يطرح في زمن مبكّر (عام ١٩٩٨م) مشروعًا متكاملاً يشرف عليه معهد المخطوطات العربية ، يهدف إلى إنقاذ مخطوطات فلسطين ، وضرورة العناية بمخطوطات القدس في المسجد الأقصى ، والمكتبة الخالدية وغيرهما . وتَرجم عناصرَ ذلك المشروع في هيئة اتفاقية توقعها الأطراف المعنية .

ولم ينلِ المشروع من الأقطار العربية ، حكوماتٍ ومؤسسات ، إلاّ الإهمال ، شأنه شأن المشروعات الناهضة بهذه الأمة . وأنتهز فرصة حُضور هذه المؤسسات ، وعلى رأسها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ليبيا ، لتبنّي هذا المشروع ، وإحيائه من جديد .

* * *

الجِلْسة الحادية عشرة :

الختامية

كلمة المشاركين

د. عبلة سعيد المهتدي

د. أحمد يوسف أحمد محمد (رئيس الجلسة) :

في البداية يتعيَّن عليَّ أن أتقدَّم إلى حضراتكم باعتذار واجب ، لأنني لن أتمكّن من إكمال هذه الجلسة ؛ ذلك لأن معالي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في زيارة عمل لمصر ذات برنامج حافل ، وبعض هذا البرنامج يتعلّق بنشاط المنظمة ونشاط المعهدَيْن في مصر ، ومن ثم يتعيَّن عليَّ أن أكون معه في بعض بنود هذا البرنامج ، هذا اعتذار واجبٌ .

وبرنامج هذه الجلسة الختاميَّة يتكوَّن من عدة بنود ، تبدأ أولاً بكلمة المشاركين ، وتتفضّل بها د. عبلة المهتدي من مركز الوثائق بالجامعة الأردنيَّة ، تليها قصيدة ، أو مقطع من قصيدة ، لشاعر عراقي هو الأستاذ أمجد محمد سعيد ، وأخيرًا يتلو د. فيصل الحفيان البيان الختامي والتوصيات . أتركم لوقائع هذه الجلسة آملاً أن يكون « المؤتمر » قد حقّق أغراضه ، وأن تكون توصياته منطلقًا لأعمال ميدانية تخدم القدس وتراثها ، لنشعر بأننا قمنا ببعض ما علينا من واجب تجاه هذه المدينة المقدسة .

* * *

بناءً على طلَب د. فيصل الحفيان أشرُف بالتحدُّث في هذه الكلمة بالنيابة عن الجميع ، ويسعدني بدايةً أن أتقدم باسمي وباسم كافة المشاركين في المؤتمر الدولي لتراث القدس ، بجزيل الشكر للجهات المنظّمة والداعِمة لهذا المؤتمر ، وأخصُّ بالشكر والتقدير د. أحمد يوسف مدير معهد المخطوطات ، و د. فيصل الحفيان منسّق المؤتمر ؛ لما بذلاه من جهود كبيرة . كما لا يفوتني بهذه المناسبة أن أشير إلى أننا نحن المشاركين قد أفدنا كثيرًا من المعلومات القيمة التي وردت في الأبحاث التي قُدّمت أمس واليوم ، وطوّفت بنا بين ما خُطّ من قِبَل الفقهاء والعلماء العرب والمسلمين من مخطوطات وكتب ووثائق وسجلات ، وما خُطّ من أدب الرحلات

إلى القدس ، وفضائل المدينة المقدسة ، وغير ذلك .

إضافة إلى ما ذكره بعض الإخوة عن الجهود المبذولة من قِبَل المؤسسات العربية والدولية من أجل القدس وتراثها ، فلهم منّا كل الشكر والتقدير ، ونأمل في المزيد من الدعم ، سواء أكان فرديًّا أم مؤسَّسيًّا لخدمة هذا الهدف العظيم .

* * *

مقاطع من قصيدة :

القدسُ مسَلّةٌ والوَقتُ إزميلُها

أمجد محمد سعيد

(١)

أرفَعُ حُلْمي بيْرَقا

ويقظتي

سُرادِقا

عباءةُ القدس تَلُفُّ جَسَدي

وتحتويني رائياً

وفارساً

وعاشقا

(٢)

تَنْتَبِهُ الأرضُ إلى حُروفِها الأُولى

تصحو على ضِيائِها البِكْرِ

وينهضُ الصّباحُ واجفًا

كَليلا

تستيقظُ الشمسُ

تَشُمُّ عِطْرَ هذه القصيدةِ التي تَكْتُبُني

فوقَ ضِفافِ الحُزنِ طائراً عليلاً

يَمشي على جِراحِهِ رَسولا

يَحملُ في دُموعِهِ الفُصولا

(٣)

سَبَّابَتي ..

تُوْمِئُ لِلْبَرْقِ الذي يَسْطَعُ

فوقَ نَجمةِ الطريقْ

باقةُ حُزْني مِشْعَلٌ

وَغَضْبَتي حَريقْ

(٤)

حِصانيْ نَجْمَةٌ

وَفَمي رَسولُ

أُشَرِّدُ

غَيْمَةَ القَلَقِ المُقيمِ

وأَفْضَحُ الظِّلَّ المُناوِرَ

بين قلبي

والرِّياحْ

سَأَلْحَقُ

ما تَبَقّى مِنْ صَباحْ

فُؤادي جَمْرَةٌ

وَدَمي صَهيْلُ

(٥)

سُفُني عُشّاقٌ

والبحرُ سمائي

كُلُّ الأَصقاعِ

طريقي

وعَويلُ الرِيْحِ

رِدائي

عاصِفةُ السَّيْفِ

تثورُ أَمامي

وَأَناشيدُ الصَّحراءِ

وَرائي

النَّبْعُ المأْمولُ

على مَرْمَى حُلُمٍ مِنّي

والقدسُ إِنائي

* * *

البيان الختامي والتوصيات

د. فيصل الحفيان

عقَد معْهد المخطوطات العربيَّة (المنظمة العربيَّة للتربيَّة والثقافة والعلوم) ، بالتعاون مع جمعيَّة الدَّعْوة الإسْلاميَّة العالميَّة ، مؤتمرًا دوليًا عنوانه « تراث القدس : ذاكرة المكان والإنسان » ، وذلك على مدى يومي الأربعاء والخميس الموافقَيْن ١٥و ١٦من نوفمبر ٢٠٠٦ ، بقاعة عمر الخيَّام بفندق شبرد - القاهرة .

افتتح المؤتمر المدير العام للمنظمة د. المنجي بوسنينه ، وشارك فيه مجموعة من المتخصِّصين المعنيِّين بقضيَّة تراث القُدْس بجوانبه المختلفة من داخل مصر وخارجها ، وكان العدد الأكبر من داخل القدس من المسؤولين عن المكتبات الرسْميَّة والأهلية .

من القدس : د. خضر سلامة مدير مكتبة المسجد الأقصى والمتحف الإسلامي ، و د. محمد هاشم غوشة عميد مؤسسة إحياء التراث الإسلامي بالقدس ، و د. غسَّان محيبش من المؤسسة أيضًا ، و د. محمد الحزماوي نائب عميد كلية الآداب بجامعة القدس .

ومن الأردن ، كان ضيوف الندوة : د. محمد عدنان البخيت رئيس لجنة تاريخ بلاد الشام ، و د. عزت جرادات الأمين العام للمؤتمر الإسلامي لبيت المقدس ، و د. عبلة سعيد المهتدي من مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية .

ومن السعودية : د. محمد بن عبد الرحمن الرُّبيِّع نائب رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

ومن سورية : د. شمس الدِّين الكيلاني ، وهو باحث معنيٌّ بقضيَّة القدس ، ود. محمود مصْري مدير المكتبة الوقفية بحلب .

ومن لندن : عادل الصَّلاحي مدير مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .

ومن مصر : د. أيمن فؤاد سيد ، و د. خالد عَزَب ، و د. محمد عبد الوهاب جلال ، و د. يوسف زيدان ، و أ. عصام محمد الشنطي .

رأس جِلسات المؤتمر : د. أحمد يوسف أحمد محمد ، و د. حسن الشَّافعي ، و د. عبد السَّتار الحلْوَجي ، و د. محمد عدنان البخيت ، و أ. عصام الشنطي ، و د. محمد الرُّبَيِّع ، و د. يوسف زيدان ، و أ. عادل الصَّلاحي ، و د. محمد هَيْثم الخيَّاط ، و د. عزت جرادات .

وقد عُني المؤتمر بثلاثة محاور : الأول : « في قلب الذَّاكرة (المخطوطات) » ، وكان تحته جلستان . والثاني : « القدس في مرآة التراث » ، وكان تحته ثلاث جِلسات . والثالث : « تجاذُبات الذَّاكرة والمكان والإنسان » ، وكان تحته ثلاث جِلسات .

وكانت عناوين الجِلسات : بنية التراث المقدسي ، تشكيل التراث المقدسي ، صورة القدس في المخطوطات وفي الرِّحلات والسِّجلات والوقفيَّات ، القدس : المكان والمكانة ، مستقبل تراث القدس ، الجهود المؤسسيَّة في خدمة تراث القدس ، وضمت هذه الجلسات (١٦) بحثًا .

خصصت إحدى الجلسات للشهادات ، واقتصرت الجلسة الختاميَّة على كلمة المشاركين ، وقصيدة شعرية ، وتلاوة التقرير الختامي والتوصيات .

وقد حالت ظروفٌ دون حضور د. الصادق مبروك عامر : ممثل جمعية الدعوة الإسلاميَّة العالميَّة .

ولم يتمكن من الحضور لظروف متباينة ، بعضها يتَّصل بإجراءات السَّفر : د. بشير بركات مدير دار إسْعاف النشاشيبي للثقافة والفنون والآداب في القدس ، ومن الإمارات : د. عبد الحكيم الأنيس من دار البحوث للدراسات الإسلامية

وإحياء التراث - دبي ، ومن الأردن : د. نوفان رجا السوارية مدير مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية - عَمَّان .

كما اعتذر من مصر د. محمد فتحي عبد الهادي وكيل كلية الآداب بجامعة القاهرة (سابقًا) ود. محمد سليم العوَّا .

وقد انتهى المؤتمر إلى التوصيات الآتية :

- بناء قاعدة معلومات لمخطوطات القدس خاصَّة ، وتراثها عامة ، وأماكن وجودها ، وبياناتها الأساسية .
- الدعوة لتبنِّي معجم جغرافي تاريخي لأحياء القدس وخططها ، مع التعريف التاريخي بها ، وإنزالها على خرائط .
- التركيز على سجلاّت المحاكم الشرعيَّة والأوقاف ، وسجلاّت الأراضي العثمانية ، بالإضافة إلى سجلاّت الكنائس والأدْيرة في القدس وخارجها .
- رَقْمنة مخطوطات مكتبات القدس للحفاظ عليها من ناحية ، ولإتاحتها على أوسع نطاق من ناحية أخرى .
- إنشاء موقع متعدد اللُّغات على شبكة الويب لخدمة تراث بيت المقدس ، وربط مكتبات القدس بشبكة الإنترنت .
- عمل بيليوجرافيا تَفْصيلية شاملة لمخطوطات فضائل بيت المقدس والرحلات إليها ، تمهيدًا لوضع خطة لتحقيقها ونشرها .
- إنشاء مكتبة القدس بمعهد المخطوطات العربيَّة ، تضمُّ مصوَّرات المخطوطات المقدسيَّة عمومًا ، والمخطوطات التي موضوعها « القدس » ، وجمع المصوَّرات من مختلف أنحاء العالم ، ودعوة المكتبات المقدسيَّة لإيداع نسخ مصوَّرة من مخطوطاتها بالمعهد .

* * *

ثمن النسخة :

- داخل مصر : ٣٠ جنيهًا .

- خارج مصر : ١٥ دولارًا أمريكيًّا ، شاملة نفقات البريد .

المراسلات : ص.ب : ٨٧ الدقي - القاهرة - ج. م. ع.

الهـواتف : ٣٧٦١٦٤٠٢/٣/٥ / ٠٠٢٠٢

الفـاكس : ٣٧٦١٦٤٠١

البريد الإلكتروني : m_makhtoutat@maktoob.com

المقـــر : ٢١ ش المدينة المنورة - نهاية محيي الدين أبو العز - المهندسين .

رقم الإيداع : ١٧٩١٦ / ٢٠٠٨

ALECSO

Turāṯ al-Quds

ḏākirat al-makān wa-linsān

Arranged & Edited

By

Dr. Faissal al-Hafian

The Institute of Arabic Manuscripts

Cairo 2008

Turāṯ al-Quds

ḏākirat al-makān wa-linsān

Turāṯ al-Quds

Arranged & Edited
By
Dr. Faissal al-hafian

ḏākirat al-makān wa-linsān

Bibliotheca Alexandrina
0682390

Cairo 2008